

اللهُ الذِي أُحِبُّهُ

The God Whom I Love

ق.د/ سامح موريس

الله الذي أحبه

The God Whom I Love

القس الدكتور/سامح موريس

تـأليف: ق. د. سامح موريس توفيق

النـاشر: الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوبـارة
٧ شارع الشيخ ريحـان - جاردن سيتي - القـاهرة
تليفون: ٢٧٩٤٦١٦١ - ٠٢
www.kdec.net
www.schoolofchrist.tv

المطبعة: سان مارك
التليفون: ٢٣٤١٨٨٦١

تصميم الغلاف: شركة BeBrand

رقم الايداع: ١٩٤٢٤/ ٢٠١٢
الترقيم الدولي ٣-٠٢-٥١٤٢-٩٧٧-٩٧٨
الطبعة العربية الثانية ٢٠١٣

إهداء

إلى رفيقة عمري وأغلى ما عندي من الناس

زوجتي العزيزة إيمان،

إلى أولادي الأحباء الذين أعتز بهم كل الاعتزاز

نادر وكريم وشادي،

إلى هذه الأسرة الصغيرة التي احتملت معي رحلة لم تكن سهلة أبداً لكننا اختبرنا فيها معاً يد إلهنا الصالحة علينا ومعيته الفائقة الوصف.

(لهم أهدي هذا الكتاب)

وأقدم جزيل الشكر والعرفان لفريق العمل الذي اشترك

في كتابة وصياغة ومراجعة وإخراج وطباعة

هذا الكتاب البسيط؛ إلى كل من

د. ق/ منيس عبد النور

(الوالد والراعي المثل والقدوه)

الأنسة/ تريز جبران

مدام/ هايدي وليم

الأستاذ/ طارق عزيز

الأستاذ/ ألفريد حبيب

الأستاذ/ إبراهيم صموئيل

ق. د. سامح موريس

هذا الكتاب

عندما قدَّم لي الزميل المبارك سامح موريس مخطوطة كتابه: "شخصية الله" فاض في قلبي فرح عميق لأني أعرف عن قُرب محبته العميقة للرب وخدمته الأمينة لسيده، فكنت متأكداً أن هذا الكتاب سيكون بركة لكل قارئ يطالعه عند نشره. لكني دُهشت من عبارة ذكرها المؤلف في مقدمة كتابه: "ما أصعب كتابة هذا الكتاب" وفي تواضع صادق أعرفه عنه قال القس سامح سببين: أولهما أنه ليس بكاتب، وثانيهما صعوبة تناول موضوع شخصية الله. وأعتقد مخلصاً أن هذين السببين سيكونان مصدر تشجيع للقارئ المسيحي العربي ليشتري هذا الكتاب، ويقرأه، ثم يحتفظ بنسخة لتكون مرجعاً في مكتبته.

شكراً للكاتب، وتهنئة للقارئ .. ومجداً للرب قبل وبعد كل الأمر.

د. ق. منيس عبد النور



المحتويات



مقدمة من الكاتب

ما أصعب كتابة هذا الكتاب!

أستهلُّ هذا الكتاب باعترافٍ مني بمدى صعوبة تحريره، الأمر الذي جعلني غير واثقٍ بل متردداً أن أسجل سطوره، وذلك لسببين رئيسيين:

أولاً: أنا لست بكاتبٍ، ولا أدَّعي أني أملك هذه الموهبة، فهذا أول كتابٍ حقيقي أكتبه. صحيحٌ أني قمت بكتابة كتيباتٍ ومذكرات منها مذكرات «مدرسة المسيح» إلا أنها في نظري لا تتعدى كونها محاضرات ومذكرات بغرض الدراسة والتعليم، خاصة لمجموعات التلمذة.

ثانياً: وهو في الحقيقة السبب الأكثر أهمية، ويتعلق بصعوبة تناول موضوع هذا الكتاب ألا وهو «شخصية **الله**» أو «من هو **الله**».

فمن أنا، وما هي الكلمات التي يمكن أن تصف أو تعبِّر عن جمال وجلال الله! بل كيف يمكن أن نرسم في سطورٍ هذه الصورة الفائقة المعرفة عن شخصه العجيب والمبارك!

قدَّم العهد القديم لنا صورةً عن الله، إلا أن وضوحها لم يبرز ولم تُفهم جلياً إلا في شخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح،

- *«اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كولوسي ١: ١٥)*

الذي رأينا في وجهه مجد الله وروعته!

- *«لأَنَّ اللهَ الَّذِي قَالَ أَنْ يُشْرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَةٍ، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجْدِ اللهِ فِي وَجْهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ٦).*

فهو العلي.. وهو المتوا ضع!

هو القدير.. وهو الحنان!

هوالقدوس.. وهو محب الخطاة!

الذي انفصل عن الخطية.. لكنه كان قريباً من العشارين والخطاة!

هو عمانوئيل، الله معنا.. فما أعجبه!

غير أن ما دفعني أن أمضي قُدُماً في الكتابة هو كثرة اللغطِ والصور

المغلوطةَ عن شخص الله العزيز المبارك، فالكثير منا في أفكارهم صورٌ مشوهة عن الله واتهامات مكنونة أو صريحة موجَّهة إليه..

وتلك هي الشكاية التي اشتكى بها إبليس عن الله فإن اسمه

- «*المشتكي*» *(رؤيا ١٢: ١٠)*.

ونتج عنها أفكار وأقوال انتشرت وتناقلتها الثقافات والألسنة جيلاً بعد جيلٍ عن قصد أو بدون قصدٍ؛ حتى صارت جزءاً من مكوِّنات معتقداتنا.

وقد وجدت مؤمنين كثيرين لديهم أنصاف حقائقِ، بل أقول، حقائق متناقضة عن شخص الله، وكأنه بالنسبة لهم لغزٌ محيرٌ غير مفهومٍ.. إلهٌ غامضٌ يأبى أن يعلن عن نفسه أو يجعل نفسه معروفاً لخليقته!

على أن أقسى ما آلمني أني رأيت أناساً خائفين من الاقتراب إليه!

إن لم نعرف من هو الله حقيقةً ونفتح عيوننا فنعاين نور معرفته ونار حبه الملتهب نحونا، كيف يتسنَّى لنا (نحن المدعوين أولاد الله) أن نستمتع بروعة وجمال شخصه المحب الحنان ونتمتع بعمق الشركة والعلاقة الحميمة مع الرفيق المترفق بنا؟!

ينادينا صوت الله دوماً بلا كللٍ

«اقتربوا إلَّي أقترب إليكم.. تعالوا إلَّي وأنا أريحكم.. تطلبونني فتجدونني»

هذا الكتاب محاولة بسيطة لتصحيح بعض الأفكار الخاطئة، وتوضيح ما هو غير مفهوم. فمعذرةً لضعف الكلمات ولقصور العبارات بل عجزها أن تصف من هو أبرع جمالاً من كل بني البشر، ذلك الذى كماله لا حدَّ له، فمحبته وحدها.

كما وصفها بولس الرسول

- «*فَائِقَةِ الْمَعْرِفَةِ*» *(أفسس ٣: ١٩)*

فكم تكون قدرته ومعرفته وحكمته وفهمه!

ملحوظة هامة:

- الخطوط العامة وفحوى هذه الدراسة مأخوذة من فكر تشارلس فيني وتلميذه جولدن السو لكني اكتبها على مسئوليتي الشخصية.
- في هذه الطبعة الثانية تم تنقيح وتصليح أخطاء كثيرة اعتذر عنها في الطبعة الأولى.

تقديم الكتاب

شخصية الله هي حجر زاوية إيماننا، فهي ركيزةٌ يُبنى عليها إيماننا وحياتنا مع الله.

تلك المعرفة النورانية تفسر لنا كيف يمكن لنا كمؤمنين أن نحيا مع الرب حياة صحيحة ناضجة ورائعة، وهذا عين ما تكلم عنه المصلح الشهير جون كلفن[1] في كتابه «أسس الديانة المسيحية» فيقول:

«لا يمكننا أن نفكر جدياً في أنفسنا دون أن نفكر كذلك في صانعنا وخالقنا، الذي لم يهملنا بل هو مستمر في رعايتنا والعناية بنا، ومنحنا إمكانيات لايمكن أن تكون من صنع أنفسنا».

وهذا الكتاب دعوة للنظر للنور الحقيقي، ودراسته تشبه محاولة الالتفات إلى الشمس الساطعة المنيرة حتى نستطيع أن ندرك مع جميع القديسين مجد وجلال وجمال الله.

---

١ جون كالفن: أسس المسيحية الكتابية –الرابطة الانجيلية فى الشرق الأوسط– ١٩٩٤

عزيزي القارئ،

ربما تكون قد بدأت تتخيَّل الطريقة المثلى للتعرف على شخص الله، ولكن دعني أقُل لك.. بل دعه هو يتحدث عن نفسه!

نعم، فالطريقة المثلى للتعرَّف على شخصٍ ما هي أن ندعه هو يتحدث عن نفسه. فإذا أردنا أن نعرف الله ونقترب من الذات الإلهية يجب علينا أن نسمعه هو يتكلم عن نفسه.

ولذلك سنعتمد اعتماداً رئيسياً على الكتاب المقدس - الكلمة الموحى بها من الله - والكلمة المتجسد (يسوع المسيح) لأنه تعبير الله عن نفسه وإعلانه للبشر عن شخصه.

سنتعرف في هذه الرحلة الدراسية على أهمية معرفة الله، وطرق معرفته، وطبيعة شخصيته وصفاته سواء الطبيعية أو الأدبية. ومع المضي في رحلة دراستنا سنكتشف مقدار التشويه وعدم الفهم والتضارب الساكن في أعماق قلوبنا عن شخص الله.

أصلّي في قلبي أن يرافقنا الروح القدس ليشرح لنا المكتوب في الكلمة، ويعلن لنا في أرواحنا عن نفسه، فهو الذي يعلمنا الحق، ويمجّد المسيح ويأخذ مما له ويخبرنا (يوحنا ١٦: ١٤).

ذلك لأنه هو روح الحكمة والفهم، وهو روح النبوة والإعلان (الاستنارة) في معرفة الله القدير (بتصرف من أفسس ١: ١٧).

ربما يظن البعض أنه ليس بحاجة للمزيد لأنه عرف الله أو يعرفه، وكأنه عرف وأدرك كل جوانب الذات الإلهية! مع أننا نحن البشر محدودين ومهما اتسع فكرنا فهو في النهاية قاصرٌ محدود. أما الله فهو غير محدودٍ، يملأ السماوات وسماء السماواتِ. فلنفتح عيوننا وقلوبنا وأرواحنا ونعطي للروح القدس كل السلطان أن يسكب هذه المعرفة في أعماقنا لتتحول إلى نورٍ حقيقي ساطعٍ ينير حياتنا، وناراً إلهيةً ممحصة تلهب نفوسنا حباً لهذا الإله الرائع!



الفصل الأول

معرفة الله[١]

صرخةٌ!! نسمعها تتزايد عبر صفحات الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد، وتعلو طالبة معرفة الله. ونرى هذه الحقيقة بوضوح في:

- صلاة موسى لله:

- *«فالآن إن كنت قد وجدت نعمة في عينيك فعلمني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك. وانظر أن هذه الأمة شعبك»* (خروج ٣٣: ١٣).

كان قلب موسى يصرخ ليعرف الله والطرق التي تؤدي إلى معرفته، وكان مصرّاً على المعرفة ولديه رغبة شديدة في الفهم والإدراك والتلامس مع ذات الله في جلاله وبهائه، وكم هذا مسرٌ لقلب الله.

والعجيب هنا أن موسى هذا كان قريب جداً من الله لكن طلبته ظلت هي هي أريد أن أعرفك أكثر أريد أن ارى مجدك.

في الأعداد التالية، نقرأ ما صنعه الله مع موسى:

- *«فَقَالَ الرَّبُّ لِمُوسَى: «هَذَا الأَمْرُ أَيْضًا الَّذِي تَكَلَّمْتَ عَنْهُ أَفْعَلُهُ لأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ، وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ». فَقَالَ: «أَرِنِي مَجْدَكَ». فَقَالَ: «أُجِيزُ كُلَّ جُودَتِي قُدَّامَكَ. وَأُنَادِي بِاسْمِ الرَّبِّ قُدَّامَكَ. وَأَتَرَأَّفُ عَلَى مَنْ أَتَرَأَّفُ وَأَرْحَمُ مَنْ أَرْحَمُ» (خروج ٣٣: ١٧-١٩).*

- صلاة داود:

وإذا استمعنا إلى صرخة وصلاة وطلبة داود سنجدها مماثلة لصلاة موسى، فيقول:

- *«وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ» (أي في جلاله) (مزمور ٢٧: ٤، ٥). ويقول أيضًا: «لِكَيْ أُبْصِرَ قُوَّتَكَ وَمَجْدَكَ كَمَا قَدْ رَأَيْتُكَ فِي قُدْسِكَ» (مزمور ٦٣: ٢).*

كانت هذه هي طلبته الأولى والعظمى: أن يرى الله ويعرفه على حقيقته، فيرى الجمال والجلال والمجد والبهاء. وهذا سر حب وتعلق داود بالله.

- كلمات الرب يسوع:

وعندما ننتقل إلى العهد الجديد بعيونٍ شاخصةٍ إلى الرب يسوع، سنجد أن إرادة قلب الله هو أن يصير مُعلَناً وظاهراً للعالم أجمع، وهذا ما نقرأه في الأصحاح الأول من إنجيل يوحنا:

- *«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»* (يوحنا ١: ١٨).

والقول «هُوَ خَبَّرَ» يعني أنه هو جعله معروفاً.

المسيح هو الإعلان الكامل عن شخص الله، وهذا أحد الأهداف الرئيسية للتجسد – أي أن نعرف بالمسيح من هو الله.

وقد طلب فيلبس نفس طلبة موسى. جاء ذلك في إنجيل يوحنا (أصحاح ١٤). وكان رد الرب يسوع عليه رائعاً في تأكيده العجيب أنه هو صورة الله غير المنظور، الذي أتى ليصحح صورة الله في عيون الناس.

قَالَ لَهُ فِيلُبُّسُ:

- *«يَا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا». قَالَ لَهُ يَسُوعُ: «أَنَا مَعَكُمْ زَمَاناً هذِهِ مُدَّتُهُ وَلَمْ تَعْرِفْنِي يَا فِيلُبُّسُ! اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ فَكَيْفَ تَقُولُ أَنْتَ أَرِنَا الآبَ؟»* (يوحنا ١٤: ٨، ٩).

وفي بداية صلاة الرب يسوع لأجل تلاميذه يقول:

- *«وَهذه هي الحَياةُ الأبديَّة: أن يَعرفوك أنت الإلهَ الحقيقيَّ وحدك، ويَسوعَ المسيحَ الذي أرسلته»* (يوحنا ١٧: ٣).

هذه هي الحياة الأبدية إذاً! ليست الحياة التي تبدأ بعد الموت، بل الحياة التي لا نهاية لها، فتوصف بالأبدية، لأن معرفة الله هي الحياة الأبدية. الله هو ينبوع الحياة «فيه كانت الحياة». فالحياة مرتبطة به.. وكل من يعرفه معرفة حقيقية تسري حياة الله الأبدية فيه.

وفي نهاية صلاته نسمعه يقول في اتحادٍ مع الآب:

- *«أيها الآب البار إن العالم لم يعرفك أما أنا فعرفتك وهؤلاء عرفوا أنك أنت أرسلتني. وعرّفتهم اسمك وسأعرّفهم ليكون فيهم الحب الذي أحببتني به وأكون أنا فيهم»* (يوحنا ١٧: ٢٥، ٢٦).

هنا فعلان يستحقان التأمل: *«عرّفتهم.. وسأعرّفهم»* أي أن الرب يسوع عرفنا وعلمنا وسيستمر يُعرفنا أكثر فأكثر عن شخص الله. وهذا ماعمله المسيح بالفعل في حياته على أرضنا مع تلاميذه وبعد قيامته وأثناء الأربعين يوماً التالية فى ظهوراته المختلفة.

أيضاً هذا ما يعمله الروح القدس منذ أن انسكب على التلاميذ يوم الخمسين فصاروا له شهوداً وحتى الآن هو يمجد الله في عيني كل

من يريد أن يعرفه. فهذا هو شوق قلبه وعهده معنا أن يعلن لنا ذاته ويعرفنا من هو.

- أما بولس الرسول:

لقد عبَّر عن هذا الحق مشيراً إلى تجربته الشخصية في رسالته إلى أهل فيلبي:

- *«لَكِنْ مَا كَانَ لِي رِبحاً فَهَذَا قَدْ حَسِبْتُهُ مِنْ أَجْلِ الْمَسِيحِ خَسَارَةً. بَلْ إِنِّي أَحْسِبُ كُلَّ شَيْءٍ أَيْضاً خَسَارَةً مِنْ أَجْلِ فَضْلِ مَعْرِفَةِ الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّي، الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ خَسِرْتُ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَأَنَا أَحْسِبُهَا نُفَايَةً لِكَيْ أَرْبَحَ الْمَسِيحَ وَأُوجَدَ فِيهِ، وَلَيْسَ لِي بِرِّي الَّذِي مِنَ النَّامُوسِ، بَلِ الَّذِي بِإِيمَانِ الْمَسِيحِ، الْبِرُّ الَّذِي مِنَ اللهِ بِالإِيمَانِ. لأَعْرِفَهُ، وَقُوَّةَ قِيَامَتِهِ، وَشَرِكَةَ آلاَمِهِ، مُتَشَبِّهاً بِمَوْتِهِ» (فيلبي ٣: ٧-١٠).*

وُلد بولس وخُتِن كيهوديّ لا غشَّ فيه، وتعلَّم حتى أصبح من الفريسيين الغيورين على شريعة موسى، وتمتع بالعديد من الامتيازات التي كانت تُميِّزه عن كثيرين من زملائه، مثل قربه من السلطة السياسية وثقتهم فيه، وسلطته الدينية كمُعَلِّم للناموس. ورغم كل هذه الامتيازات وجد بولس أن معرفة يسوع المسيح أعظم وأغلى من كل ما ربحه في حياته الماضية.

كانت كل رغبة وشهوة الرسول بولس هي معرفة المسيح، وإدراك قوة قيامته، والاتحاد بآلامه. نعم! فمعرفة المسيح هي بداية طريق الحياة، وهي المضي قدماً فيه، لأن الحياة الأبدية ومسيرتنا مع الله تبدأ بأن نعرفه، وتستمر باستمرار معرفته، وهذا حجر زاوية بناء حياتنا ومسيرتنا مع الله.

- ويؤكد الرسول بطرس في رسالته الثانية هذا الأمر:

• *«وَلكِنِ انْمُوا فِي النِّعْمَةِ وَفِي مَعْرِفَةِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ. لَهُ الْمَجْدُ الآنَ وَإِلَى يَوْمِ الدَّهْرِ. آمِينَ»* (٢ بطرس ٣: ١٨).

يوصي الرسول بطرس المؤمنين هنا أن ينموا في النعمة، أي في عطية الله التي هي معرفة ربنا ومخلصنا يسوع المسيح. ويختم رسالته بتلك الوصية ليؤكد حتمية هذا الأمر في العلاقة التي يريدها الله أن تكون حميمية بالنمو في معرفة ربنا يسوع المسيح.

هل لهذه المعرفة مكونات؟

نعم، فهي ليست مجرد فهم عقلي لبعض الحقائق، كما أنها ليست مجرد اختبار شخصي لحظي مع الله. ولكنها تحوي ثلاثة مكوِّنات وأبعاداً رئيسية هي:

الفهم: وهو الاستيعاب العقلي للحقائق

الإدراك: وهو أن نتلامس مع هذه الحقائق بأن نراها بعيون أذهاننا وندركها بقلوبنا وذلك بعمل الروح القدس.

الاختبار: وهو أن تتحول الحقائق العقلية إلى اختبارات مُعاشة فعلاً، وأن تصير جزءاً من حياتنا اليومية وسيرتنا

وفي روعة معرفة الله تلتحم أضلاع هذه الحقائق الثلاثة. فنحن نفهم الحقائق ونستوعبها بعقولنا، ثم نتلامس مع الحقيقة ونراها واضحة وهذا هو الإدراك، وعندما تتحول هذه الحقيقة داخلنا الى اختبار شخصي مستمر؛ أي جزء من حياتنا نعيشه ونحياه – هنا فقط نستطيع أن نقول «إننا نعرف الله».

هذه الحقيقة هي أهم وأول ما يُميز «مدرسة المسيح» عن باقي طرق التعليم الأخرى، لأن التعلُم فيها مبنيٌ على الرؤية والمشاهدة وليس على الاستماع فقط. وقد أنار لنا هذه الحقيقة الجميلة يوحنا الرسول في قوله:

- *«اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ (الفهم)، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ (الإدراك) بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أيدينا (الاختبار) مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ.. اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا» (١يوحنا ١: ١، ٣).*

ولا يستطيع أحدٌ أن يأخذنا لنرى ونعاين شخص **الله** (كما يقول يوحنا) إلا الروح القدس! وهنا ندرك أهمية أن نكون مؤمنين ممتلئين بالروح القدس كهياكل لله.

لهذا الهدف صلّى بولس الرسول لأجل أهل أفسس:

- *«لِذَلِكَ أَنَا أَيضًا إِذْ قَدْ سَمِعْتُ بِإِيمَانِكُمْ بِالرَّبِّ يَسُوعَ، وَمَحَبَّتِكُمْ نَحْوَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ، لاَ أَزَالُ شَاكِرًا لأَجْلِكُمْ، ذَاكِرًا إِيَّاكُمْ فِي صَلَوَاتِي، كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ (الفهم) وَالإِعْلاَنِ (المشاهدة) فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ، وَمَا هِيَ عَظَمَةُ قُدْرَتِهِ الْفَائِقَةُ نَحْوَنَا نَحْنُ الْمُؤْمِنِينَ، حَسَبَ عَمَلِ شِدَّةِ قُوَّتِهِ الَّذِي عَمِلَهُ فِي الْمَسِيحِ، إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَأَجْلَسَهُ عَنْ يَمِينِهِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ١: ١٥ – ٢٠).*

كانت كنيسة أفسس في ذلك الوقت كنيسة حية، ومن أكثر الكنائس نضجاً، فطلب بولس الرسول أن يعطيهم **الله** بالروح القدس (الذي هو روح كل حكمة وفهم، وهو الذي يستطيع أن يكشف كل الحق عن **الله** وعن شخصه وأعماله) أن يعرفوه، وأن يفتح عيونهم الروحية ليدركوه ويتلامسوا معه.

هذه المعرفة الروحية عن شخص الله لا تُحدد بوقتٍ، إذ ليست لها نهاية. فنحن نبدأ هذه المعرفة من اليوم الذي تتجدد فيه نفوسنا ونستمر فيها الى الأبد، إلى ذاك اليوم الذي نلقاه فيه.

وهذا أيضاً ما يميز «مدرسة المسيح» أنه لا يوجد بها تَخَرُّج، بل نحن نظل تلاميذ لهذه المعرفة وهذا الادراك المذهل المتجدد عن شخص الله المجيد.

وإذ نحن نتقدم الآن لمعرفة الله نحتاج إلى روح الحكمة والإعلان لنفهم الحق بطريقة صحيحة وندرك ونتلامس مع الله حتى تتحول هذه الحقائق إلى اختبار حي حقيقي في أعماق قلوبنا.

- *«لأَنْ مَنْ مِنَ النَّاسِ يَعْرِفُ أُمُورَ الإِنْسَانِ إِلاَّ رُوحُ الإِنْسَانِ الَّذِي فِيهِ؟ هَكَذَا أَيْضاً أُمُورُ اللهِ لاَ يَعْرِفُهَا أَحَدٌ إِلاَّ رُوحُ اللهِ. وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ»* (٢كورنثوس ٣: ١١، ١٢).

فلا أحد يعرف من هو الله إلا الروح القدس الذي هو روح الله. إنه الوحيد القادر أن يعلن لنا من هو الله في وجه يسوع المسيح.

صلِّ معي هذه الصلاة في تواضع حقيقي وشوق عميق

صلاة

افتح يا رب عينيَّ فأراك..

ارسل الروح القدس إلى ذهني وقلبي فأرى من لا يُرى

خذني بقرب قلبك لأسمع أروع مقطوعة موسيقية كُتبت عن الحب الأبدي

(أ) أهمية معرفة الله

هل يحيا جسدٌ أو يستقيم بدون عمود فقري؟ بالطبع لا، كذلك معرفة الله بالنسبة لنا.

فمعرفة الله:

أولاً: تقودنا إلى المحبة الحقيقية له:

كثيراً ما تعلقنا وأحببنا الله بسبب عطاياه التي ننتظرها منه، فنحبه لأنه أعطانا الغفران والحماية والعناية والرعاية، أو أعطانا مؤمنين للشركة معهم، أو لأنه يسمع لصلواتنا وطلباتنا. بينما المحبة الحقيقية لله هي أن نحبه لشخصه وذاته، وليس فقط لعطاياه وأعماله، وهذه المحبة هي ثمر معرفتنا الحميمية والمستمرة به.

وبسبب هذه المعرفة الناقصة، كثيراً ما تفتر محبتنا لله بسبب تغيُّر ظروف حياتنا، سواء بسبب إحساسنا بأن الله لم يعُد يباركنا كما كان يفعل قبلاً، أو بسبب موقف قاسٍ نمر به أو يمرّ به أحد أفراد عائلتنا، فنحزن ظناً منا أن الله قد ابتعد عنا.

وبالمقارنة نجد أن الأطفال يتعاملون مع ذويهم بذات الطريقة. فالطفل الصغير يعتمد على والديه اعتماداً كاملاً في كل شيء منذ ولادته وخلال مراحل الطفولة. في البداية تكون طلبات الطفل هى الحب والحنان والرعاية والدفء. فالعلاقة هنا – بين الطفل ووالديه ترتبط بالعطايا. ولكن عندما يكبر الطفل وينضج لا تستمر العلاقة هكذا وإلا أصبحت علاقة غير صحية!

كذلك نحن كمؤمنين، تسديد احتياجاتنا هو أكثر ما يُبهرنا في علاقتنا مع الله! فقد أرسل المسيح ليموت نيابة عنا، رغم عدم استحقاقنا لنعمته فهو إله العطاء. لذلك «***كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟***» *(رومية ٨: ٣٢)*

ولكن إذا استمرت علاقتي بالله مبنية على مجرد استقبال العطايا وتسديد الاحتياجات، فلن تكون علاقة ناضجة، لأني عندها سيكون حبي له طلباً لعطاياه. وهذه علاقة قاصرة تحتاج إلى نضوج.

فمثلاً أسأل: أيهما يستحق الإكرام والتقدير: اللوحة الزيتية أم الفنان الذي قام برسمها؟

وبذات المقياس أسأل: من هو الأعظم في قلبي: العطية أم المُعطي؟

ومن الأسمى في نظري: الخليقة أم الخالق؟

عندما نعرف الله ونلتصق به سنحبه حباً جماً وندركه جيداً، لأن محبته تنسكب في قلوبنا بالروح القدس المعطى لنا. نحبه هو لشخصه مهما كانت ظروف حياتنا جيدة أم سيئة، مواتية أم معاكسة، يجيب طلباتنا أم لا، فهذا لن يغير من عظم مجده ولا روعة جلاله وبهائه في أعيننا، لأننا نحبه لذاته وشخصه وليس لعطاياه.

عندما نعرف الله حقاً سنحبه لأجل ذاته وليس لأجل عطاياه فقط، ولذلك ستزداد محبتنا له يوماً بعد يوم. ولأنه غير محدودٍ وأبدي، فمعرفتنا به يجب أن تكون أبدية بلا نهاية، لأننا سنظل نعرفه أكثر ما حيينا ونحبه بكل قلوبنا، ليس هنا على الأرض فقط بل أيضاً في الأبدية.

- *«وَعَرَّفْتُهُمُ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمُ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ» (يوحنا ١٧: ٢٦)*

وعندما ندرك الله وصفاته، سنقع أسرى هذا الحب الفائق المعرفة، وسيكون ما جاء في رسالة أفسس وصفاً لحالنا:

- *«وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي الْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ الْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ الْعَرْضُ وَالطُّولُ وَالْعُمْقُ وَالْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ» (أفسس ٣: ١٨، ١٩).*

إن كنتَ منبهراً ومأسوراً بجمال الله وجلاله، سيمكنك أن تقول مع كاتب المزمور:

- *«فَاضَ قَلْبِي بِكَلاَمٍ صَالِحٍ. مُتَكَلِّمٌ أَنَا بِإِنْشَائِي لِلْمَلِكِ. لِسَانِي قَلَمُ كَاتِبٍ مَاهِرٍ. أَنْتَ أَبْرَعُ جَمَالاً مِنْ بَنِي الْبَشَرِ. انْسَكَبَتِ النِّعْمَةُ عَلَى شَفَتَيْكَ لِذلِكَ بَارَكَكَ اللهُ إِلَى الأَبَدِ» (مزمور ٤٥: ١، ٢).*

هل تصدق أو تتخيل أن محبة الله لنا أكبر وأشمل من الصليب رغم عظمة وقوة عمل الله في الصليب؟! وهل تؤمن أن محبة الله الفائقة والمتدفقة هي السبب الحقيقي الوحيد للصليب؟!

من فهمنا للكتاب المقدس سنرى أنه يوجد شخص واحد وحيد كلما اقتربنا منه زاد إعجابنا به لأنه بلا عيب! فكلما اقتربنا منه أكثر نرى روعة جماله وبهائه ونتلامس مع جلاله ومجده فنجد نفوسنا منبهرة ومتعلقة به!

بينما في علاقاتنا الإنسانية عندما نتعرف على شخص ما ونُعجب به ونُقرر أن نقترب منه أكثر لندخل في علاقة أعمق، غالباً ما نصطدم بعيوبه وضعفاته الشخصية فيقلّ إعجابنا به. فنحن من بعيد، نرى الناس رائعين، ولكن عندما نقترب منهم نرى الغيرة والحسد وصغر النفس أو عيوب أخرى فيقل إعجابنا بهم.

واذا استخدمنا نفس تشبيه اللوحات الزيتية نقول إن بعضها تظهر لنا جميلة ورائعة ونحن نشاهدها من مسافة بعيدة، لكن عندما نقترب ظانين أننا سنشاهد الأروع في تلك اللوحة نندهش إذ يصطدم بصرنا ببعض العيوب التي ارتكبها الفنان وهو يرسم اللوحة فهو لم يكن دقيقاً في رسمها.

أما الله فلن ترغب سوى أن تعرفه أكثر فأكثر!

ولأنه غير محدود فلا حدود لجماله وجلاله، ولا حدود لإعلاناته عن نفسه، فمن المستحيل أن نُصاب بالملل في معرفتنا وعلاقتنا به:

- *«كَما هُوَ مَكْتوبٌ: مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (١كورنثوس ٢: ٩).*

والآن تأمل سؤال المسيح لسمعان بطرس: يا سمعان بن يونا، أتحبني؟

<u>والمسيح يوجّه إليك هذا السؤال الآن: أتحبني؟</u>

- هل تحبني لشخصي؟
- هل تحبني أكثر مما تحب الآخرين؟
- هل تحبني أكثر من كل الأشياء التي في العالم؟

يضع المسيح أمامنا هذا التحدي:

- *«مَنْ أَحَبَّ أَبًا أَوْ أُمًّا أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي، وَمَنْ أَحَبَّ ابْنًا أَوِ ابْنَةً أَكْثَرَ مِنِّي فَلاَ يَسْتَحِقُّنِي» (متى ١٠: ٣٧).*

وكأنه يقول لك: إن كنت تحبني من أجل الأشياء فأنت تحب الأشياء أكثر مني! وإن كنت تحبني من أجل العطايا فأنت تحب العطايا أكثر مني. وأنت تريدني من أجل ما أعطيك لا لأنك تحبني أنا لشخصي.

إن كنت تحب الآخرين أكثر مني إذاً فأنت تراهم أعظم مني.

هل أنت مؤمن منبهر به، وهل ترى مجده وجماله سواء أعطاك أم لا؟ سواء صنع لك ما تريد أم لا؟ هل في كل الظروف سلباً أو إيجاباً لا يغير هذا صورته في عيناي لأني أحبه هو وأراه هو مكللاً بالمجد والبهاء؟

عزيزي، انتبه

فإن الوصية قديمة جداً أعطاها الله لموسى ليوصي الشعب بها.

- *«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ» (تثنية ٦: ٥)*

وكررها المسيح لأنها تلخص شريعة موسى وتعاليم الأنبياء، فقال:

- «*تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ*» (*لوقا ١٠: ٢٧*).

«من كل فكرك» يعني أن تكون مقتنعاً به، و«من كل قلبك» أي بكل إرادتك، و«من كل نفسك» أي من كل عواطفك! فالمعنى المقصود أن تكون مقتنعاً بل منبهراً به فكرياً وعاطفياً وإرادياً. تحب الرب إلهك لشخصه وهذا هو الحب الحقيقي! فهو العلاقة والشركة اللتان عن طريقهما أقدم نفسي لمن أحب، لأسعده وأسعَد بعطائه من ذات نفسه لي.

ما أعظم الاستمتاع بشخص الله، فهو ملذٌ جداً أكثر من عطاياه! فعطية العطايا التي يريد الرب أن يهبنا إياها هي شخصه.

ثانياً: هي أساس الثقة واليقين في الله:

تُبنى الثقة بين طرفين على مدى المعرفة بينهما، ومدى أهلية كلٍ من الطرفين لهذه الثقة، فهناك علاقة وطيدة بين الثقة والمعرفة؛ أي أن هناك علاقة تربط بين الثقة والإيمان في الله وبين معرفته معرفة حقيقية.

دعني أشرح هذه العبارة، مع الأخذ في الاعتبار حال كثيرين منا:

كثيراً ما نطلب من الله أن يزيد إيماننا لأنه ضعيف، لأننا ننظر إلى داخلنا حيث لا يوجد إيمان كافٍ، فنصرخ متسائلين: أين ذهب هذا الإيمان؟ وكأن الإيمان شيء أودعه الله داخلنا، بينما دورنا يقتصر على أن نزيده أو نخزنه أو نخفيه، وعند الحاجة نستخرجه لنستخدمه!

فهل هذا هو الإيمان؟ أم أنه نتاج علاقة مع الله نتيجة قربي منه ورؤيتي له ومعرفتي به وثبات عينيَّ عليه؟!

الله بالحقيقة أهلٌ للثقة، فبكل تأكيد يمكننا أن نضع كل ثقتنا فيه.

- *«لِهَذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذه الأُمورَ أَيضًا. لَكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذَلِكَ الْيَوْمِ» (٢تيموثاوس ١: ١٢).*

يقول بولس لتلميذه تيموثاوس إن السبب الرئيسي الذي من أجله يحتمل المشقات والمخاطر والآلام هو علمه ومعرفته بالإله الذي آمن به، فهو يعرف الله جيداً وموقن أنه قادر أن يحفظ وديعته إلى ذلك اليوم.

إنه لا يخاف شيئاً؛ لا بسبب شجاعته، بل لأنه وضع إيمانه وثقته في الشخص الذي يعرف قدرته وأمانته وصلاحه. وهذا ما اختبره المرنم فقال:

- *«وَيَتَّكِلُ عَلَيْكَ الْعَارِفُونَ اسْمَكَ، لأَنَّكَ لَمْ تَتْرُكْ طَالِبِيكَ يَا رَبُّ»* (مزمور٩: ١٠).

لا يمكن أن يتكل على الله إلا الذين يعرفونه معرفة حقيقية، فهم فقط الذين يستطيعون أن يضعوا ثقتهم بكل جرأة في شخصه دون خوفٍ من خيبة أمل.

الإيمان بالمسيح ليس هو الثقة في أنفسنا، أو التصديق النظري للمبادئ المسيحية (وهي بالطبع صحيحة وصالحة)، بل الإيمان المسيحي الحق هو الإيمان به – هو – بالله. وينمو إيماننا بقدر معرفتنا به، وكلما زادت معرفتنا[٢] به وتعمقت فينا كلما زاد عمق إيماننا وثقتنا فيه، فنقول: «لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ».

٢ المعرفة هنا تعني الفهم والإدراك و الاختبار

هناك ثلاثة أمور هامة لا بد من توافرها في أي شخص قبل أن نضع ثقتنا فيه، وهي:

- **أن يريد لنا الخير أي صالحاً:**

وإرادته صالحة من نحونا ويعمل لصالحنا.

- **أن يعرف ما هو لخيرنا أي حكيماً:**

فقد تجد من يحبك ويريد لك الخير لكنه لا يعرف ما هو لخيرك وما الذي سيؤول لمصلحتك الحقيقية. فإذا وجدت هذا الشخص الذي يريد **لك الخير**، ويعرف خيرك فسوف تستمع لكلماته ونصائحه.

- **إنه يقدر أن يصنع لك الخير أي قادراً:**

يوجد أناسٌ مخلصون بالفعل يعرفون الخير لنا ويريدونه، ولكنهم لا يقدرون أن يصنعوه، فلا نستطيع أن نتكل عليهم أو نضع فيهم ثقتنا الكاملة.

أما الله فيريد، ويعرف، ويقدر. إنه أهْلٌ للثقة، بل هو مصدر الثقة الكاملة المطلقة، وهو يريد لك الأفضل، ويعرف ما هو الأفضل، ويقدر أن يحققه لك فتقول: «*لأنني عالم بمن آمنت*». وهذا ما كان الرسول بولس يحياه في كل مواضع وظروف حياته، فعندما هاجت الرياح بينما هو أسيرٌ في سفينةٍ في طريقه إلى روما للمحاكمة أمام قيصر؛ أذاع إيمانه في **الله** القدير الذي يعرفه ويثق فيه رغم تناقض كل الظروف والأحداث مع ما يقوله.

- ***يقول الكتاب: «وَلكِنْ بَعْدَ قليلٍ هَاجَتْ عَلَيْهَا رِيحٌ زَوبَعِيَّةٌ.. وَإِذْ لَمْ تَكُنِ الشَّمْسُ وَلا النُّجومُ تَظْهَرُ أياماً كَثيرَةً، واشْتَدَّ عَلَيْنَا نَوْءٌ لَيْسَ بِقَليلٍ، انْتُزِعَ أخيراً كُلُّ رَجاءٍ في نَجاتِنا. فَلَمَّا حَصَلَ صَوْمٌ كثيرٌ حِينَئذٍ وَقَفَ بولُسُ في وَسطِهِمْ وَقالَ.. وَالآنَ أُنذِرُكُم أنْ تُسَرُّوا لأَنَّهُ لا تَكُونُ خَسارَةُ نَفْسٍ واحِدَةٍ مِنْكُمْ إلَّا السَّفينَةَ، لأَنَّهُ وَقَفَ بي هذهِ اللَّيْلَةَ مَلاكُ الإلهِ الذي أنا لَهُ والَّذي أعْبُدُهُ قائلاً: لا تَخَفْ يا بولُسُ.. وَهُوَذا قَدْ وَهَبَكَ اللهُ جَميعَ المُسافرينَ مَعَكَ. لِذلِكَ سُرُّوا أيُّها الرِّجالُ لأَنِّي أومِنُ باللهِ أَنَّهُ يَكُونُ هَكَذا كَما قيلَ لي» (أعمال ٢٧: ١٤-٢٥).***

وقد أراد الرب يسوع أن يُعلّم تلاميذه، وبطرسَ في مقدمتهم معنى هذه الثقة عندما ألزمهم أن يدخلوا إلى السفينة وينتقلوا إلى الجهة الأخرى من البحيرة. بعدها هاجت الأمواج وتقاذفت السفينة. وبينما هم في هذه المحنة أبصروا المسيح آتياً نحوهم ماشياً على الماء كما يقول الكتابَ:

- ***في الهَزيعِ الرَّابعِ مِنَ اللَّيلِ مَضى إلَيْهِمْ يَسوعُ ماشِيًا عَلى البَحْرِ. فَلَمَّا أبصَرَهُ التَّلاميذُ ماشِيًا عَلى البَحْرِ اضْطَرَبوا قائلينَ: «إنَّهُ خَيالٌ». وَمِنَ الخَوفِ صَرَخوا! فَلِلْوَقتِ قالَ لَهُمْ يَسوعُ: «تَشَجَّعوا! أنا هُوَ. لا تَخافوا». فَأجابَهُ بُطرُسُ: «يا سَيِّدُ إنْ كُنتَ أنتَ هُوَ فَمُرْني أنْ آتيَ إلَيْكَ عَلى الماءِ». فَقالَ: «تَعالَ». فَنَزَلَ بُطرُسُ مِنَ السَّفينَةِ وَمَشى عَلى الماءِ لِيَأتيَ إلى يَسوعَ. وَلكِنْ لَمَّا رأى الرِّيحَ شَديدَةً***

َخافَ. وإِذ ٱبتَدأَ يَغرَق صَرَخ: «يا رَبّ نَجّني». ففي ٱلحالِ مَدَّ يَسوع يَدَه وأَمسَك به وَقال لَه: «يا قَليلَ الإيمان، لماذا شَكَكتَ؟» وَلَمّا دَخَلا السَّفينَة سَكَنتِ الرّيح» (متى ١٤: ٢٥- ٣٢).

بطرس الذي مشى على الماء هو الشخص نفسه الذي كاد أن يغرق. لم يتغير شيء من الظروف المحيطة به، لا الريح ولا المياه. فكيف مشى على الماء؟ وكيف بدأ يغرق؟ وكيف سار مرة أخرى ودخل السفينة مع المسيح؟

في البداية نظر بطرس للمسيح ووضع كل ثقته فيه فاستطاع أن يمشي على الماء، ولكن لما استعظم الريح والبحر بدأ يرتاب في نفسه،

واهتزت ثقته في المسيح، وفقد إيمانه.

وهذا كله يعني أن وُجهة النظر هي التي تحدد وجود الإيمان من عدمه. عندما أنظر مجدَ الرب بعيون مكشوفة أستطيع أن أثق فيه، أما إذا نظرت إلى ضعفي والظروف المحيطة بي فيتبخر الإيمان من قلبي لأنه هو موضوع إيماني.

المعرفة الحقيقية بالله هي أساس الإيمان والثقة واليقين الذى يريد الله أن يبني قلوبنا ونفوسنا به.

- ***«يَتّكِل عَلَيكَ ٱلعارِفونَ ٱسمَك (شخصك)» (مزمور ٩: ١٠).***

ثالثاً: تجعلنا نتغير لصورته (حياة القداسة):

يدعونا الكتاب في مواضع كثيرة إلى حياة القداسة، مؤكداً على أهميتها وواضعاً مقياساً خاصاً لها.

يقول بولس الرسول:

- *«اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قِدِّيسِينَ وَبِلاَ لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ» (أفسس ١: ٤)*
- *«هَذِهِ هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: قَدَاسَتُكُمْ» (١تسالونيكي ٤: ٣)*
- *«لأَنَّ اللهَ لَمْ يَدْعُنَا لِلنَّجَاسَةِ بَلْ فِي الْقَدَاسَةِ» (١تسالونيكي ٤: ٧)*

ويقول كاتب العبرانيين:

- *«لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عبرانيين ١٢: ١٠)*
- *«اتْبَعُوا السَّلاَمَ مَعَ الْجَمِيعِ، وَالْقَدَاسَةَ الَّتِي بِدُونِهَا لَنْ يَرَى أَحَدٌ الرَّبَّ» (عبرانيين ١٢: ١٤)*

ويكتب بطرس الرسول، مقتبساً من سفر (اللاويين ١٨ : ٤٤)

- *«بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ». (١ بطرس ١: ١٥، ١٦)*

لا شك أن سيرنا مع الله يجعلنا نرغب أن نعيش حياة القداسة، فنصبح راغبين أن نتغير ونصير مشابهين صورة المسيح. إلا أن صراعاً ينشأ دوماً داخلنا، سواء ضد الخطية أو ضد طبيعتنا العتيقة الفاسدة.

وهناك طريقتان نتبعهما عادة بهدف أن نصير مقدسين ومشابهين صورة الرب يسوع:

الطريقة الأولى

أن نصارع ضد الخطية وضد رغباتنا الآثمة وميولنا الفاسدة.

الطريقة الثانية

لا تنطوي على الصراع ضد الخطية فى الأساس أو حتى الاهتمام بقوتي الروحية التي تمكنني من أن أصمد في هذا الصراع، بل وهى الطريقة المنتشرة في فقرات كثيرة من الكتاب المقدس، والتي ندعو أن نتعلمها في مدرسة المسيح .

لقد أثبتت تجارب الحياة أنه أثناء محاولتنا المستميتة أن نحقق قداستنا بالطريقة الأولى سنجد الفشل والهزيمة والعجز عن مواصلة مسيرة

التغيير. وحينئذٍ يدُبُّ اليأس والإحباط في قلوبنا ونعتقد أن الحياة المقدسة التي ترضي الله مضنية جداً، وبالتالي لا سبيل لنا لتحقيق القداسة، بل إننا لم نُخلق كلنا لها، وهي لنوع معين من المؤمنين.

أما الطريقة الثانية فهي على النقيض تماماً، فيها يدعونا الله إلى حياة القداسة لنكون مشابهين صورة القدوس الذي دعانا، وطاعة للوصية:

- *«نَظِيرَ ٱلْقُدُّوسِ ٱلَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (١بطرس ١: ١٥)*
  وأيضًا، «لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عب ١٢: ١٠)

الطريقة التي تجعلنا نتغير إلى صورة الله هي أن نتطلع وننظر إلى مجد الله، وفي هذه الحالة يكون الجهد المبذول هنا ليس هو الجهاد ضد الخطية بل **الجهاد الذي غايته أن نبصر الله في مجده وبهائه وقداسته**. إنه الاجتهاد في معرفة الله وإدراكه.

قال بولس الرسول:

- *«وَنَحْنُ جَمِيعًا نَاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِّ بِوَجْهٍ مَكْشُوفٍ، كَمَا فِي مِرْآةٍ، نَتَغَيَّرُ إِلَى تِلْكَ الصُّورَةِ عَيْنِهَا، مِنْ مَجْدٍ إِلَى مَجْدٍ، كَمَا مِنَ الرَّبِّ الرُّوحِ» (٢كورنثوس ٣: ١٨).*

أي ونحن ننظر مجد الرب نتغير إلى صورته يوماً بعد يومٍ من مجدٍ إلى مجدٍ.

ولشرح هذه الحقيقة أكثر أقول:

الطريقة الأولى: تشبه مرآة أرى فيها نفسي بقبحها وبشاعتها وعدم استحقاقها.

والطريقة الثانية: هي مرآة ممتلئة بصورة الله وجماله وبهائه.

في الحالة الأولى: إذا أردت أن أتغير من صورتي القبيحة إلى صورة الله الرائعة الجمال وقررت لذلك أن أقضي وقتاً طويلاً مصلياً إلى الله ناظراً في مرآتي (صورتي) التي تُظهر نفسي بكل بشاعتها وقبحها.. فهل يجعلني هذا أتغير إلى القداسة؟ لا، بل العكس هو الصحيح، سأمتلئ بالإحساس بالفشل. وهذا ما يؤكده لنا الرسول يعقوب في قوله:

- ***«إِنْ كَانَ أَحَدٌ سَامِعًا لِلْكَلِمَةِ وَلَيْسَ عَامِلًا، فَذَاكَ يُشْبِهُ رَجُلًا نَاظِرًا وَجْهَ خِلْقَتِهِ فِي مِرْآةٍ، فَإِنَّهُ نَظَرَ ذَاتَهُ وَمَضَى، وَلِلْوَقْتِ نَسِيَ مَا هُوَ»*** *(يعقوب ١: ٢٣، ٢٤).*

أما في الحالة الثانية إذا قضيتُ الوقت مصلياً ناظراً إلى مرآة الله (أي إلى شخص الله) بكل جماله وروعته، متأملاً في محبته وأمانته وقداسته، فستطبع هذه الصورة على قلبي وفكري صفات الله الرائعة، لأن القوة الإلهية المغيّرة تكمن في معرفتنا وإدراكنا لشخصه.

أذكر مثالاً آخر:

إذا جرحني شخصٌ وأساء إليَّ، ثم دخلت إلى محضر الله أصلي طالباً المعونة، لأغفر له، وبدأت في سرد تفاصيل القصة أمام الله ساكباً أمامه مشاعري المتألمة المجروحة، وأنا أصف له كيف جرحني هذا الشخص

دون سبب. هل يغيّر هذا ما في قلبي ويدفعني للغفران؟ هل سأجد نفسي بعد انتهاء الصلاة قد غفرت له وسامحته، أم سيزداد غضبي منه أكثر؟ لماذا لم أستطع أن أسامح هذا الشخص رغم أني قد طلبت من الله أن يعطيني نعمة لأسامحه؟

السببِ أن كل ما فعلته في الصلاة هو النظر إلى نفسي (أي نظرت وجه خلقتي في مرآة) وإلى الشخص الذي أخطأ في حقي، وإلى ما جرى من ظروف ومواقف، والنتيجة هي زيادة ألمي وجرحي.

لكن ماذا يحدث إذا دخلت إلى محضر الله بجُرحي وصليت أن أرى غفران المسيح لخطيتي وخطية الآخرين، ورأيت رحمة الله على حياتي وحياة الآخرين؟

أؤكد لك أنه إذا صليت بهذه الطريقة سيتغيّر قلبك من شخص يحاول أن يغفر لشخص أساء إليه إلى شخص يقدم الغفران من قلبه لجميع من أساءوا إليه، وعندئذٍ سيكون عندك مرآةً تعكس صورة ونور ذاك الذي ينير ويغفر.

- *«نـاظِرِينَ مَجْدَ الرَّبِ... نَتَغَيَّر» (٢كورنثوس ٣: ١٨). هذا أمر مدهش!*

نعم مدهش، فالنور يضيء في الظلمة، والله نور. وعندما أنظر إلى النور وأكتشفه أتغير. لماذا؟ لأن الله ينير ظلمتي:

- *«نظروا إليه واستناروا ووجوههم لم تخجل» (مزمور ٣٤: ٥).*

تخيَّل أنك في حجرةٍ مظلمة ليلاً، وتريد أن تنيرها.. ماذا تفعل؟

هل تقوم مثلاً بجمع الظلمة وطرحها خارجاً ثم تأتي بالنور ليحل محل الظلمة؟ هل هذا حلٌ سليمٌ منطقي؟

بالطبع لا! فالحل البديهى هو أن تأتي بالنور فيطرد النورُ الظلمةَ. وهذا هو المفهوم الروحي الذي شرحه يوحنا بقوله:

- *«كَانَ النُورُ الحقيقِيُّ الذِي يُنيرُ كُلَّ إِنسانٍ آتيًا إِلَى العَالَمِ» (يوحنا ١: ٩)*

- *«وَالنُورُ يُضِيُء فِي الظُّلْمَةِ، وَالظُّلْمَةُ لَمْ تُدرِكْه» (يوحنا ١: ٥).*

وقال المسيح عن نفسه:

- *«أَنَا قَدْ جِئتُ نُوراً إِلَى العَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لاَ يَمْكُث فِي الظُّلْمَةِ» (يوحنا ١٢: ٤٦).*

لا شك أن النور أقوى من الظلمة. إن الطبيعة العتيقة التي بداخلي مظلمة. وحل المشكلة لا يكون بأن أطرد هذه الظلمة إلى الخارج، لكن أن أتعرض للنور، أي أن أرى الله، وذلك عملاً بالنصيحة المقدسة: «***ناظرين مجد الرب... فنتغَّير***» وهذه معجزة عمل المسيح فينا.

هل تذكر قصة موسى عندما صعد للجبل وقضى وقتاً طويلاً في محضر الله؟ فإنه بعد نزوله لم يستطع الشعب أن ينظر إلى وجهه لأنه كان يلمع، فطلبوا منه أن يضع برقعاً على وجهه، فكان يضع البرقع عندما يكلم الشعب، ولكن عندما يصعد إلى الجبل ليكلم الله كان يرفع البرقع.

ما هذا اللمعان في وجه موسى؟ إنه انعكاس نور الله على وجهه بعد أن جلس مع الله فصار جلد وجهه يلمع. وهذا مجرد تعبير مادي يعبر عن الحقائق الروحية في حياتنا كمؤمنين. ففي كل مرة نجلس في محضره وننظر إليه، نتغير إلى تلك الصورة عينها إذ يضع بصمته علينا ويحوِّلنا إلى مرآة تعكس مجده.

نحن لا نستطيع أن نغيِّر أنفسنا، وكل من يحاول هذا حتماً سيفشل، لكن بمجرد أن نتعرض لنور المسيح ، ينير الله ظلمتنا . فلكي تبدد الظلمة أضيء نوراً، والنور أقوى من الظلمة، والحق أقوى من الكذب، فإذا أردت أن تلغي تأثير كذبة شائعة، قُل الحقيقة فتتبدد هذه الكذبة تلقائياً.

القداسة ليست سبباً لكنها نتيجة، وحياة القداسة التي هي إرادة الله تأتينا نتيجة معرفة شخص الله وإدراكه ورؤيته، لأن القداسة نتيجة الحب والإيمان والمشاهدة. إن حبنا لله يجعلنا لا نريد أبداً أن نحزن قلبه، وثقتنا في الله تجعلنا نطيع وصاياه، ورؤيتنا لمجده تجعلنا نعكس صورته للآخرين.

سنعرف الله بقدر اقترابنا منه، ودون أن ندري سنجد أنفسنا نتغير ونتحول، وينظر إلينا الناس ويقولون إننا نُشبه المسيح.

دعونا نراقب الله وصفاته أكثر من أن نراقب أنفسنا

«ناظرين مجد الرب فنتغير»

رابعاً: يجد الله راحته في حياتي

عندما يوجد تواصل وتفاهم مبني على المعرفة المشتركة بين أي شخصين بطريقة جيدة، ينتج عن هذا راحة وسرور وسلام لطرفي هذه العلاقة.

عندما تفهم شخصاً فهماً جيداً، تعرف حينئذ كيف تريحه. وعندما يفهمك هو أيضاً بصورة عميقة سيعرف هو أيضاً كيف يريحك.

هذه المعرفة وهذا الفهم عن الآخر (عن كل ما يضايقه ويزعجه أو يسره ويفرحه) يجعلنا نعرف كيف يمكننا أن نتعامل معه. ولكن إذا لم يتوافر لنا حجم المعرفة المناسب لبعضنا فسنسبِّب مشاكل ومضايقات كثيرة لبعضنا، حتى لو لم نقصد ذلك.

هناك أمورٌ كثيرة تبدو في ظاهرها حسنة، بينما يأخذها الآخر بمحملٍ خاطئٍ. وأحياناً نعبرعن محبتنا للآخر متوقعين العرفان، بينما نجد أن الآخر فهم الأمر بطريقة مختلفة تماماً لدرجة أنه قد يعتقد أن التعبير صِيغَ بسخرية.

وأغلب العلاقات الزوجية الآن مليئة بعدم الفهم، سواء من جانب الزوج أو الزوجة، رغم أن معظم هذه الزيجات كانت نتيجة قصص حب عظيمة ومشاعر ملتهبة متدفقة. لقد تضاءل عدد الأزواج والزوجات الذين يتمتعون بعلاقة الحب الأولى التي نشأت بينهما.

هكذا الأمر في علاقتنا بالله:

قد تظل علاقتنا بالله مشدودة ومتوترة نتيجة عدم فهمنا له، بالرغم من أنه يفهمنا جيداً ويريد ويستطيع أن يريحنا. لذلك نصرخ في وجه الله عند حدوث أي موقف يشوبه الألم! أصرخ شاكياً أطلب تفسيراً، أو أحتج معترضاً ومتسائلاً: لماذا فعلت ذلك؟

في أحيانٍ كثيرة، نتهم الله أنه وراء كل الأحداث الأليمة التي حدثت وتحدث في حياتنا، بينما إذا عرفنا الحقيقة وعرفنا من هو الله وكيف يحبنا، وأنه غير مُجرَّبٍ بالشرور وغير مُجرِّبٍ بالشرور، بل أنه في كل ضيقنا يتضايق ويرسل ملاك حضرته ليخلصنا من الشرور ويحولها إلى الخير- إذا عرفنا الله على حقيقته، سوف نمتلئ فرحاً وسروراً وسلاماً غامراً حتى في عمق تجاربنا وآلامنا.

يسوق لنا الكتاب المقدس مثالاً عظيماً من قصة يوسف، فقد كلمه الله برؤى وأحلام أنه سيكون عظيماً والشمس والنجوم ستسجد له، وكل الحِزَم الأخرى ستنحني أمام حزمته. مرَّت الأيام وأُلقي يوسف في بئر، ثم بيع عبداً لقافلة الإسماعيليين حسداً وغيرة.. وأصبح هذا الطفل المدلل ذو القميص الملون عبداً ذليلاً. حتى بعدما بدأ يستريح في بيت فوطيفار، وجد نفسه مرةً ثانيةً عبداً مسجوناً متهماً بتهمةٍ شنعاء! فماذا كان رد فعله تجاه الله؟

ربما تظن أنه أخذ يلوم الله ويكيل الاتهامات، ويطلق الصرخات متوجعاً وشاكياً من ظلم وقسوة المواقف والإساءات التي حدثت له.

غير أن يوسف رغم صغر عمره عرف وفهم من هو الله. وأنه لا يصنع الشر، ولكن ما حدث معه كان نتيجة شر إخوته وشر إمرأة فوطيفار وليست يد الله! كان يعرف أن الله يستطيع أن يحول هذا الشر إلى خير ويُخرج من الآكل أَكلاً ومن الجافي حلاوة فهو **لا يريد ولا يصنع به شراً**.

كم من مؤمنين لهم سنوات وسنوات مع الله ومع ذلك يسألون: لماذا يُجربنا الله؟!

عزيزي انتبه!

يؤكد الكتاب وصيته لنا قائلاً

- *«لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا (بالشرور)» (يعقوب ١: ١٣).*

إن كنا غير مستريحين في علاقتنا بالله فالمؤكد أننا لم نفهم ولم نعرف بعد من هو الله! والمؤكد أيضاً أنه هو لم يسترح معنا بعد، وأنه ما زال يبحث أين يسند رأسه!

عند ما التقى أيوب بالله في نهاية محنته وفهم من هو، قال له:

- *«بِسَمْعِ الأُذنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي. لِذَلِكَ أَرْفُضُ وَأَنْدَمُ فِي التُّرَابِ وَالرَّمَادِ» (أيوب ٤٢:٥، ٦).*

اعترف أيوب أمام الله أنه أخطأ في شخص الله بالقول نتيجة عدم الفهم والمعرفة. وعندما أعلن الله عن نفسه لأيوب، رجع عن الكلام الذي تَفَوَّه به، مع أن الله لم يكن قد ردَّ سببه بعد ولا كان قد أجابه على تساؤلاته بعد. إلا أنه عرف من هو الله فسقطت كل الشكوك والمخاوف، وكفَّ عن الكلام الخاطئ في حق الله! رأى أيوب الله في كماله وجلال مجده!

هنا سؤال موجَّه لنا يجب أن نجيب عليه:

هل يستريح الله في حياتك وفي علاقته بك؟ وأنت، هل تشعر بالراحة في علاقتك بالله؟

إن كنت تشعر بالراحة في علاقتك مع الله، ثق تماماً أنه هو أيضاً يشعر بالراحة في علاقته معك. ولكي يشعر بالراحة في داخلك، يجب أن تكون أنت أيضاً شاعراً بالراحة والسلام والفرح في علاقتك به في كل ظروف الحياة، حلوها ومرها.

يا صاحب، هل تعرفه جيدًا؟ هل تعرف الراحة بين يديه؟

خامساً: أن أقدِّمه للآخرين وأشهد عنه:

في شهادتنا وكرازتنا عن الله، لا ينبغى أن تتمركز الشهادة على حياتنا واختباراتنا الشخصية، فإننا لا نكرز بأنفسنا ولكن نكرز بالمسيح يسوع رباً وبأنفسنا عبيداً.

أى أن يسوع المسيح وما صنعه بنا ومعنا هو موضوع كرازتنا.

قال الرسول بولس:

- *«فَإِنَنا لَسنا نَكرِز بِأَنفُسِنا، بَل بِالْمَسِيحِ يَسوعَ رَبًا، وَلكِن بِأَنفسِنا عَبيدًا لَكُمْ مِنْ أَجلِ يَسوع. لأَنَّ اللهَ الَّذي قَالَ أَنْ يُشرِقَ نُورٌ مِنْ ظُلْمَة، هُوَ الَّذِي أَشْرَقَ فِي قُلُوبِنَا، لإِنَارَةِ مَعْرِفَةِ مَجدِ اللهِ فِي وَجهِ يَسوعَ الْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ٤: ٥، ٦).*

وقالت المرأة السامرية:

- *«هَلُمُّوا انْظُروا إِنسانًا قَالَ لِي كُلَّ مَا فَعَلْت. أَلَعَلَّ هَذا هُوَ الْمَسِيحُ؟ فَخَرَجوا مِنَ الْمَدِينَةِ وَأَتَوا إِلَيهِ» (يوحنا٤: ٢٩، ٣٠).*

أشارت في حديثها إلى يسوع وكل المدينة خرجت إليه لتلتقي به، وعندئذ قالوا لها:

- *«إِنَنا لَسنا بَعْد بِسَبَبِ كلامك نُؤمِن لأَنَنا نَحنُ قَد سَمِعْنا وَنَعلَم أَنَ هَذا هُو بِالْحَقِيقَةِ الْمَسِيحُ مُخَلِّص الْعَالَمِ» (يوحنا ٤: ٤٢).*

الشهادة والخدمة المؤثرة بحق هي التي تُشير إلى يسوع:

- *«ذوقوا وانظروا ما أطيب الرب» (مزمور ٨:٣٤)*

إنه رائع وكامل الجمال! مؤثرٌ يسبي القلوب والعقول!

والسؤال الذى قد يتبادر إلى الذهن: كيف سأقدمه للآخرين إن لم أكن أعرفه جيداً؟

والإجابة هي: بقدر ما تراه وتعرفه تستطيع أن تقدمه وتمجده في عيون الناس. وبقدر ما هو مُبهر بالنسبة لك ستُبهر أنت الناس به، فأنت لا تستطيع أن تصف مشهداً للناس دون أن تراه بعينيك، ولا تستطيع أن تقنع الآخر بحقيقة أنت غير مقتنع بها. يقول الرسول يوحنا:

- *«ٱلَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُم بِهِ» (١يوحنا ١:١).*

ويقول الرسول بولس:

- *«هَادِمِينَ ظُنُونًا وَكُلَّ عُلْوٍ يَرْتَفِعُ ضِدَّ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ ٱلْمَسِيحِ» (٢كورنثوس ١٠: ٥).*

نعم، نحن نستطيع أن نهدم ظنوناً وكل علو ونستأسر كل فكر لطاعة المسيح عندما نراه ونعرفه.

تعلمت من خبرتي كخادم أني عندما أحدّث الناس عن خطاياهم ومشاكلهم لا أراهم يتوبون، لكن عندما أحدثهم عن المسيح أرى العيون شاخصة إليه وأرى الخطاة يتوبون. نعم نحن نكرز بالمسيح.

بالطبع نحتاج أن نوضح الخطية وتأثيرها المدمر، مشيرين الى عوزنا واحتياجنا للمسيح، على أن يكون المسيح مركز حديثنا وموضوع كرازتنا.

إن تكلمنا عن الحياة الجديدة نقول ببساطة إنها «معرفة الله» وهي علاقة وشركة مع الآب والابن والروح القدس، الله الواحد. وإذا تكلمنا عن التوبة نقول إنها العودة لهذه العلاقة مع الله. أيضاً إذا تحدثنا عن الإيمان نقول إنه الثقة فيه.. وبهذا يكون هو محور كرازتنا وموضوعها.

ومن ناحية أخرى، قد نصوِّر الله أحياناً بأنه الإله الذي يستجدي عطف الخطاة، ونحاول أن نثير شفقتهم ليقبلوا المسيح رباً، غير أن ما تعلَّمناه من عظة بطرس يوم الخمسين مختلف تماماً، فقد قال:

- *«أَيها الرِّجَالُ الإِسْرَائِيلِيُّونَ اسْمَعُوا هذهِ الأَقْوَالَ: يَسُوعُ النَّاصِرِيُّ رَجُلٌ قَدْ تَبَرْهَنَ لَكُمْ مِنْ قِبَلِ اللهِ بِقُوَّاتٍ وَعَجَائِبَ وَآيَاتٍ صَنَعَهَا اللهُ بِيَدِهِ فِي وَسْطِكُمْ، كَمَا أَنْتُمْ أَيْضاً تَعْلَمُونَ. هذَا أَخَذْتُمُوهُ مُسَلَّماً بِمَشُورَةِ اللهِ الْمَحْتُومَةِ وَعِلْمِهِ السَّابِقِ، وَبِأَيْدِي أَثَمَةٍ صَلَبْتُمُوهُ وَقَتَلْتُمُوهُ. اَلَّذِي أَقَامَهُ اللهُ نَاقِضاً أَوْجَاعَ الْمَوْتِ، إِذْ لَمْ يَكُنْ مُمْكِناً أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ.. فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعاً شُهُودٌ لِذلِكَ» (أعمال ٢: ٢٢–٢٤، ٣٢).*

وكانت نتيجة عظته رجوع الالآف للمسيح، فبقدر ما نعرف ونفهم من هو المسيح بقدر ما يكون تأثير شهادتنا وكرازتنا، فشهادتنا هي إنعكاس لمعرفتنا به.

فهل أنت شاهد حقيقي؟ أم أنك شاهد لم يَّر شيئًا

المبادئ المسيحية هي أن:

١. نحب الله محبة تزيد عمقاً مع الأيام

٢. نثق به ثقة كاملة ونضع حياتنا بين يديه يوماً فيوم.

٣. نتغيَّر فنصير مثله.

٤. نُريحه ونرتاح في علاقتنا به.

٥. نقدمه للناس بقوة وأمانة...

وسر هذه الحقائق الخمس هو معرفة الله

صلاة

يا رب، اعلن لي عن نفسك وافتح عينيَّ فأراك، واعطني روح الحكمة والإعلان في معرفتك لكي أعرفك كما أنت. ساعدني لأقترب إليك لأراك في جمالك وجلالك، في بهائك وكمالك..

آمين

(ب) طرق معرفة الله[1]

نناقش فى هذا الفصل كيفية إعلان الله عن نفسه، وأين؟

توجد خمس طرق أساسية يعلن بها الله عن نفسه:

- الطبيعة
- الكلمة المقدسة
- الروح القدس
- الكنيسة
- أعمال العناية

أولاً: يعلن الله عن نفسه من خلال الطبيعة:

- *«اَلسَّمَاوَاتُ تُحَدِّثُ بِمَجْدِ اللهِ وَالْفَلَكُ يُخْبِرُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. يَوْمٌ إِلَى يَوْمٍ يُذِيعُ كَلاَمًا وَلَيْلٌ إِلَى لَيْلٍ يُبْدِي عِلْمًا. لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ»* (مزمور ١٩: ١– ٤).

تناول هذا المزمور أمرين: مجد الله وعمل يديه.. أي شخصه وما يصنعه.

لا تُخبر السموات ولا يذيع الفلك فقط ما صنعه الله بل يحدّثون أيضاً عن مجده وعن حقيقته، بالرغم من عدم قدرتهم على الكلام؛ لكن قد خرج منطقهم إلى كل الأرض وإلى أقاصي المسكونة.

وقد تناول الرسول بولس نفس مفهوم معرفة الله الظاهرة في الطبيعة في قوله:

- *«إِذْ مَعْرِفَةُ اللهِ ظَاهِرَةٌ فِيهِمْ لأَنَّ اللهَ أَظْهَرَهَا لَهُمْ لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ»* (رومية ١: ١٩، ٢٠).

إنه يقول أن الأمور غير المنظورة – أي الأمور الروحية – تُرى منذ خلق العالم في الطبيعة. فالخليقة تُظهر لنا جمال إبداع الخالق وروعة الخلق، بل وتبرهن على قدرته اللانهائية، وبذلك تشهد لألوهيته.

إن نظرة واحدة للكون (المجرات والنجوم والكواكب، وكيفية عملها ودورانها بدقة) تجعلنا نلمس وندرك أن وراءه خالقاً عظيماً. وإذا تأملنا في الكائنات الحية وتكوينها المركب الرائع الذي لا يضاهيه أي شيءٍ آخر في الكون، نرى بكل يقين أن بارئها إلهٌ مبدع وخالق حكيم وصالح.

فالخليقة إثباتٌ علميٌ ومنطقيٌ على وجود خالق غير محدودٍ ولا نهاية له. وتبرهن لنا بعضاً من صفاته الرئيسية مثل الحكمة والإبداع، والوحدة والقوة... وهي ما سنتحدث عنها باستفاضة في هذه الدراسة، لكننا هنا نتوقف لحظاتٍ عند حقيقة إثبات وجود الله ومن هو هذا الخالق العظيم.

أثبت لنا العلم أن للكون بدايةً. وطبقاً للحقيقة العلمية التى تقول (إن المادة لا تخلق من عدم ولا تفنى) فإنه يستوجب وجود مسبب لهذا الكون (أى خالق). وهذا المسبب لا بد أن يكون لا نهائياً وإلا فسيحتاج لمن يخلقه وبالتالي لن يستطيع أن يَخلُق. وهذا ما أطلق عليه بعض العلماء لفظة «الطبيعة».

لكن ما هي أو من هي الطبيعة؟ إن كانت الطبيعة قوة هائلة خالقة وعقلاً ذكياً عبقرياً فلماذا لا نسميها «الله»، خاصةً وأن تلك الخليقة تعلن بوضوح في قوامها وسلوكها أن لهذا الخالق دوراً أدبياً وحساً يميز بين الصواب والخطأ. (راجع دراسة إثبات وجود الله).

إذاً ما ذكره (مزمور ١٩، رومية ١)

حقيقة مؤكدة. كما أن فهمنا كمؤمنين أن الخليقة إعلانٌ عن الله يعطينا بُعداً جديداً للتعامل معها إذ نستطيع:

١. أن نرى فيها الجمال والجلال المنعكس من شخصه العزيز المبارك.

٢. أن نكوّن علاقةً معها ونفهم معانيها.. معنى الوردة الجميلة، معنى البحر الهادئ والهائج، معنى النسمة العليلة التي تداعب وجوهنا والريح العاتية التي تعصف بما حولنا..

٣. معرفة كيف نستمتع بها مثل الاستمتاع بجمال الطبيعة، والاستمتاع بالهواء والشمس والاستمتاع بالبحر وما فيه.

٤. وكيف نعملها ونحفظها كما أوصانا الرب في سفر *التكوين*

- «*وَأَخَذَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ وَوَضَعَهُ فِي جَنَّةِ عَدْنٍ لِيَعْمَلَهَا وَيَحْفَظَهَا*» *(تكوين ٢: ٥)*.

أي نكون وكلاء عليها فلا نسيء استخدامها كما يحدث اليوم في الغابات والشعب المرجانية والانبعاثات الحرارية.

ثانياً: يعلن الله عن نفسه في الكلمة المقدسة:

الكتاب المقدس هو حديث الله لنا، وما أعجب هذا الحديث! وأهم ما به ليس فقط مجرد مواعيد الله ووعوده العظمى، وليس هو مجرد بيان بما هو صواب وخطأ؛ بل إن فحواه هو الله نفسه. فأكثر ما يريد الله أن يُعلنه لنا لندركه ونفهمه هو شخصه، وأروع ما في الكتاب المقدَّس أننا نرى فيه شخص الله، فكر الله ومشاعره وإرادته وأعماله، أي شخصيته.. هويته.. من هو على حقيقته.

إن أغلب قارئي الكتاب المقدس بل أغلب المؤمنين باحثون عن الحقائق والنبوّات والمواعيد والعهود والإرشاد.. في كل هذا لم يُخطئوا. ولكن العلاقة المثلى بالكلمة المقدسة هي البحث عن إعلان الله عن نفسه، عن شخصه المبارك الذي أعلنه لنا في صفحات الكتاب، وهذا ما قاله السيد المسيح للكتبة والفريسيين:

- «*فَتِّشُوا ٱلْكُتُبَ لأَنَّكُمْ تَظُنُّونَ أَنَّ لَكُمْ فِيهَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهِيَ ٱلَّتِي تَشْهَدُ لِي*» (يوحنا ٥: ٣٩).

كم هذه العبارة رائعة! فالحياة الأبدية ليست في الورق والحبر بل هي في شهادة الكتب عن المسيح؛ الكلمة الابن. فالكتب المقدسة تعلن لنا عن الله، والحياة هي في الله، في معرفته كما ذكرنا، في الشركة والعلاقة معه.

وهذا ما يكلمنا به كاتب العبرانيين:

- *«اَللهُ، بَعْدَ مَا كَلَّمَ الآبَاءَ بِالأَنْبِيَاءِ قَدِيمًا، بِأَنْوَاعٍ وَطُرُقٍ كَثِيرَةٍ، كَلَّمَنَا فِي هذِهِ الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ فِي ابْنِهِ - اَلَّذِي جَعَلَهُ وَارِثًا لِكُلِّ شَيْءٍ، اَلَّذِي بِهِ أَيْضًا عَمِلَ الْعَالَمِينَ» (عبرانيين ١: ١، ٢).*

لقد كلَّمنا الله في القديم بالأنبياء (العهد القديم)، ولكنهم لم يستطيعوا أن يصفوه لنا... كل جوانب صورته الحقة، وبالتالي لم نستطع معرفته، فاختار أن يُكلمنا في آخر الأيام في ابنه يسوع المسيح (العهد الجديد)، بمعنى أن المسيح هو حديث الله إلينا.. لأنه هو كلمة الله المتجسدة.. إعلان الله عن نفسه.

- *«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يوحنا ١: ١٤).*

- *«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يوحنا ١: ١٨)* أي جعله معروفاً.

لم يأتِ المسيح فقط ليُخبِّر عن الخلاص في شخصه ويجعله متاحاً لنا، مع أن هذا الأمر عظيم وهام في حد ذاته، ولكنه بالأكثر خبَّر عن الآب ومحبته وصورته وماهيته، ومن ثمَّ صنع لنا فداءً هذا مقداره.

- «*الذين فيهم إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لئلا تضيء لهم إنارة إنجيل مجد المسيح، الذي هو صورة الله....لأن الله الذي قال أن يشرق نور من ظلمة، هو الذي أشرق في قلوبنا، لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع المسيح. (٢كورنثوس ٤: ٤، ٦).*

أعمى عدو الخير عيون الكثيرين لئلا يروا فيعرفوا ويدركوا الله! بينما اختار الله أن يعلن نفسه بكل وضوح في «الابن» أي في وجه الرب يسوع المسيح.

غير أننا مازلنا حتى الآن، نطلب من الله نفس طلبة فيلبس: «أرنا الآب وكفانا»، ومازال المسيح يرد نفس الرد:

- «*من رآني فقد رأى الآب*» *(يوحنا ١٤: ٩).*

يقول الكثيرون: ليتنا كنا نحيا في أيام المسيح وخاصة في مدينة أورشليم وكنا رأيناه وجلسنا حوله وسمعناه.. لكننا نعيش امتيازاً وهو كوننا نستطيع أن نسمعه من خلال العهد الجديد يتكلم نفس الكلمات مرات ومرات. بل ويمكننا أن نتأمل ونرى ونشاهد ما صنعه المسيح من كافة الجوانب حسبما دوّن الروح القدس في الأناجيل الأربعة، كذلك يمكننا أن نحفظ أقواله التي قالها ونرددها.

لم يكن بولس الرسول أحد أولئك الذين رافقوا المسيح في رحلته على الأرض، ولم يكن عنده العهد الجديد الذي بين أيدينا اليوم، إلا أن ذلك لم يمنعه من أن يكون تلميذاً نجيباً للمسيح، يعرفه ويحبه ويخدمه.

عندنا اليوم امتياز توفُّر الكلمة المقدسة بعهديها القديم والجديد، بترجمات مختلفة وبطرق متعددة سواء مكتوبة أو مسموعة أو منظورة. فلدينا حديث الله لنا الذي فيه نرى ونسمع قصة الله مع الإنسان. قصةٌ حقيقيةٌ، بطلها عبر التاريخ هو الرب وليس الإنسان. وإذا تابعت البطل في هذه القصة سوف تفهم فكره، وتحس مشاعره، وتكتشف إرادته.. سوف تتعرف على صفاته وشخصيته الواضحة، وطرقه المستقيمة التي لم ولن تتغير أبداً عبر الزمان.

إن كنت تريد أن ترى الله وتشاهده عن قرب وتتعرف عليه حقاً فعليك أن ترى يسوع

- *«الَّذِي، وَهُوَ بَهَاءُ مَجْدِهِ، وَرَسْمُ جَوْهَرِهِ»* (عب ١: ٣)

وتتأمل فيه وستنفتح عيناك على شخصه المبارك.

ثالثاً: يعلن الله عن نفسه بالروح القدس:

- *«ذَاكَ يُمَجِّدُنِي لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ. كُلُّ مَا لِلآبِ هُوَ لِي. لِهَذَا قُلْتُ إِنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يوحنا ١٦: ١٤، ١٥).*

يأخذ الروح القدس مما عند الآب والابن من معرفة وحق ويتكلم إلينا.

يأخذ ما هو مكتوب في الكلمة المقدسة ويعلنه لنا فيمسك بيدنا ليحلق بنا في سماء المعرفة والإدراك الإلهي فتنفتح عيوننا لنرى الله بكل جماله وبهائه.

- *«كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، أَبُو الْمَجْدِ، رُوحَ الْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ، مُسْتَنِيرَةً عُيُونُ أَذْهَانِكُمْ، لِتَعْلَمُوا مَا هُوَ رَجَاءُ دَعْوَتِهِ، وَمَا هُوَ غِنَى مَجْدِ مِيرَاثِهِ فِي الْقِدِّيسِينَ» (أفسس ١: ١٧، ١٨)*

إنه روح الحكمة والإعلان الذي يحول الحقائق الكتابية إلى إعلانٍ نراه.

وهو من يحوِّل جمال وجلال الطبيعة الإلهية وإعلان الله عن مجده إلى رسائل نفهمها.

ومن يكلمنا في أعماقنا ويمجد المسيح في عيوننا.

هو من يعطينا الرؤى والأحلام لنرى الله في أذهاننا في وعيٍ يفوق الطبيعة.

هو الذي يُحول الإعلانات الإلهية لصورة حية مقروءة ومنظورة وملموسة لنا.

هو من بدونه تصير كل طرق معرفة الله صامتة وصمَّاء ومجرد معلومات لا تغني ولا تشبع.

- *«مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ، فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ» (١كورنثوس ٢: ٩، ١٠).*

لا يتكلم الرسول بولس هنا عما سيحدث في السماء بعد انتقال المؤمنين، بل يتكلم عما أعده الله لنا **هنا والآن** «فقد أعلنه الله لنا نحن بالروح القدس». والروح القدس الذي يفحص كل شيء حتى أعماق الله هو الشخص الذي يستطيع أن يأخذنا في رحلة رائعة مبهرة إلى أعماق الله فنرى الله ونسمع منه، وهو يعرِّفنا عن نفسه بنفسه. إنه يريد أن يحملنا لنرتفع بقلوبنا وروحنا إلى لقاء الله.

فالروح القدس يشبه – وهو شخص الله نفسه– سفينةَ الفضاء الإلهية التي تُبحر بنا إلى أعماق الله الحي.. فنغوص في بحر المعرفة والإدراك الفائق للحدود أو التعبير بالكلمات.

رابعاً: يعلن الله عن نفسه في أعمال العناية:

- *«كُنْتُ أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ وَكُنْتُ لَهُمْ كَمَنْ يَرْفَعُ النِّيرَ عَنْ أَعْنَاقِهِمْ وَمَدَدْتُ إِلَيْهِ مُطْعِمًا إِيَّاهُ» (هوشع ١١: ٤)*

إن نظرة بسيطة لمسيرة شعب الله في القديم، تُظهر لنا جلياً أعمالَ عناية الله العظيمة، فقد أعلن نفسه في عمود السحاب والنار، في المن والسلوى، في شق البحر والعبور.. وغيرها من الأمور الفائقة.

وعلى سبيل المثال، إذا تأملنا قصة حياة يوسف وحجم المعاناة والألم التي مرَّ بها منذ إلقائه في البئر بيد إخوته إلى بيعه عبداً، ثم العمل في بيت فوطيفار والزج به في السجن ظلماً؛ قد لا نرى عناية الله لأول وهلة، غير أن الكتاب يقول:

- *«وَكَانَ الرَّبُّ مَعَ يُوسُفَ فَكَانَ رَجُلاً نَاجِحًا. وَكَانَ فِي بَيْتِ سَيِّدِهِ الْمِصْرِيِّ. وَرَأَى سَيِّدُهُ أَنَّ الرَّبَّ مَعَهُ وَأَنَّ كُلَّ مَا يَصْنَعُ كَانَ الرَّبُّ يُنْجِحُهُ بِيَدِهِ»*
- *«وَلَكِنَّ الرَّبَّ كَانَ مَعَ يُوسُفَ وَبَسَطَ إِلَيْهِ لُطْفًا وَجَعَلَ نِعْمَةً لَهُ فِي عَيْنَيْ رَئِيسِ بَيْتِ السِّجْنِ» (تكوين ٣٩: ٢، ٣)*

ويقول الكتاب عن الفتية الثلاثة وهم في أتون النار:

- *«حينئذ تحير نبوخذنصر الملك وقام مسرعا وسأل مشيريه: «ألم نلق ثلاثة رجال موثقين في وسط النار؟» فأجابوا: «صحيح أيها الملك». فقال: «ها أنا ناظر أربعة رجال محلولين يتمشون في وسط النار وما بهم ضرر ومنظر الرابع شبيه بابن الآلهة». ثم اقترب نبوخذنصر إلى باب أتون النار المتقدة ونادى: «يا شدرخ وميشخ وعبدنغو يا عبيد الله العلي اخرجوا وتعالوا». فخرج شدرخ وميشخ وعبدنغو من وسط النار. فاجتمعت المرازبة والشحن والولاة ومشيرو الملك ورأوا هؤلاء الرجال الذين لم تكن للنار قوة على أجسامهم وشعرة من رؤوسهم لم تحترق وسراويلهم لم تتغير ورائحة النار لم تأت عليهم» (دانيال ٣: ٢٤-٢٧).*

هؤلاء شاهدوا ولمسوا إعلان الله عن نفسه واضحاً متجسداً عندما مروا بالتجربة والألم، وهكذا فإننا نستطيع أن نرى الله ونعرفه بل وندركه في أعمال العناية والرعاية المتنوعة التي يغدقها الله علينا. فهو يسمع ويستجيب وأعماله تشهد عنه (خاصة في وقت الضيق والألم)

وفى العهد الجديد نرى المسيح مع تلاميذه عندما كان نائماً في السفينة بينما الأمواج تتقاذفها

- *«وَكَانَ هُوَ فِي الْمُؤَخَّرِ عَلَى وِسَادَةٍ نَائِمًا. فَأَيْقَظُوهُ وَقَالُوا لَهُ: «يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟» (مرقس ٤: ٣٨).*

في الظروف الصعبة التي نمرُّ بها، تتجسد وتظهر أعمال عناية الله فنراه جلياً. لكننا قد لا نطيق صبراً كما فعل التلاميذ حين قالوا له منزعجين: *«يَا مُعَلِّمُ أَمَا يَهُمُّكَ أَنَّنَا نَهْلِكُ؟»*.

دعنا ننظر إلى هذا الإعلان الرائع – في الأعداد التالية – الذي كان المسيح مزمعاً أن يعلن عن نفسه

- *«فَقَامَ وَانْتَهَرَ الرِّيحَ وَقَالَ لِلْبَحْرِ: «اسْكُتْ. اِبْكَمْ». فَسَكَنَتِ الرِّيحُ وَصَارَ هُدُوءٌ عَظِيمٌ. وَقَالَ لَهُمْ: «مَا بَالُكُمْ خَائِفِينَ هكَذَا؟ كَيْفَ لاَ إِيمَانَ لَكُمْ؟» فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا وَقَالُوا بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: «مَنْ هُوَ هذَا؟ فَإِنَّ الرِّيحَ أَيْضًا وَالْبَحْرَ يُطِيعَانِهِ!» (مرقس ٤: ٣٩– ٤١).*

تظهر هذه الحقيقة ساطعة كضياء الشمس في الكتاب المقدس! غير أننا كثيراً ما نهتم بأعماله أكثر منه بنفسه؛ مع أنه من المفروض أن قيمة العمل هي في كونها شهادةً عنه. كل ما يعمله الله معي يجعلني أفهمه، وأفهم حبه، وليس فقط لأتمتع بما صنعه معي وأفرح به، بل لأستمتع بمعرفة الله وشخصه.

في حياتي اختباراتٌ كثيرة منها الصغيرة والكبيرة، وفي أغلبها أُنقذت سواء كانت مشكلة أو ورطة أو أزمة.... وفي كل مرة كنت أمُرُّ فيها بصعابٍ كان ما يحدُث لي يُحدِث فرقاً كبيراً معي، ليس فقط بما يصنعه **الله** معي، بل بالأكثر لكونه قريباً مني وكوني أدرك المزيد عنه.

عرفتُ الكثير عن **الله** أثناء هذه الاختبارات من أعمال عنايته؛ فإن يديه المعطيتين الكريمتين تُعبِّران عن قلبه الحنون الأبوي وأمانته التي بلا حدود... فهو يعِد ويفي، يتكلم ويصنع.

دعوني أشارك قصة واحدة من آلاف القصص التي اختبرتها في حياتي:

دخلت كلية الضباط الاحتياط بالجيش، وكانت الفترة الأولى لنا بالكلية (تسمى فترة المستجدين) لمدة ٣٥ يوم، لا يُسمح فيها بالخروج أو الدخول وتتسم بالضبط والربط الشديدين وكنا فى تلك الفترة في معسكر مغلق، وعندما وصلنا أول يوم أعطوا لكل واحد منا «مخلة» بها كل شيء نحتاجه مثل الكاب والأفرول وكل شيء، ولكن لكل واحد كاب واحد واثنين من الأفرول. وبعد عشرة أيام اختفى الكاب الخاص بي وبدونه لا أستطيع الخروج للطابور ولا أستطيع طبعاً البقاء في العنبر. وفي كلتا الحالتين سأُعاقب. ولم يكن ممكناً أن أقوم بشراء كاب، أو آخذه من أحد

لأن كل واحد معه كاب واحد فقط فصرخت إلى الرب: أنت هو الحل الوحيد. وعندها التقيت بصديق غير مستجد جاء لحفل تخرجه من الكلية، قال لي إن معه كاب آخر وأعطاه لي فكان هذا إنقاذاً لي. وكانت فرحتي بالكاب كبيرة ولكن فرحتي بالله كانت أكبر (عمل من أعمال العناية) ورأيت كم هو قريب مني ويشعر بي.

إن روعة أعمال العناية الإلهية تشهد عنه، فالقيمة ليست في عظيم العمل ذاته، لكن في الإعلان الذي يُظهر صلاح الله وجوده ورحمته معنا.

خامساً: يعلن الله عن نفسه في الكنيسة:

اختار الله الكنيسة لتكون إناءً يعلن عن نفسه من خلالها، ولتكون استمراراً لتجسد المسيح على الأرض.

ليست الكنيسة مكاناً أو جدراناً بل هي البناء الحي المتحرك الموجود في العالم والذي يتمجد فيه المسيح.

قال المسيح:

- *«مِنْ أَجْلِهِمْ أَنَا أَسْأَلُ. لَسْتُ أَسْأَلُ مِنْ أَجْلِ الْعَالَمِ بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي لأَنَّهُمْ لَكَ. وَكُلُّ مَا هُوَ لِي فَهُوَ لَكَ وَمَا هُوَ لَكَ فَهُوَ لِي وَأَنَا مُمَجَّدٌ فِيهِمْ» (يوحنا ١٧: ٩، ١٠)*

كثيراً ما نتوقع ونحن آتين إلى الكنيسة أن نرى الله من خلال المنبر أو من خلال كلمة الوعظ أو في وقت العبادة والتسبيح، وهذا كله صحيحٌ وجميلٌ. لكننا أيضاً يجب أن نتوقع أن نراه وندركه في بعضنا البعض لأننا عمله ومعجزته. نحن نرى محبة المسيح في وحدة المؤمنين، نرى قدرة الله في تغييره للخاطئ وتحويله إلى قديس، نرى قوة الشفاء والتحرير والغفران الذي يصنعه الله في حياتنا كمؤمنين. وهذا كله يجعلنا نرى مجد الله وإعلان الله عن نفسه من خلال عمله فينا.

إن كنا لا نرى الله في الكنيسة فذلك لأننا لا نبحث عنه فيها، بل نبحث عن أنفسنا وعن احتياجاتنا أولاً.

- *«وَاحِدَةً سَأَلْتُ مِنَ الرَّبِّ وَإِيَّاهَا أَلْتَمِسُ: أَنْ أَسْكُنَ فِي بَيْتِ الرَّبِّ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِي، لِكَيْ أَنْظُرَ إِلَى جَمَالِ الرَّبِّ، وَأَتَفَرَّسَ فِي هَيْكَلِهِ» (مزمور ٢٧: ٤).*

في بيت الرب أستطيع أن أنظر جماله وأتفرس في جلاله (البناء العظيم الذي بناه)، لذلك نحن نحتاج إلى الكنيسة لنرى الله متجسداً فيها. والكنيسة (أي جماعة المدعوّين من العالم) تحتاج لك ولي ولكل واحد منا لأننا جزءٌ منها، والمسيح فينا

- *«هَذَا الشَّعْبُ جَبَلْتُهُ لِنَفْسِي. يُحَدِّثُ بِتَسْبِيحِي» (إشعياء ٤٣: ٢١)*

فالسموات تحدث.. والكنيسة تحدث

السموات تخبر.. والكنيسة تخبر

فلنسمح له أن يُقدم صورته واضحة فينا، ونحترس من أن تكون الصورة المشوهة عنه!

لو أدركنا قيمة الكنيسة العظمى من هذا الجانب؛ أن في وحدتها معجزة الحب وبرهان الثالوث، وفي انقسامها وصراعها على المناصب تشويه لروحه وتشويه لعظمة محبته ووحدانية الثالوث، لعرفنا دور الكنيسة الأعظم في إعلان مجد محبته.

لنسترجع ما تحدثنا عنه حتى الآن:

- **معنى معرفة الله:** قلنا إنها ليست مجرد فهم بل فهم وإدراك لشخصه العجيب.
- **أهمية معرفة الله:** تحدثنا عن الحياة الروحيه وأنها ارتبطت بالمعرفة، لأن معرفتنا بالله تجعلنا نحبه لذاته، ونثق فيه، ونتغير لصورته، لنستطيع أن نكوِّن علاقة يستريح فيها الله معنا ونستطيع أن نقدم شهادة مؤثرة للآخرين.
- **طرق الإعلان عن الله:** في الطبيعة، في الكلمة المقدسة، من خلال الروح القدس، وأعمال العناية، وفي الكنيسة.

هذا، وسنركز في الأجزاء الآتية على معرفة **الله** من خلال الكلمة المقدسة وإعلان **الله** عن نفسه فيها. وسندرس ما قاله الكتاب المقدس عن **الله**، وماذا قال **الله** عن نفسه فيها.

ومن خلال هذه الدراسة، سندرس الخطوط العريضة التي تحدَّث عنها الكتاب المقدس ونرى صورة واضحة ستجاوب على كثير من التساؤلات التي قد تدور في أذهاننا وتصحح مفاهيم مغلوطة عن الله، عاقتنا أن نستمتع به. وسنرى كيف أن هذا الإله بسيطٌ وعميق جداً، رائعٌ للغاية، مقنعٌ ومدهش جداً، وواضحٌ كالشمس الساطعه. والوضوح لا يشير هنا إلى محدودية ما، لأن الله غيرُ محدودٍ ولكنه واضحٌ وأعلن عن نفسه بكل وضوح وجلاء.

صلاة

أدعوك أن تصلي معي هذه الصلاة:

يا رب، أريد أن أعرفك كما أنت على حقيقتك

أسألك أن تهبني روح الحكمة والإعلان في معرفتك

أشرق على ذهني بنور ضيائك، لتستنير عيون ذهني لفهم المكتوب

انزع البرقع من على عينيّ فأراك بوجه مكشوف وكمرآة اعكس صورتك البديعة.

املأ قلبي بالحب المقدس لشخصك والشغف الدائم لاكتشاف أعماق قلبك أيها الآب السماوي..

آمين

عزيزي القارئ:

دعنا ندخل إلى داخل الحجال ونتقدم إلى قدس أقداس هذه الدراسة، وندرس ونتعلم من هو الله بالحقيقة. سنتناول دراسة شخصية الله في ثلاثة فصول متتالية هي:

- طبيعة الله.
- صفاته الطبيعية.
- صفاته الأدبية.

أولاً	ثانياً	ثالثاً
طبيعة الله	صفات الله الطبيعية	صفات الله الأدبية (الأخلاقية)
١. الله روح	١. سرمدي	١. المحبة
٢. الله شخص	٢. كلي الوجود	٢. القداسة
٣. الله ثالوث	٣. كلي القدرة	٣. الرحمة
	٤. كلي المعرفة	٤. البر
		٥. الحق
		٦. الحكمة
		٧. الأمانة



الفصل الثاني
طبيعة الله

مقدمة

بدايةً يجبُ أن نوضحَ الفرقَ بين «طبيعة الله» و«صفات الله الطبيعية» بالرغم من ارتباطهما الوثيق. فعندما نتحدَّث عن «طبيعة الله» نقصد أن نشير إلى «الشخص ذاته» وليس إلى صفاته أو قدراته. أما عندما نتكلم عن «صفات الله الطبيعية» فتكون الإشارة إلى قدرات الله وإمكانياته:

فهو غير محدود ∝ من نحو الزمان، فالله سرمدي.

وهو غير محدود ∝ من نحو المكان، فالله كلي الوجود.

وهو غير محدود ∝ من نحو القدرة، فهو كلي القدرة.

وهو غير محدود ∝ من نحو المعرفة، فهو كلي المعرفة.

أي أنه لا نهائي من جهة:

الزمان

المكان

القدرة

المعرفة

إذاً، الحديث عن طبيعة الله يختلف «نوعاً ما» عن قدراته الطبيعية. ولنوضح هذه الحقيقة بمثال نقول: إن للإنسان «طبيعةً» من روح ونفس وجسد.. أما عن «قدراته الطبيعية» فنصفه بالقول إن بصره حاد، يتميز بقوة جسدية تمكنه من الجري لمسافة معينة وبسرعة معينة، ويستطيع أن يرفع عدداً معيناً من الكيلوجرامات، كما أن لديه ذكاءً يُقدَّر بالطريقة الفلانية.. إلخ. وستتضح هذه الأمور بالأكثر عندما نشرح الجوانب المختلفة عن طبيعة الله.

أما ما أسميناه بالصفات الأدبية (الأخلاقية) فهي تلك الصفات التي تتعلق «**بالعلاقات**» وليس «**بالإمكانيات**». سندرس سبع صفات رئيسية هي:

المحبة؛ والقداسة؛ والرحمة؛ والبر (العدل)؛ والحق؛ والحكمة؛ والأمانة.

تختلف هذه «الصفات السبع» عن «الصفات الطبيعية الأربع» من حيث أن السبع صفات تتجلى فى العلاقة التى تربطها بعضها ببعض، وتعكسها علينا: فهو رحيم **معنا** وأمين **معنا** وحقٌ **معنا**؛ وهذا يختلف عن كونه سرمدياً، كلي المعرفة، وكلي الوجود.. لذا استحسنا أن نضع تمييزاً بينهما، ونضعهما في قسمين (كما هو مبين بالجدول السابق) فيتسنى لنا إيضاح ودراسة الفرق بين الصفات الطبيعية والصفات الأدبية.

وتلاحظ عزيزى القارئ أن

المجموعة الأولى (طبيعة الله وصفاته الطبيعية) مكونة من سبع نقاط (إذا جمعنا نقاط كلٍ منهما)؛ والمجموعة الأخرى من سبع نقاط أيضاً، أي أننا نتحدث عن أربعة عشر موضوعاً. وهنا تجدر الإشارة أنهم مرتبطون ببعضٍ ومكمِّلون لبعض، بل ويرسمون في النهاية صورةً واضحةَ المعالم لإلهنا العظيم. فهو إلهٌ واضحٌ وبسيطٌ كما أعلن عن نفسه في الكلمة المقدسة بشكلٍ هائلٍ. وسوف نسير معاً عبر هذه الرحلة الكتابية يصاحبنا كمٌّ هائل من الشواهد الكتابية التى يتحدث فيها **الله** عن نفسه.

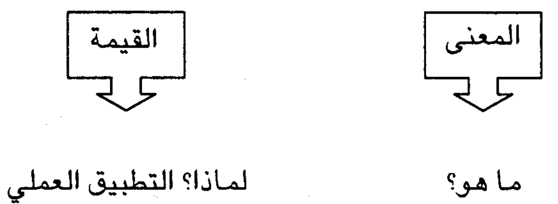
أيضاً، أود أن أتشارك معك عزيزي القارئ فى أمرٍ له علاقة بتلك الشواهد. ففي وقتٍ عندما قمت بتسجيل تلك الشواهد على شريط كاسيت، كنت أمكث وقتاً طويلاً مستغرقاً في الاستماع إلى من هو **الله**. ومن تكرار الاستماع، إذا بذهني يغتسل من مفاهيم خاطئة ترسبت في داخلي عن ماهيته، بل ويغتسل من كل أكذوبة كذَب بها عليَّ عدو الخير، عندما أستمع من **الله** عما يقوله هو عن نفسه.

في هذه الدراسة، أدعوك عزيزى القارئ

أن تستمع لهذه الشواهد وتقرأها من هذا المنطلق، وليس بهدف أن تنتهي من دراستها، بل لتسمع ما يقوله الروح القدس عن **الله**، وما يشهد به الأنبياء بالروح القدس عنه في العهدين القديم والجديد.

فلنبدأ إذاً بالحديث عن طبيعة الله

في كل جزء سنتحدث عن حقيقتين هامّتَين هما:



ما هو؟ لماذا؟ التطبيق العملي

مثال: عندما نتحدث عن الله أنه روح سنذكر

أولاً: معنى ذلك

ثانياً: قيمته في حياتنا ثم التطبيق العملي في الحياة الشخصية.

و نبدأ بتناول طبيعة الله من حيث أنه روح.

(١) اللّه روح

هناك شواهد كتابية كثيرة تتحدَّث عن هذه الحقيقة، وهي لا تتحدَّث عن روح الله بل عن طبيعة الله أنه روح:

- *«اَللّهُ روحٌ وَالَّذينَ يَسْجُدونَ لَهُ فبالروحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدوا»* *(يو ٤: ٢٤)*
- *«اَللّهُ لَمْ يَرَه أَحَدٌ قَطُّ. الابْنُ الْوحيدُ الَّذي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّر»* *(يو ١: ١٨)*.
- *«وَمَلِكُ الدُّهورِ الَّذي لا يَفْنَى أي (أبدي) وَلا يُرى (لأنه روح)، الإلَهُ الْحَكيمُ وَحْدَه، لَهُ الْكَرامَةُ وَالْمَجْدُ إِلى دَهْرِ الدُّهور» (اتي ١: ١٧)*.

✱ ما معنى أن الله روح؟

- إن طبيعة الله «ليست مادية» بل هي «طبيعة روحية» وبالتالي ليست خاضعة للقوانين المادِّية. الله روح فهو ليس مادة أو شيئاً. وإذا حاولنا أن نصف الروح بإسهاب أكثر فلن نستطيع لسبب بسيط، هو أن العبارات نفسها مادية، فكيف يمكنها أن تصف غير المادي!

غير أننا نجد الكثير من العبارات في الكتاب المقدَّس تتحدَّث عن يد الله وعينيّ الله وأُذن الله.. وكثيراً ما نتصور من هذه العبارات أن الله

هو مجموع أشياء (يد وعين وأذن) ولكن ما هذه إلا تعبيرات مجازية تُعبِّر عن كونه قادراً، سميعاً، وبصيراً. والملائكة أيضاً أرواح وليسوا مادة، فهم أرواح خادمة لكنها تستطيع أن تسمع وترى، وعندها قدرات خاصة.

– أما الإنسان فله طبيعة مادّية

• *«وَجَبَلَ الرَّبُّ الإِلَهُ آدَمَ تُرَابًا مِنَ الأَرْضِ وَنَفَخَ فِي أَنْفِهِ نَسَمَةَ حَيَاةٍ. فَصَارَ آدَمُ نَفْسًا حَيَّةً» (تكوين ٢: ٧).*

فهو تراب من الأرض أي (طبيعة مادّية) ونفخ الله فيها (طبيعة روحية) فامتزجت المادة بالروح فصار الإنسان نفساً حية. لذا نقول إن الإنسان روح ونفس وجسد. أما الله فروح فقط، ولأجل هذا فالساجدون الحقيقيون بالروح يسجدون، فنحن لا نسجد بأجسادنا بل بأرواحنا.

– الروح ليس خاضعاً للقوانين المادية أو لحدود المادة (مثل قانون الجاذبية التي تحكم المادة). ولأن الله روح فلا تستطيع عيوننا المادية أن تراه، وهذا ما تعنيه الآيتين التي وردتا في (يوحنا ١: ١٨، ٤: ٢٤). هذا ما يفسر سبب عدم رؤية البشر لله بعيونهم المادية رغم رغبته في الإعلان عن نفسه لهم. عيوننا المادية لا يمكن أن ترى الأمور غير المادية، فالشبكية التي بداخل عيوننا ترسل الصورة إلى المخ عن طريق العصب البصري فنبصر. أما الروح الذي لا يُرى – لأنه ليس مادة وبالتالي ليس خاضعاً لقوانينها لا يمكننا التقاطه إلى صورة

مادية كي نرسله عبر إشارات كهربائية. فبالطبع هذا مستحيلٌ! وهو ما يفسر لنا القول

- «الله لم يره أحد قط» (يوحنا ١: ١٨).

– قال الله لموسى:

- «لاَ تَقْدِرُ أَنْ تَرَى وَجْهِي لأَنَّ الإِنْسَانَ لاَ يَرَانِي وَيَعِيشُ» (خروج ٣٣: ٢٠)

كنا نتحير في فهم هذه الآية، ولكن عندما نفكر في طبيعة الله ونفهم أن الله روح سنفهم أن الله يقول لموسي ببساطة: لكي تراني يا موسى لابد أن تخرج من العالم المادي وتخرج من الجسد.

– لكنَّ الله أراد أن يُعلن نفسه لنا، فصار جسداً (ظاهراً في الجسد) لكي نراه.

- «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا» (يو ١: ١٤).

– نعم، لقد رأينا الله غير المنظور في المسيح!

- «اَلَّذِي هُوَ صُورَةُ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ، بِكْرُ كُلِّ خَلِيقَةٍ» (كولوسي ١: ١٥)

وهذه هي حقيقة التجسد

- «اَلَّذِي سَمِعْنَاهُ، اَلَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، اَلَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا» (١يو ١: ١).

فلكي ترى عيوننا وتسمع آذاننا وتلمس أيدينا ما لايُرى ، صار الله منظوراً في المسيح عندما صار جسداً. وهذه واحدة من أسباب التجسد؛ فالمسيح جاء ليُعلن ويُصَحِّح الصورة التي شُوِّهَت عبر العصور عن الله الذي لم يره أحد قط من قبل.

* ما قيمة هذه الحقيقة لنا اليوم؟

أولاً: شكك البعض في وجود الله عندما خرج الإنسان للفضاء ولم يَرَ الله!

قد يبدو الأمر ساذجاً لكن هذا ما حدث عندما صعد أول إنسان «يوري جاجارين» للفضاء عام ١٩٦١ ورجع، قال: «صعدت للسماء ولم أجد الله في السماء!!!»

هل زعمنا يوماً أن الله موجودٌ بجسدٍ في السماء بينما هو غير موجود بهذا الجسد لسببٍ ما على الأرض؟! بالطبع لا! فالفضاء جزء من الخليقة وجزء من العالم المادي، وليس روحياً في شيء. أم كيف ذهب جاجارين للفضاء ورجع؟ أليس بسفينة فضائية؟ أم تجرَّد وتحلل فأصبح روحاً وصعد لعالم الأرواح ولم يرَ الله، فرجع مرة أخرى؟!! لا بل أنه صعد بجسده في كبسولة فضائية مادية سبح بها بين الكواكب التي هي جزء من الوجود الذي خلقه الله.

الله روح وهذه هي إجابة كل الذين يسألون: لماذا لا نراه على الأرض أو في الفضاء الخارجي المادي؟.

ثانياً: نرى الله ونتعامل معه بالروح، وبالروح نستطيع أن نتصل به ونسمعه ونشعر به

- *«اَللَّهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا»* *(يو ٤: ٢٤).*

فنحن لا نسجد لله بالجسد بل بالروح، روح الإنسان الذي فيه وليس روح الله.

الخشوع هو خشوع الروح واللقاء لقاء الروح وليس الجسد. فقد أكون واقفاً بينما أنا سارحٌ. وقد أضع رأسي بين رجليَّ بينما أظل شارداً. فهل هذا سجودٌ لله! بينما قد أستلقي على الأرض مغمض العينين عن هذا العالم لكن عيوني الروحية مفتوحة، فأرى القدير وألتقي به وأتعامل معه. فالعلاقة مع الله «روحية» لأن «الله روح»، و«العلاقة روحية» خارجة عن نطاق محدودية الجسد وعن الشكل الذي يعبر به. لهذا يقول الكتاب

- *«هَذَا الشَّعْبُ يُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ، وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيدًا»* *(مر٧: ٦).*

يذكر الكتاب الأشكال التي يتخذها الجسد أثناء العبادة، ورد أحدها في العهد القديم حيث نجد أناساً

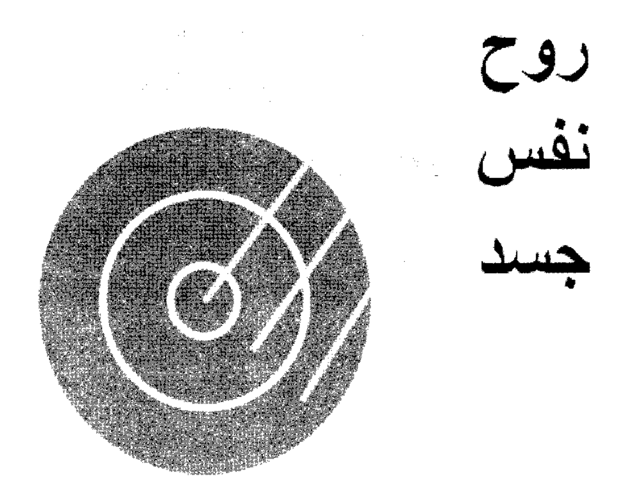
- *«خُروا عَلى وُجوهِهِمْ إِلى الأَرضِ عَلى ٱلبَلاطِ ٱلمُجَزَّعِ وَسَجَدوا وَحَمَدوا الرَّب» (٢أخبار ٧: ٣).*

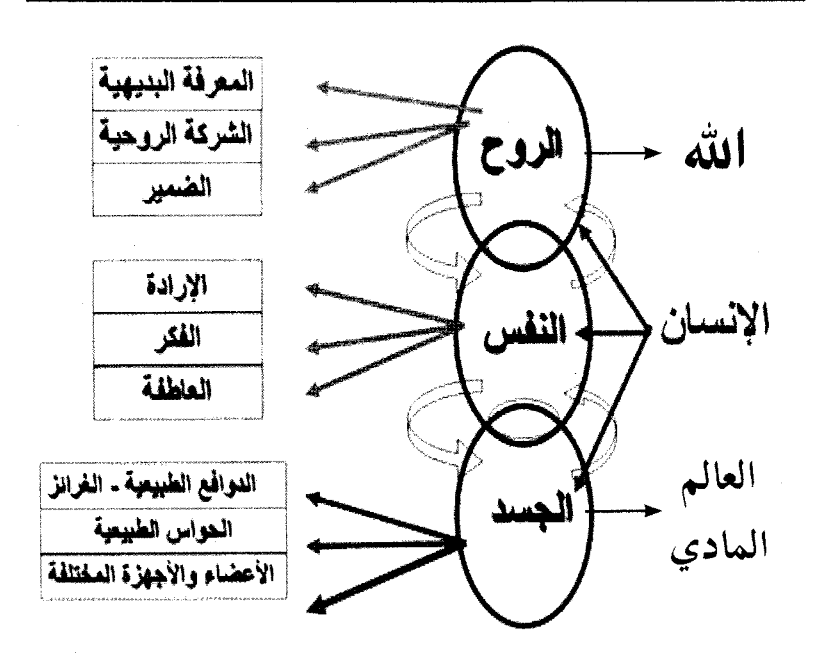
وورد في العهد الجديد أن البعض كان يصلي واقفاً، والبعض الآخر منبطحاً ملقياً نفسه على الأرض عند قدمي السيد. وهذا يعلمنا أننا يمكننا أن نصلي ونحن نستلقي أو نجلس أو ننبطح على وجوهنا، فوضع جسدنا لا يصنع فرقاً لأننا لا نسجد بصورة مادية بل بالروح والحق ينبغي أن نسجد.

ونحن لا نلغي قيمة التعبير الجسدي، بل نؤكد أنه ينضح بما يريد القلب أن يعبر عنه، ولكننا نقول إن التعبير الجسدي ليس مستقلاً عن التعبير الروحي والقلبي كما قال المرنم:

- *«قَلْبِي وَلَحمِي يَهتِفانِ بِالإِلهِ ٱلحَيِّ» (مزمور ٨٤: ٢)*

نعلم إن الإنسان روحٌ ونفسٌ وجسدٌ. فالإطار الخارجي للإنسان مادي بيولوجي – وفي أعماق الإنسان روح خالدة ونسمة من **الله** – ولقاء الجسد بالروح خَلق في الإنسان ما يُسمى بالنفس وهي المشاعر والأفكار والإرادة، وهذه هي شخصية الإنسان، فالنفس تعبر عن شخصية الإنسان الذي يجمع بين المادة والروح التي من **الله**. فهو مخلوق، لكنه مخلوق أبديّ لأن بداخله روحاً أبديّاً. فإذا أردنا أن نعبر عن الإنسان بالرسم نرسمه بالدوائر الآتية:





أرواحنا التي فينا تستطيع أن تتعامل وتتلامس مع الله، أما الذهن فيفهم، والمشاعر تحس، لكن أساس العلاقة بيني وبين الله هي روحي. فأنا أعرف الله بالروح وأسجد له بالروح وأسبحه بالروح وأمجده بالروح وألتقي به بالروح. الساجدون الحقيقيون بالروح والحق ينبغي أن يسجدوا. فالخشوع إذاً هو خشوع الروح، واللقاء لقاء بالروح×. ونتيجه لهذا النفس تدرك وتفهم تحس وتشعر تريد وتختار. والجسد يطيع وينفذ يقف ويركع يذهب وينادي.

× راجع دراسة الإنسان في مدرسة المسيح

(٢) الله شخص

قد يعترض البعض لأول وهلة عندما نقول إن «الله شخص» لأننا بذلك نحده ونجعله مثل البشر.

لكن حقيقة الأمر أن الصورة ليست كذلك، فإن الله شخص غير محدود. وهذا ما سوف نتعرض له في حديثنا عن صفات الله الطبيعية كما ذكرنا أنه غير محدود، وهو ليس شخصاً مثل البشر، بل إن البشر خُلقوا أشخاصاً على صورة الله وشبهه.

* ما معنى أن الله شخص؟

معنى أن الله شخص أنه ليس مجرد فكرة أو مبدأ، وليس مجرد قوة أو طاقة، وليس مجرد عاطفةً أو مشاعر. فمع أن لله فكراً واضحاً إلا إنه ليس فكرة، مع أنه يحس ويشعر لكنه ليس مجرد مشاعر وعواطف وأحاسيس وانفعالات.

إنه شخص له ذات وله صفات

الشخص هو الذى له ذات، فنحن نقول مثلاً إن الإنسان شخصٌ وفي هذا يختلف عن باقي الخليقة، وهذا يعني عدة أمور:

أ. له فكر خلّاق:

فهو قادر على التطوير. فمثلاً إن قارنّا بين الإنسان كشخص وبين القرد (على اعتبار ما يردده أصحاب نظرية النشوء والارتقاء) سنجد أن القرد مازال قرداً يعيش في الغابة متنقلاً بين الشجر ويأكل الموز والفول السوداني بنفس الطريقة، ويتعامل مع الحياة بنفس المنطلق. فهل تطور أو تغير؟ حتى ولو عاش آلاف السنين، أو تم تدريبه وتغيير مظهره، سيظل كما هو. هل ابنه سيكون متطوراً عنه؟ هل يستطيع مثلاً أن يعلم ابنه كيف يلبس؟ بالطبع لا. سوف يظل القرد قرداً يلعب في الغابة بنفس الطريقة.

أما الإنسان فيوماً بعد يومٍ يزداد تطوراً وتقدماً. وصل إلى القمر بل إلى المريخ، ملأ الدنيا اختراعاتٍ مذهلة، يتعلم من الماضي ويطوره ويستمر في ذلك، لأنه يملك الفكر الخلّاق.

ب. له إرادة حرة:

يستطيع بها أن يختار أموراً حتى وإن كانت ضد رغباته وغرائزه واحتياجاته. يختار بين النور والظلمة، وبين الخير والشر. أي أن لديه حسّاً أوّلياً أخلاقياً يستطيع أن يميز به بين الصواب والخطأ ويقرر لنفسه ماذا يفعل. وهذا ما لا يستطيع الحيوان أن يفعله.

ج. له مشاعر:

وله أحاسيس يتفاعل بها مع الأحداث المختلفة والظروف المتباينة فيشعر بالفرح أو بالحزن.. بالابتهاج أو بالضيق.

مما سبق وحتى يمكن أن نعرِّف الكائن بأنه شخص؛ يجب توافر الأبعاد الثلاثة السابقة فيه (الفكر الخلاق؛ والإرادة الحرة؛ والمشاعر). ولا يمكن الاكتفاء بإحدى هذه الصفات منفردة بل الثلاثة مجتمعة معاً.

- قد نندهش للوهلة الأولى من أن الله شخص، لأن تعريف الكلمة ارتبط في أذهاننا كشرقيين أنه مرادف لكلمة «إنسان»، لأن الإنسان هو الكائن الوحيد المرئي الذي ينفرد بامتلاك تلك العناصر الثلاثة. ولكننا نعلم الآن أن هذا غير صحيح مما سبق.

الشخص ليس هو الكائن المادي، فإن كلمة «شخص» تصف طبيعة الكائن الداخلية وليس قدراته المادية. فالإنسان شخص لأنه مخلوق على صورة الله ليس في المادة، لأن الله ليس مادة بل الله روح.

- *«فَخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ. ذَكَرًا وَأُنْثَى خَلَقَهُمْ.»* (تك ١: ٢٧).

الله ليس ذكراً ولا أنثى فأنا كشخص مخلوق على صورة الله الشخص.

– نحن لا نشبه الله في الإطار المادي البيولوجي ولكننا على صورته بمعنى أننا نحمل طبيعة روحية لها شخصية مثل كون الله روحاً وله شخصية. والفرق بيني وبين الله رغم كوني على صورته أنني محدود أما هو فغير محدود فهو أزلي أبدي، له فكر خلّاق غير محدود وله إرادة غير محدودة وله مشاعر وعواطف تتجاوب مع الأحداث. كما أن روح الله لانهائي أزلي أبدي بينما أنا روح محدود أُوجد في لحظة من الزمن وأستمر للأبد غير أني لست أزلياً أبدياً فأنا لست مثله في البُعد اللانهائي، لكنني مثله في الشبه أن لي شخصية ولي روحاً.

عندما أقول إن الله شخص

أعني هذه الأمور الثلاثة:

إن له فكراً، وله إرادة، وله مشاعر

ما يقوله الكتاب عن أن الله له فكر

- «هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ الرَّب. إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَالْقِرمزِ تَبْيَضُّ كَالثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَالدُّودِيِّ تَصِيرُ كَالصُّوفِ. إِنْ شِئْتُمْ وَسَمِعْتُمْ تَأْكُلُونَ خَيْرَ الأَرضِ. وَإِنْ أَبَيْتُمْ وَتَمَرَّدْتُمْ تُؤْكَلُونَ بِالسَّيْفِ». لأَنَّ فَمَ الرَّبِّ تَكَلَّمَ» (إش ١: ١٨– ٢٠)

معنى كلمة «نتحاجج» أي نتناقش بالمنطق والبرهان، فهي دعوة واضحة وصريحة لكي نتقدم ونناقش الله لنفهم ونعرف ماهو في فكر الله.

- «لأَنَّ أَفْكَارِي لَيْسَتْ أَفْكَارَكُمْ وَلاَ طُرُقُكُمْ طُرُقِي يَقُولُ الرَّبُّ. لأَنَّهُ كَمَا عَلَتِ السَّمَاوَاتُ عَنِ الأَرْضِ هَكَذَا عَلَتْ طُرُقِي عَنْ طُرُقِكُمْ وَأَفْكَارِي عَنْ أَفْكَارِكُمْ.» (إش ٥٥: ٨، ٩)

أنتم لكم فكر وأنا لي فكر. أنتم تفكرون بطريقة وأنا أفكر بطريقة مختلفة عنكم، ولهذا لا تستطيعون أن تفهموني. أفكاركم وطرقكم صارت معوجة أما أنا فأفكاري حق ومستقيمة، فاعلموا فكري. لهذا يقول بولس الرسول عن نفسه وعن المؤمنين

- *«أما نحن فلنا فكر المسيح»* (١كو ٢: ١٦).
- *«يَا لَعُمقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاِسْتِقْصَاءِ! «لأَنْ مَنْ عَرَفَ فِكْرَ الرَّبِّ أَوْ مَنْ صَارَ لَهُ مُشِيرًا»* (رو ١١: ٣٣، ٣٤)

هذه نظرة موضوعية للكون الذي نعيش فيه تجعلنا ندرك روعة فكر هذا المصمم الفنان المبدع. الله له فكر خلاق، وبنَّاء على هذا يدعونا لحوار فكري بَنَّاء يُقنعنا بالحق ويعلمنا طرقه، ويعطي للفكر البشري الحرية والقدرة أن يكون فيما يبتكره ويخترعه خير وصلاح، بنّاءً وتشييد لا للهدم أو صنع الشر.

ما يقوله الكتاب عن أن الله له إرادة.

- *«وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا فَيَتَسَلَّطُونَ عَلَى سَمَكِ الْبَحْرِ وَعَلَى طَيْرِ السَّمَاءِ وَعَلَى الْبَهَائِمِ وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ وَعَلَى جَمِيعِ الدَّبَّابَاتِ الَّتِي تَدِبُّ عَلَى الأَرْضِ»* (تك ١: ٢٦)

هذا هو أول قرار اتخذه الله من نحو البشرية، وأكمل به الخليقة وتوجها بالإنسان: «نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا».

- *«وَأُقِيمُ لِنَفْسِي كَاهِنًا أَمِينًا يَعْمَلُ حَسَبَ مَا بِقَلْبِي وَنَفْسِي، وَأَبْنِي لَهُ بَيْتًا أَمِينًا فَيَسِيرُ أَمَامَ مَسِيحِي كُلَّ الأَيَّامِ» (١صم ٢: ٣٥)*

(قرر الله أن يفعل هذا الأمر)

- *«وَلكِنَّ هذِهِ كُلَّهَا يَعْمَلُهَا الرُّوحُ الْوَاحِدُ بِعَيْنِهِ قَاسِمًا لِكُلِّ وَاحِدٍ بِمُفْرَدِهِ كَمَا يَشَاءُ» (١كو ١٢: ١١)*

أي له مشيئة وإرادة محددة.

- *«شَاءَ فَوَلَدَنَا بِكَلِمَةِ الْحَقِّ لِكَيْ نَكُونَ بَاكُورَةً مِنْ خَلاَئِقِهِ» (يع١: ١٨)*
- *«يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ وَرَاجِمَةَ الْمُرْسَلِينَ إِلَيْهَا كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَوْلاَدَكِ كَمَا تَجْمَعُ الدَّجَاجَةُ فِرَاخَهَا تَحْتَ جَنَاحَيْهَا وَلَمْ تُرِيدُوا» (لو ١٣: ٣٤)*
- *«الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي ٢: ٤)*

نلاحظ هنا المقارنة بين إرادته وإرادتنا البشرية.

الله شخص له إرادة وله مشيئة ورغبة مقدسة، وما يريده هو أن يتحقق التوافق بين إرادتي وإرادته.

نحن إذاً أشخاص لأننا خُلقنا على صورة الله كشبهه، وهو الشخص الكامل غير المحدود له فكر خلاّق، ومشاعر وأحاسيس يتفاعل بها مع الأحداث والأشخاص، وله إرادة حرة، فهو ليس مجرد فكرة أو قدرة أو طاقة. فالله ليس هو الطبيعة كما يقول البعض.

ما يقوله الكتاب عن أن الله له مشاعر

- «*وَرَأَى الرَّبُّ أَنَّ شَرَّ الإِنْسَانِ قَدْ كَثُرَ فِي الأَرْضِ وَأَنَّ كُلَّ تَصَوُّرِ أَفْكَارِ قَلْبِهِ إِنَّمَا هُوَ شِرِّيرٌ كُلَّ يَوْمٍ. فَحَزِنَ الرَّبُّ أَنَّهُ عَمِلَ الإِنْسَانَ فِي الأَرْضِ وَتَأَسَّفَ فِي قَلْبِهِ*» (تك ٦: ٥-٦)

«رأى الله» أن شر الإنسان قد كثر. ولأن الله روح لم يرَ الأحداث فقط كما بعيون بشرية بل رأى قلب الإنسان، إذ أنه فاحص القلوب والكُلى، يرى ما بداخلنا ويرى ما نفعله ونفكر فيه. وعندما رأى وعلم **حزن وتأسف في قلبه**، أي في مشاعره وأحاسيسه، فهو يتفاعل مع الأحداث، فالله ليس بمتعالٍ بعيداً عن البشر غير شاعرٍ بهم أومتأثرٍ بحالتهم، فالكتاب يقول في مواضع عدة:

- «*الرَّبُّ إِلَهُكِ فِي وَسَطِكِ جَبَّارٌ يُخَلِّصُ. يَبْتَهِجُ بِكِ فَرَحًا. يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. يَبْتَهِجُ بِكِ بِتَرَنُّمٍ*» (صف ٣: ١٧)

ما أروع هذه العبارة التي تبهج قلب المؤمن.

- «*أُغَنِّي لِلرَّبِّ فِي حَيَاتِي. أُرَنِّمُ لإِلَهِي مَا دُمْتُ مَوْجُودًا. فَيَلَذُّ لَهُ نَشِيدِي وَأَنَا أَفْرَحُ بِالرَّبِّ*» (مز١٠٤: ٣٣، ٣٤)

ما أروع هذه العبارة التي تشجع قلب المؤمن.

- «أَقول لَكُم إِنَّه هَكَذا يَكون فَرَح في السَّماء بِخاطِئ واحِد يَتوب أَكْثَر مِنْ تِسْعَة وتِسعين بارًا لا يَحْتاجون إِلى تَوبة» (لو ١٥: ٧)

الله يتفاعل مع الأحداث، فيفرح بخاطئ واحد يتوب ويحزن لشر الإنسان.

- «لأَنَّ غَضَب الله مُعْلَن مِن السَّماء عَلى جَميع فُجور النَّاس وإِثْمِهِم الذين يَحجزون الحق بالإِثْم» (رو ١: ١٨)

إذاً، يغضب الله ويفرح؛ غضبه مُعلن على شرنا وإثمنا وفجورنا وليس علينا. وعندما يفرح الله فهو يفرح بنا، وهذا قمة الاتزان والنضوج، فالله صاحب شخصية متزنة ومشاعر منضبطة، فهو يفرح بي ويحزن عليَّ ويغضب من أعمالي الشريرة.

هذه التفاعلات الشعورية لدى الله ليست تفاعلات مادية بل هي روحية، غير محدودة ومُطلقة. فقط حاولت العبارات المحدودة أن تصفها لكي تجسد الصورة بطريقة يمكننا أن نفهمها ونحسها.

* ما قيمة معرفتي بأن الله شخص؟

كل شيء أعرفه عن الله له قيمة، وعندما يعلن الله شيئاً عن نفسه فهذا يعني الكثير بالنسبة لي. وهذه المعرفة ليست حصرية للاهوتيين أو الباحثين المتعمقين. فقيمة معرفة أن الله روح هي لكي أفهم أني لن أراه بعيني بل بروحي ولن تسجد له ركبتاي بل قلبي.. الله شخص وهذا يعطيني قيمة ومعنى لأشياء عديدة منها:

أولاً: يُعطي معنى لشخصيتي:

الإنسان مختلف عن كل الخليقة المحيطة به لكونه شخصاً. وإذا كان الله ليس شخصاً فهذا معناه أن شخصيتي أنا وليدة الصدفة، وإذا كانت وليدة الصدفة فقد فقدت معناها وتكون حينئذٍ بلا هدف أو معنى وغير مقصودة، أي جاءت نتيجة خطأ. وهذا يختلف عن كوني قد جئت بقصد الله ومحبته.. شخصية الله إذاً تعطيني معنى وهدفاً وقيمة أني شخص، وفي هذا تميز ومعنى. وهذا التميز يقربني من الله ويفصل بيني وبين باقي الخليقة فأنا على صورته وشبهه هو.

ثانياً: أستطيع أن أكوِّن علاقة شخصية معه:

لأنه شخص وأنا مخلوق شخصي على صورته وشبهه فلابد أن تكون العلاقة بيننا لقاءً شخصياً، أستطيع فيه أن أكون معه فى علاقة شخصية. وهذه هي المسيحية المنادى بها.

فنحن لا نعبد الله مجرد عبادة جماعية فقط، لكننا في علاقة شخصية معه. لتوضيح هذا الأمر أشبّهه بعلاقتي أنا وأولادى: فأنا أب لأولاد ثلاثة أحبهم كلهم وأفتقدهم دائماً لأطمئن عليهم جميعاً. لكن توجد بيني وبين كل واحد منهم على حدة علاقة شخصية جداً ولقاء شخصياً بيني وبين كلٍّ منهم. كذلك المسيحية فهي دعوة لعلاقة شخصية بيني وبين

الله. وهذه العلاقة لا بديل عنها لنا، وهي ليست كمالية أو للصفوة بل إن كلّ واحد منا له الحق أن يكون في علاقة منفردة حقيقية مع الله نفسه رغم كوننا لا نضيف له شيئاً. وكأننا نصنع فرقاً بينما هو الذي يصنع بنا وفينا كل الفرق!

لقائي مع الله إذاً هو لقاء الفكر؛ ولقاء الإرادة؛ ولقاء المشاعر. فهي علاقة مجسمة، مثلثة الأبعاد، وليست علاقة مسطحة ضحلة. فنحن نتناغم معاً: أفهمه ويفهمني، نتحاجج ويقنعني، تلتقي إرادتي مع إرادته وتخضع مشيئتي لمشيئته. أشعر به ويشعر بي، أتمتع به ويتمتع بي، أتفاعل معه ويتفاعل معي ونعني الكثير لبعضنا البعض... ليتك عزيزي القارئ تدرك عمق هذه الحقيقة!

الله يرفعني من كائن محدود جداً قد يكون طوله ١٦٩سم وعمره خمسون عاماً إلى علاقة معه هو الغير محدود فنتبادل الفكر وتلتقي الإرادة ونشعر ببعضنا البعض وأفرح به ويفرح بي وأحزن معه وأبتهج معه وأتهلل معه في علاقة شخصية، في لقاء الفكر والإرادة والمشاعر...

غير أننا كثيراً ما نركز في علاقتنا مع الله على شعورنا نحن به وفرحنا نحن به وبما يعطينا ولا نلتفت الى فرح قلبه وراحته معنا... فلكي يكون لقاؤنا معه حياً وعلى مستوى المشاعر والفكر والإرادة، نحن مدعوون لنفهم أفكاره وطرقه ونعيش على مستوى فكره ونحقق إرادته ومشيئته في حياتنا وحياة الآخرين.

ثالثاً: يعطيني هذا الطمأنينة والراحة (السلام في علاقتي بالله):

إن كان الله مجرد قوة جبارة خالقة، فماذا تكون نتيجة تعاملي معه؟ حتماً سأمتلئ خوفاً لأن هذه القوة مثلما قد تحميني، قد تسحقني وتبطش بي أيضاً! لكن الله إلهٌ قديرٌ وحساسٌ مليءٌ بالحنان، يفهمني ويستطيع أن يقنعني وهو لا يجبرني «أردت أو لم ترد» فقد أعطاني الحرية وهو يحترم إرادتي.

فكونه شخصاً يعطيني الطمأنينة لأنه ليس جباراً مُخيفاً بل هو شخصٌ والعلاقة معه شخصية، أستطيع أن أطمئن لأن قوته خاضعة لإرادته.

أنا لا أخاف من قدرته بل بالعكس أحتمي فيها

- *«اَلسَّاكِنُ فِي سِتْرِ الْعَلِيِّ فِي ظِلِّ الْقَدِيرِ يَبِيتُ. أَقُولُ لِلرَّبِّ: «مَلْجَإِي وَحِصْنِي. إِلهِي فَأَتَّكِلُ عَلَيْهِ» (مز ٩١: ١، ٢).*

لا أخاف منه بل أطمئن إليه لأنه شخص، فأتمتع بعلاقتي معه وأطمئن وأستريح إليه وأشعر معه بالأمان والسلام. ولو كان الله على خلاف ذلك لاختلفت الصورة كل الاختلاف.

(٣) اللّه ثالوث

«الله إله واحد في الجوهر، لا يتجزأ أو ينقسم، له ثلاثة أقانيم متساوية في المجد»

مقدمة:

ادعى كثيرون أن عقيدة «الثالوث» ليست عقيدة أصيلة، وأن المسيحيين أخذوا هذا الفكر من الديانات الشرقية والفرعونية القديمة. ولكن الدراسة الدقيقة تُثبت وتُبرهن أن عقيدة الثالوث عقيدة فريدة لا نظير لها، سواء في الفكر الشرقي «الديانات الهندية»؛ أو الفكر الفرعوني «في الشرق الأوسط». وهي غير منقولة أو مستوحاة من أي ديانات، بل إن مصدرها هو الوحي ذاته أي الكتاب المقدّس وتاريخ الكنيسة. فالعهد القديم مليء بالإشارات الواضحة لهذه العقيدة كما سنرى. كذلك أدركت الكنيسة طبيعة الله وفهمت هذه الحقيقة جليّاً في المسيح الذي هو الاعلان الكامل عن الذات والطبيعة الإلهية:

- *«اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ»* *(يو١: ١٨)*. أي جعله معروفًا.

فمثلاً تؤمن الديانة الهندية أن هناك إلهاً كبيراً اسمه «بُرهم» خرجت منه آلهة أخرى أصغر منه تنوب عنه، مثل «برهام» إله الخلق و«تشينوم»

الإله المحافظ و«شيوي» الإله المخرِّب، فهناك الخالق والحافظ والمُخرِّب أي أن الله به خير وشر. فهذه الديانة تقول إن هناك إلهاً كبيراً خرجت منه ثلاثة آلهة صغيرة. ولكننا لا نقول ذلك، بل كما أشرنا فى البداية أن الله ثالوث ومتساوٍ في الجوهر والمجد – إله واحد لا يتجزأ. لكن في الديانة الهندية توجد تجزئة فهم غير متساوين، يوجد واحد كبير وثلاثة أصغر منه وهذا يختلف عن عقيدتنا تماماً.

أما الفراعنة فيقولون إن إيزيس وأوزوريس (وهما إلهان كبيران تزوجا وأنجبا حورس، فأصبحا ثلاثة آلهة، نتيجة اتحاد اثنين منهم أنجبا ثالثاً). وهذه فكرة مادية أبعد ما تكون عن التثليث والتوحيد في الإيمان المسيحي.

إن عقيدة التثليث فريدة لا نظير لها في الفكر الشرقي والغربي أو الشمال و الجنوب. ونجدها في الكتاب المقدس، وفي فكر وتاريخ الكنيسة منذ نشأتها، ومنذ علمت أن المسيح ربٌ ومخلصٌ.

لو أحببنا أن نعبر عن هذه الفكرة مفصلين اياها نقول إن فكرة التثليث والتوحيد عبارة عما نسميه

«الوحدانية الجامعة غير المجردة أو البسيطة»

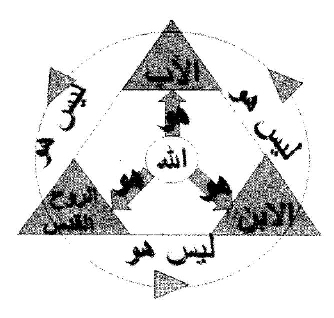
«الرب إلهك يا إسرائيل رب واحد»

الله الواحد في الجوهر ذو الثلاثة أقانيم بغير انقسام أو مزج أو انفصال.

- وحدة بسيطة (مثل رقم ١) وحدة جامعة شاملة
- وحدة التجرد وحدة لا نهائية
- وحدة ليس بها تنوع وحدة تحوي تنوع وتميز دون انقسام

وكلمة أقنوم هي كلمة سريانية، وهي الوحيدة في كل لغات العالم التي تستطيع أن تعطي هذا المعنى، أي التميَز مع عدم الانفصال أو الامتزاج أو الانقسام. لأنه بما أن الله لا شبيه له بين كل الكائنات، وبما أن لغات البشر إنما تصف الكائنات المحدودة، فلا توجد كلمة تعطينا وصفاً للذات الإلهية بحسب الإعلان الإلهي.

هذه الأقانيم ليست ثلاث وظائف أو ظهورات أو ألقاب أو أوجه لله. بل الله كما قلنا هو «واحد في الجوهر ذو ثلاثة أقانيم» أي أن الأقانيم الثلاثة متميزون ولكنهم متحدون في جوهر واحد. والرسم المقابل يوضح وحدة الجوهر وتميُّز الأقانيم عن بعضها البعض.



لماذا من الصعب تصديق فكرة الثالوث؟

١ . لأنها فكرة يمكن فهمها ، لكن لا يمكن تخيلها على الإطلاق

يجب علينا هنا أن نفصل بين الفهم وبين التخيل. فعندما نحاول أن نفهم أمراً معيناً نبدأ في تصوره بأذهاننا ونتخيله بعقولنا، ولكن عقولنا المحدودة لا تستطيع أن تتخيل غير المحدود.. وعندما أردنا أن نتخيل فكرة الثالوث استخدمنا أفكاراً مادية، مثل الأصبع الذي يتكون من ثلاث عُقَل، أو الشمس التي هي: قرص، يبعث النور، والحرارة فى نفس الوقت. ولكنها كلها تشبيهات قاصرة غير دقيقة لا تُعبر عن فكرة الثالوث لأنها تشبيهات مادية محدودة. لكن بقليل من الجهد العقلى نستطيع أن نفهم وندرك ونقتنع بهذه الفكرة الإلهية التي تسمو كثيراً عن الفكر البشري. (وهذا ما سنراه في السطور القليلة التالية). ولكن مع هذا يستحيل تخيلها.

٢ . مشكلة اللغة

اللغة أداة مادية ونحن نحاول بأداة مادية أن نعبر عن كيان روحي! نحاول بكلمات محدودة أن نصف أمراً غير محدود. فسمو الفكرة عن محدودية العقل البشري وصعوبة اللغة من الأسباب الرئيسية لعجزنا عن شرح وفهم هذه الحقيقة

- *«فَإِنَنا نَنْظُر الآن في مِرآة في لُغز، لكِن حينئذٍ وَجهاً لوَجه. الآن أعرِف بَعض المَعرِفة، لكِن حينئذٍ سأعرِف كَما عُرِفت»* (١كو١٣: ١٢).

هناك أمور كثيرة نراها غامضة علينا، فكأننا نراها «في مرآة، في لغز». فقديماً كانت المرايا مختلفة عما هي عليها الآن، فقد كانت ألواحاً من النحاس اللامع فلا تستطيع أن ترى فيه وجهك واضحاً. ولكن المرآة الآن تعطيك صورة واضحة. فالآن أعرف بعض المعرفة نتيجة محدودية غقلي، ولكن حينئذٍ أعرف كما عُرفت. والسؤال هنا: هل لأن الموضوع سامٍ يفوق محدودية البشر، يكون بالضرورة غير صحيح وغير معقول وغير منطقي؟!

لكننا يمكننا شرح فكرة الثالوث بطريقة مُبسطة ومنطقية وعاقلة، ولكن لننتبه لهذه المعادلة ونحن نتذكر أن لدينا مشكلتين هما:

- سمو فكرة الثالوث.
- صعوبة اللغة.

(اللامحدود) (Infinity)

لقد ترك الله لنا شيئاً لنفهم به هذه الحقيقة وهي المالانهاية ∞

والآن لنسأل سؤالاً هل رقم (∞) – مالا نهاية – حقيقي وموجود في العلم أم لا؟

- نعم فالحساب يؤمن أن هناك رقم «صفر» وأرقام من ١ إلى مليون وبيليون.. إلى مالانهاية « ∞ ».

  والعلم يقول إنه إذا لم توجد ∞ مالانهاية لا توجد أرقام

- وهناك مقولة شهيرة لسارتر تفيد بأن «أي نقطة محدودة بغير نقطة غير محدودة كمرجع لها فإن هذه النقطه تفقد معناها». أي أن النقطة المحدودة تفقد معناها بغير الغير محدودة.

- وفي الطبيعة عندما يدرسون الكهرباء يقولون إن الجهد عند نقطة يساوي الشغل اللازم بذله لنقل وحدة الشحنات من ∞ المالانهاية إلى هذه النقطة.

الطبيعة تقول ذلك والرياضة والفلسفة كذلك، فالإنسان يؤمن بالمالانهاية ∞

فما هو وصفها؟ إنها توصف بالمالانهاية، ولا يمكن وصفها بأكثر من ذلك. لأن العقل محدود لا يستطيع أن يصفها، ولكنه يصدقها ويؤمن بها.

- هل المالانهاية هذه واحدة أم كثيرة؟ هل نستطيع أن نقول ١٠ مالانهاية أو ٢٠ مالانهاية؟ لا، لأنها واحدة وإذا قسّمت المالانهاية على ثلاث تكون النتيجة مالانهاية، فهي لا تقبل القسمة. وهل هناك مالانهاية أصغر من أخرى؟ لا

- سؤال آخر هل المالانهاية وحدة بسيطة أم جامعة؟

هي وحدة جامعة شاملة لا تقبل الانقسام لكن داخلها يوجد تميز، وعندما تُقسم على ثلاثة أجزاء تخرج النتيجة مالانهاية وهي نفسها التي دخلت في المعادلة. وهذه المعادلة لا نستطيع تخيلها بل فهمها.

وهذه هي الوحدة الإلهية التي نؤمن بها في إيماننا المسيحي. الوحدة الجامعة الشاملة التي بداخلها تميز لا يقبل الانقسام. فلا يوجد انقسام أو امتزاج، لكن هناك شمول في داخلها وهناك الكمال وفي داخله التميز.

واحدة من أكبر علامات الخلق الموجودة في العالم ما نُسميه «الوحدة والتنوع». ففي الخلق دائماً يوجد الوحدة والتنوع، وسنتحدث عن ذلك عندما نتحدث عن قيمة الثالوث. لكن الخليقة كلها التي خلقها الله تتميز بالوحدة والتنوع على مختلف المستويات. وما نُسميه الوحدة والتنوع هو المالانهاية ∞ لأنها هي الوحدة والتنوع في ذات

الوقت بدون انقسام أو امتزاج. ونحن نقول إن إلهنا هو مالانهاية. لذا، لابد أن يشمل الوحدة والتنوع وإلا يكون وحدة قاصرة غير لا نهائية وبالتالي غير كاملة (حاشا).

إذا رجعنا للنظر إلى شخص الله سنجد أن لا نهاية له، وأنه غير محدود، كذلك رقم المالانهاية. ولا يوجد غير رقم مالانهاية واحد وهكذا الله. فلا يوجد كائن غير محدود إلا هو. وهذا الرقم لايمكن أن ينقسم أو يتضاعف مع أنه يحتوي على عدد لانهائي من الأرقام، ففيه كل التنوع، وفي نفس الوقت غير قابل للانقسام. وهكذا الله لاينقسم إلى آلهة أخرى مع أنه يحوي في داخله كل التنوع، فوحدانيته وحدانية كاملة وليست بسيطة.

الله الذي في مخيلتنا صاحب الوحدانية البسيطة هو إله، ولايوجد به تنوع، وبالتالي إلهاً محدوداً وغير موجود، أو هو إله من اختراع البشر.

وهكذا نرى أن فكرة الثالوث فكرة إلهية مبنية على الوحدة، لكن ليست الوحدة البسيطة بل الوحدة الجامعة التي تحوي في داخلها كل التنوع والتميز.

عزيزى القارئ،

سنرى أمام كل حقيقة من هذه الحقائق النورانية ضوءًا هائلاً يلقى على حياتنا وينيرها، فليس الهدف من هذه الدراسة أن نقتنع فقط بعقولنا، بل أن نفهم وندرك ونحيا وفى هذا كُلُّ الميزة. عندما تكتمل صورة الثالوث، سترى في النهاية روعة هذا الأمر ولسوف تقول:«لو لم يكن الله ثالوثاً ما آمنت بوجوده».

صــلاة

يا رب

أنا لا أستطيع أن أحتويك لكنك أنت الذي تحتويني.

أنا لا أستطيع أن أراك من الأول للآخر لأنك لا نهائي؛ لكني أشكرك لأني أستطيع أن أفهمك وأنبهر بك وأقتنع بك بعقلي وأحبك بقلبي وأسجد لك بروحي وأعيش لك بعمري وأيامي.

وبقدر ما أقتنع بك وأمتلئ بك بقدر ما أستطيع أن أشهد عنك وأجاوب من يسألني عن سبب الرجاء الذي فيَّ وأستأسر كل ما فيَّ لطاعتك.

ساعدنا أن نكتشفك كما يجب ولكي نسمعك وأنت تتحدث عن نفسك ونراك وننبهر بك في مجدك وبهائك وكمالك وجلالك وجمالك، أريد يا رب أن أعرفك وأفهمك وأدركك.

آمين.

عقيدة الثالوث

عزيزى القارئ،

سنسلط الضوء أكثر على عقيدة الثالوث الإلهي، من خلال دراستنا للكلمة المقدسة وذلك من خلال النقاط التالية:

أولاً: وحدانية الله المطلقة

ثانياً: لاهوت الآب والابن والروح القدس

لاهوت الآب

لاهوت الابن

لاهوت الروح القدس

ثالثاً: التميز في الدور أو العمل وليس في الصفات

رابعاً: صور كتابية

خامساً: أهمية وقيمة حقيقة أن الله ثالوث

أولاً: وحدانية الله المطلقة

هناك الكثير من الشواهد الكتابية في العهدين القديم والجديد التي تصف لنا وحدانية الله

- «إِسْمَعْ يا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (تث ٦: ٤).

- «وَصَلَّى حَزَقِيَّا أَمَامَ الرَّبِّ وَقَالَ: أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُ إِسْرَائِيلَ، الْجَالِسُ فَوْقَ الْكَرُوبِيمِ، أَنْتَ هُوَ الإِلهُ وَحْدَكَ لِكُلِّ مَمَالِكِ الأَرْضِ. أَنْتَ صَنَعْتَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ» (٢مل ١٩: ١٥)

- «وَالآنَ أَيُّهَا الرَّبُّ إِلهُنَا خَلِّصْنَا مِنْ يَدِهِ، فَتَعْلَمَ مَمَالِكُ الأَرْضِ كُلُّهَا أَنَّكَ أَنْتَ الرَّبُّ الإِلهُ وَحْدَكَ» (٢مل ١٩: ١٩)

- «هكَذَا يَقُولُ الرَّبُّ مَلِكُ إِسْرَائِيلَ وَفَادِيهِ، رَبُّ الْجُنُودِ: أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ وَلاَ إِلهَ غَيْرِي» (إش ٤٤: ٦)

- «فَأَجَابَهُ يَسُوعُ: «إِنَّ أَوَّلَ كُلِّ الْوَصَايَا هِيَ: اسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ. الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ» (مر ١٢: ٢٩)

- «*أَنا وَالآبُ واحِدٌ*» (يو ١٠: ٣٠)

- «*لِيَكُونوا واحِداً كَما نَحْنُ*» (يو١٧: ١١)

أي نحن واحد (الجمع المفرد الوحدانية الجامعة)

- «*لِيَكُونَ الجَمِيعُ واحِدًا كَما أَنكَ أَنتَ أَيُّها الآبُ فِيَّ وَأَنا فِيكَ لِيَكُونوا هُمْ أَيضًا واحِدًا فِينا لِيُؤْمِنَ العَالَمُ أَنكَ أَرسَلتَنِي*» (يو ١٧:٢١)

- «*أَنتَ تُؤْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ. وَالشَّياطِينُ يُؤْمِنُونَ وَيَقْشَعِرُّونَ*» (يع ٢: ١٩)

عزيزي القارئ

هذه فقط بعض شواهد الكتاب المقدس بعهديه والتي تتحدَّث عن وحدانية الله. لذا، إن كنت قد سمعت من مجتمعنا الشرقي الذي نحيا في وسطه أننا نعبد ثلاثة آلهة، لابد أنك تعرف الآن يقيناً أن هذا ليس صحيحاً. وكما ذكرنا أن الله ليخلق ينبغي أن يكون لا محدود ولا نهائي ولهذا لا يمكن أن يكون متعدد فهناك مالانهاية واحده.

ثانياً: لاهوت الآب والابن والروح القدس

أ- لاهوت الآب

لاهوت الآب ليس بحاجة إلى إثبات لأنه واضح ومُعلن ومُؤكد تماماً في الكتاب المقدس. لذا، لن نتحدَّث عنه؛ فالآب هو الله. وهناك عشرات الآيات التي تُثبت ذلك مما لا يدع مجالاً للشك. إنه حق لا يحتاج لإثبات مثل لاهوت الابن ولاهوت الروح القدس. نورد فقط بعض الآيات:

- *«اِعْمَلُوا لاَ لِلطَّعَامِ الْبَائِدِ بَلْ لِلطَّعَامِ الْبَاقِي لِلْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّذِي يُعْطِيكُمُ ابْنُ الإِنْسَانِ، لأَنَّ هذَا اللهُ الآبُ قَدْ خَتَمَهُ» (يو ٦: ٢٧)*

- *«بُولُسُ، رَسُولٌ، لاَ مِنَ النَّاسِ وَلاَ بِإِنْسَانٍ، بَلْ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ وَاللهِ الآبِ الَّذِي أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ» (غل ١:١).*

- *«نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ، وَمِنْ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ١: ٣).*

- «وَلكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ وَهِيَ الآنَ حِينَ السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ وَالْحَقِّ، لأَنَّ الآبَ طَالِبٌ مِثْلَ هؤُلاَءِ السَّاجِدِينَ لَهُ.» (يو ٤: ٢٣)
- «يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ وَإِلَى اللهِ يَمْضِي» (يو ١٣: ٣)
- «لكِنْ لَنَا إِلهٌ وَاحِدٌ: الآبُ، الَّذِي مِنْهُ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ لَهُ. وَرَبٌّ وَاحِدٌ: يَسُوعُ الْمَسِيحُ، الَّذِي بِهِ جَمِيعُ الأَشْيَاءِ وَنَحْنُ بِهِ.» (١كو ٨: ٦)
- «إِلَى تِيمُوثَاوُسَ الابْنِ الْحَبِيبِ. نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ وَالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا.» (٢تي ١: ٢)
- «إِلَى تِيطُسَ، الابْنِ الصَّرِيحِ حَسَبَ الإِيمَانِ الْمُشْتَرَكِ. نِعْمَةٌ وَرَحْمَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ اللهِ الآبِ وَالرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مُخَلِّصِنَا.» (تي ١:٤)
- «وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْل أَوْ فِعْل، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ.» (كو ٣: ١٧)

وهذه طبعاً بعض وليست كل الشواهد الخاصة بهذه الحقيقة. ولهذه الكلمة والتعبير دلالة رائعة عن طبيعة الأبوة في الذات الإلهية سنتحدث عنها لاحقاً.

ب- لاهوت الابن

لقب هذا الأقنوم بالابن والكلمة وذكر الكتاب أن المسيح هو الابن والكلمة ولا تعني هذه الكلمة أنه مولود فالله لايلد ولا يولد لكنها تعني الطبيعة الإلهية.

فهل المسيح (الابن والكلمة) هو الله الظاهر في الجسد؟

سنتناول أربعة جوانب مختلفة بالدراسة تعطي جواباً مؤكداً على هذا السؤال:

١) الكتاب المقدس أعطى للابن ألقاب الله.

٢) الكتاب المقدس أعطى للابن صفات الله.

٣) الكتاب المقدس شهد للابن أنه يعمل أعمال الله.

٤) الكتاب المقدس أعطى للابن استحقاق السجود والعبادة الذي هى لله وحده.

٥) ما قاله المسيح عن نفسه.

(١) الكتاب المقدس أعطى للابن ألقاب الله

- «لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ» (إشعياء ٩: ٦).
- «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ». (يو١: ١)
- أَجَابَ تُومَا: «رَبِّي وَإِلهِي» قَالَ لَهُ يَسُوعُ: لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا تُومَا آمَنْتَ!» (يو ٢٠: ٢٨)

وقد قبل المسيح اللقب الذي لقبه به توما وهو «ربي وإلهي»

- «وَلَهُمُ الآبَاءُ وَمِنْهُمُ الْمَسِيحُ حَسَبَ الْجَسَدِ الْكَائِنُ عَلَى الْكُلِّ إِلهًا مُبَارَكًا إِلَى الأَبَدِ آمِينَ» (رو ٩: ٥)
- «فَإِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَّهُوتِ جَسَدِيًّا» (كو ٢: ٩)
- «وَأَمَّا عَنْ الابْنِ: كُرْسِيُّكَ يَا اَللهُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. قَضِيبُ اسْتِقَامَةٍ قَضِيبُ مُلْكِكَ.» (عب ١: ٨)
- فَمِنْ أَجْلِ هذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنْقُضِ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلاً نَفْسَهُ بِاللهِ» (يوحنا ٥: ١٨)

- *«سَأَلَهُ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ أَيْضاً وَقَالَ لَهُ: «أَأَنْتَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱلْمُبَارَكِ؟» فَقَالَ يَسُوعُ: «أَنَا هُوَ.. فَمَزَّقَ رَئِيسُ ٱلْكَهَنَةِ ثِيَابَهُ وَقَالَ: «مَا حَاجَتُنَا بَعْدُ إِلَى شُهُودٍ؟»* (مر ١٤: ٦٢-٦٤)

لأنه قال إنه الابن وهكذا جعل نفسه معادلاً لله.

إذاً: حكم قادة اليهود على يسوع بالموت بتهمة التجديف لأنه قال عن نفسه إنه ابن الله، وبهذا جعل نفسه معادلاً لله.

(٢) الكتاب المقدس أعطى للابن صفات الله

أ. أزليّ أبديّ

- *«تَقَدَّمُوا إِلَيَّ. ٱسْمَعُوا هَذَا. لَمْ أَتَكَلَّمْ مِنَ ٱلْبَدْءِ فِي ٱلْخَفَاءِ. مُنْذُ وُجُودِهِ أَنَا هُنَاكَ وَٱلآنَ ٱلسَّيِّدُ ٱلرَّبُّ أَرْسَلَنِي وَرُوحُهُ»* (إش ٤٨: ١٦)

هذه الآية هي الوحيدة في العهد القديم التي تجمع بين الآب والابن والروح القدس وتتحدث عن أزلية المسيح الذي هو موجود منذ وجود الله لكنه أرسل إلينا في موعد خاص.

- *«هَذَا كَانَ فِي ٱلْبَدْءِ عِنْدَ ٱللهِ»* (يو ١: ٢)
- *«قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: ٱلْحَقَّ ٱلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ أَنَا كَائِنٌ»* (يو ٨: ٥٨)

- «وَالآنَ مَجِّدني أَنتَ أَيها الآبَ عِنْدَ ذاتِك بِالْمَجدِ الَّذي كَانَ لِي عِنْدَكَ قَبلَ كَوْنِ الْعَالَم» (يو ١٧: ٥).
- «أَنا هُو الأَلِفُ وَالْيَاءُ، الْبَدَايَة وَالنّهَايَة، يَقولُ الرَّبُ الْكَائنُ وَالَّذي كَانَ وَالَّذي يَأْتي، الْقَادِرُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤ ١: ٨)

ب. عدم التغيُّر

- «وَكَرِداءٍ تَطْوِيهَا فَتَتَغَيَّر. وَلَكِنْ أَنتَ أَنتَ، وَسِنُوكَ لَنْ تَفْنى» (عب ١: ١٢)
- «يَسُوعُ الْمَسيحُ هُوَ هُوَ أَمسًا وَالْيَوْمَ وَإِلى الأَبد» (عب ١٣: ٨)

من له صفة عدم التغير سوى الله وحده؟!

جـ. الحضور في كل مكان

- «لأَنَّه حَيْثُمَا اجْتَمَعَ اثْنَانِ أَو ثَلاَثَة بِاسْمِي فَهُنَاكَ أَكُونُ فِي وَسطِهِمْ» (مت ١٨: ٢٠)
- «وَلَيْسَ أَحَدٌ صَعَدَ إِلى السَّمَاءِ إِلا الَّذي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ ابْنُ الإِنْسَانِ الَّذي هُوَ فِي السَّمَاءِ» (يو ٣: ١٣)

وهو على الأرض يقول عن نفسه إنه في السماء.

- «وَعَلِّمُوهُمْ أَنْ يَحْفَظُوا جَمِيعَ مَا أَوْصَيْتُكُمْ بِهِ. وَهَا أَنَا مَعَكُمْ كُلَّ الأَيامِ إِلى انْقِضَاءِ الدَّهْرِ» (مت ٢٨: ٢٠)

د. علمه بكل شيء

- «وَالْتَفَتَ إِلى تَلاميذِهِ وَقالَ: «كُلُّ شَيءٍ قَدْ دُفِعَ إِلَيَّ مِنْ أَبي. وَلَيْسَ أَحَدٌ يَعْرِفُ مَنْ هُوَ الابْنُ إِلَّا الآبُ وَلا مَنْ هُوَ الآبُ إِلَّا الابْنُ وَمَنْ أَرادَ الابْنُ أَنْ يُعلِنَ لَهُ» (لو ١٠: ٢٢)
- «الآنَ نَعْلَمُ أَنَكَ عالِمٌ بِكُلِّ شَيءٍ، وَلَسْتَ تَحْتاجُ أَنْ يَسأَلكَ أَحَدٌ. لِهَذا نُؤْمِنُ أَنَكَ مِنَ اللهِ خَرَجْتَ». (يوحنا ١٦: ٣٠)
- «أَنا عارِفٌ أَعمالَكَ، وَأَينَ تَسْكُنُ حَيْثُ كُرسيُّ الشَّيطانِ، وَأَنتَ مُتَمَسِّكٌ بِاسْمي وَلَمْ تُنْكِرْ إِيماني حَتّى في الأَيامِ الَّتي فيها كانَ أَنتيباسُ شَهيدي الأَمينُ الَّذي قُتِلَ عِنْدَكُمْ حَيْثُ الشَّيطانُ يَسْكُنُ» (رؤ ٢: ١٣)

هـ. كُلي القدرة

- «كُلُّ شَيءٍ بِهِ كانَ، وَبِغَيرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمّا كانَ» (يوحنا ١: ٣)
- «كَلَّمَنا في هَذِهِ الأَيامِ الأَخيرَةِ في ابْنِهِ - الَّذي جَعَلَهُ وارِثاً لِكُلِّ شَيءٍ، الَّذي بِهِ أَيضاً عَمِلَ العالَمينَ» (عب ١: ٢).
- «أَنتَ يا رَبُّ في البَدْءِ أَسَّسْتَ الأَرضَ، وَالسَّماواتُ هِيَ عَمَلُ يَدَيكَ (عب ١: ١٠)
- «أَنا هُوَ الأَلِفُ وَالياءُ، البِدايَةُ وَالنِّهايَةُ، يَقولُ الرَّبُّ الكائِنُ وَالَّذي كانَ وَالَّذي يَأْتي، القادِرُ عَلى كُلِّ شَيءٍ» (رؤ ١: ٨).

(٣) الكتاب المقدس شهد للابن أنه يعمل أعمال الله

أ. الخلق ومنح الحياة

- *«كُل شَيءٍ بهِ كَانَ، وبغَيرهِ لَمْ يَكُنْ شَيءٌ مِمَّا كَانَ» (يو ١: ٣)*
- *«لأَنهُ كَمَا أَن الآبَ يقيمُ الأَمواتَ وَيُحيي كَذلكَ الابْنُ أيضًا يُحيي مَنْ يَشَاءُ» (يو ٥: ٢١).*

ب. الدينونة

- *«وَمَتى جَاءَ ابْنُ الإنسَانِ في مَجدهِ وَجميعُ المَلائكَةِ القِديسينَ مَعَهُ فحِينئذٍ يَجلسُ عَلى كُرسيِّ مَجدهِ. وَيجتَمعُ أمَامَهُ جَميعُ الشُعوبِ فَيُمَيِّزُ بَعضَهُمْ مِنْ بَعضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الخِرَافَ مِنَ الجِدَاءِ» (مت ٢٥: ٣١، ٣٢)*
- *«لأَنَ الآبَ لا يَدينُ أحدًا بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَ الدَّيْنُونَةِ للابْنِ» (يو ٥: ٢٢)*
- *«لأَنهُ لا بُدَ أَننَا جَميعًا نُظهَرُ أَمَامَ كُرسِيِّ المَسيحِ، لِيَنَالَ كُلُ وَاحدٍ مَا كَانَ بالجَسَدِ بحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيرًا كَانَ أَم شَرًا» (٢كو ٥: ١٠)*

جـ. الغفران

قصة المفلوج:

- «وَإِذَا مَفْلُوجٌ يُقَدِّمُونَهُ إِلَيْهِ مَطْرُوحاً عَلَى فِرَاشٍ. فَلَمَّا رَأَى يَسُوعُ إِيمَانَهُمْ قَالَ لِلْمَفْلُوجِ: «ثِقْ يَا بُنَيَّ. مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (مت ٩: ٢).

قصة المرأة الزانيـة:

- *ثُمَّ قَالَ لَهَا(يسوع): «مَغْفُورَةٌ لَكِ خَطَايَاكِ» (لو ٧: ٤٨)*

قصة المرأة التي أُمسكت في ذات الفعل:

- *«فَقَالَ لَهَا يَسُوعُ: «وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيْضاً» (يو ٨: ١١)*

اللص الذى يُعتقد أنه صُلب على يمين المسيح:

- *«فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ اَلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي اَلْفِرْدَوْسِ» (لو ٢٣: ٤٣)*

من هو هذا الذي يقبل التوبة ويهب الفردوس ويغفر الخطايا؟

(٤) الكتاب المقدس أعطى للابن استحقاق السجود والعبادة الذي هو لله وحده

- «لِكَيْ يُكْرِمَ الْجَمِيعُ الابْنَ كَمَا يُكْرِمُونَ الآبَ. مَنْ لاَ يُكْرِمُ الابْنَ لاَ يُكْرِمُ الآبَ الَّذِي أَرْسَلَهُ» (يو ٥: ٢٣)
- «فَكَانُوا يَرْجُمُونَ اسْتِفَانُوسَ وَهُوَ يَدْعُو وَيَقُولُ: «أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ اقْبَلْ رُوحِي». ثُمَّ جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَرَخَ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ: «يَا رَبُّ لاَ تُقِمْ لَهُمْ هذِهِ الْخَطِيَّةَ» وَإِذْ قَالَ هذَا رَقَدَ» (أع ٧: ٥٩، ٦٠)
- «وَأَيْضًا مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: «وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ» (عب ١: ٦)
- إِنْ كَانَ يَتَكَلَّمُ أَحَدٌ فَكَأَقْوَالِ اللهِ، وَإِنْ كَانَ يَخْدُمُ أَحَدٌ فَكَأَنَّهُ مِنْ قُوَّةٍ يَمْنَحُهَا اللهُ، لِكَيْ يَتَمَجَّدَ اللهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمِينَ. (١ بط ٤: ١١)

في كل الآيات السابقة نرى بوضوح كيف أن الابن له كل ما للآب من ألقاب وصنفات وأعمال واستحقاق للسجود والعبادة. وهكذا يتضح بالدليل الدامغ والبرهان الساطع إلوهية الابن؛ لذلك ندعوه الله الابن مثلما ندعو الآب الله الآب.

(٥) بل اسمع ما قاله المسيح عن نفسه

- «أَنـا هُوَ الْـخُبْزُ الْـحَيُّ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّماءِ. إِنْ أَكَلَ أَحَدٌ مِنْ هَذا الْـخُبْزِ يَحْيا إِلَى الأَبَدِ. وَالْـخُبْزُ الَّذِي أَنـا أُعطِي هُوَ جَسَدِي الَّذِي أَبذُلُهُ مِنْ أَجلِ حَياةِ الْعالَمِ» (يوحنا ٦: ٥١)
- «أَنـا هُوَ نُورُ الْعالَمِ» (يوحنا ٨: ١٢)
- «أَنـا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحُ» (يو ١٠: ١١)
- «أَنـا وَالآبُ واحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠)
- «أَنـا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحيَاةُ. مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يوحنا ١١: ٢٥)
- «أَنـا هُوَ الطَّرِيقُ وَالْحَقُّ وَالْحَيَاةُ. لَيْسَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي» (يوحنا ١٤: ٦)
- «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يو ١٤ : ٩)

ج- لاهوت الروح القدس

عزيزي القـارئ،

هلم نبحر سوياً في شواهد كتابية تدل بما لا يقبل الشك على أن الروح القدس هو أقنوم آخر لشخص الله، وسنتحدث عن أمرين، وهما:

١. الروح القدس شخص وليس قوة

٢. وهو الله (لاهوت الروح القدس)

أقنومية الروح القدس

١. يتحدَّث الكتاب عنه باستخدام الضمير المذكر العاقل

- *«وَبَيْنَمَا هُمْ يَخْدِمُونَ الرَّبَّ وَيَصُومُونَ قَالَ الرُّوحُ الْقُدُسُ: أَفْرِزُوا لِي بَرْنَابَا وَشَاوُلَ لِلْعَمَلِ الَّذِي دَعَوْتُهُمَا إِلَيْهِ» (أع ١٣: ٢)*
- *«وَمَتَى جَاءَ الْمُعَزِّي الَّذِي سَأُرْسِلُهُ أَنَا إِلَيْكُمْ مِنَ الآبِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ فَهُوَ يَشْهَدُ لِي» (يو ١٥: ٢٦)*
- *«وَمَتَى جَاءَ ذَاكَ يُبَكِّتُ الْعَالَمَ عَلَى خَطِيَّةٍ وَعَلَى بِرٍّ وَعَلَى دَيْنُونَةٍ» (يو ١٦: ٨)*

- «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» (يو ١٦: ١٣، ١٤).

٢ . الأفعال المنسوبة إليه هي لشخصية ذاتية لها

إرادة وفكر ومشاعر. . . إذاً هو شخص أقنومي لله .

- «وأما المعزي الروح القدس الذي سيرسله الآب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم» (يو ١٤: ٢٦)
- «فأطلب إليكم أيها الإخوة بربنا يسوع المسيح وبمحبة الروح أن تجاهدوا معي في الصلوات من أجلي إلى الله» (رو ١٥: ٣٠)
- «فأعلنه الله لنا نحن بروحه. لأن الروح يفحص كل شيء حتى أعماق الله لأن من من الناس يعرف أمور الإنسان إلا روح الإنسان الذي فيه؟ هكذا أيضاً أمور الله لا يعرفها أحد إلا روح الله» (١كو٢: ١٠، ١١)
- «ولكن هذه كلها يعملها الروح الواحد بعينه قاسماً لكل واحد بمفرده كما يشاء» (١كو١٢: ١١)
- «ولا تحزنوا روح الله القدوس الذي به ختمتم ليوم الفداء» (أف ٤: ٣٠)

- «فَقالَ لَها بُطرُس: «ما بالُكما اتَّفقتما على تَجربة روح الرَّبِ؟ هُوَذا أرجُل الذين دفنوا رجلك على الباب وسيحملونك خارجاً» (أع ٥: ٩)
- «يا قساة الرقاب وغير المختونين بالقلوب والآذان أنتم دائماً تقاومون الروح القدس. كما كان آباؤكم كذلك أنتم» (أع ٧: ٥١)

الروح القدس مساوٍ لله

سنتناول هذه الحقيقة الكتابية في أربعة جوانب ، وهي:

(١) نُسِب إليه ما نُسِب لله

(٢) نُسبت إليه صفات الله

(٣) نُسبت إليه أعمال الله

(٤) له الكرامة التي لله

(١) نُسِبَ إليه ما نُسِبَ لله

• «ثُمَّ سَمِعْتُ صَوْتَ السَّيِّدِ: «مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟ فَأَجَبْتُ: «هَئَنَذَا أَرْسِلْنِي».	• «انْصَرَفُوا وَهُمْ غَيْرُ مُتَّفِقِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ لَمَّا قَالَ بُولُسُ كَلِمَةً وَاحِدَةً: «إِنَّهُ حَسَنًا كَلَّمَ الرُّوحُ الْقُدُسُ آبَاءَنَا بِإِشَعْيَاءَ النَّبِيِّ
• فَقَالَ: «اذْهَبْ وَقُلْ لِهَذَا الشَّعْبِ: اسْمَعُوا سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُوا وَأَبْصِرُوا إِبْصَارًا وَلاَ تَعْرِفُوا» (إش ٦: ٨، ٩)	• قَائِلًا: اذْهَبْ إِلَى هَذَا الشَّعْبِ وَقُلْ: سَتَسْمَعُونَ سَمْعًا وَلاَ تَفْهَمُونَ وَسَتَنْظُرُونَ نَظَرًا وَلاَ تُبْصِرُونَ». (أع ٢٨: ٢٥، ٢٦)

بالنظر الى كلٍ من الشاهدين السابقين، نجد أن نفس الكلمات التي نطق بها الرسول بولس في سفر أعمال الرسل ونسبها إلى الروح القدس هي نفس الكلمات التي نطق بها الله في القديم على فم إشعياء النبي. إذاً، الروح القدس هو الله الذى تكلم لإشعياء قديماً.

مساواته - كأقنوم- لشخص الله

- *«فَقَالَ بُطْرُسُ: «يَا حَنَانِيَّا لِمَاذَا مَلأَ الشَّيْطَانُ قَلْبَكَ لِتَكْذِبَ عَلَى الرُّوحِ الْقُدُسِ وَتَخْتَلِسَ مِنْ ثَمَنِ الْحَقْلِ؟ أَلَيْسَ وَهُوَ بَاقٍ كَانَ يَبْقَى لَكَ؟ وَلَمَّا بِيعَ أَلَمْ يَكُنْ فِي سُلْطَانِكَ؟ فَمَا بَالُكَ وَضَعْتَ فِي قَلْبِكَ هَذَا الأَمْرَ؟ أَنْتَ لَمْ تَكْذِبْ عَلَى النَّاسِ بَلْ عَلَى اللهِ» (أع ٥: ٣، ٤)*

إذاً الكذب على الروح القدس هو كذب على الله.

(٢) نُسبت إليه صفات الله

الروح القدس كُلي المعرفة

- «مَنْ قَاسَ رُوحَ الرَّبِّ وَمَنْ مُشِيرُهُ يُعَلِّمُهُ؟» (إش ٤٠: ١٣)
- «بَاحِثِينَ أَيُّ وَقْتٍ أَوْ مَا الْوَقْتُ الَّذِي كَانَ يَدُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الْمَسِيحِ الَّذِي فِيهِمْ، إِذْ سَبَقَ فَشَهِدَ بِالآلاَمِ الَّتِي لِلْمَسِيحِ وَالأَمْجَادِ الَّتِي بَعْدَهَا» (١بط ١: ١١)

الروح القدس كُلي القدرة

- «قَالَ: هذِهِ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَى زَرُبَّابِلَ: لاَ بِالْقُدْرَةِ وَلاَ بِالْقُوَّةِ بَلْ بِرُوحِي قَالَ رَبُّ الْجُنُودِ» (زكريا ٤: ٦)

الروح القدس كُلي الوجود

- «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ رُوحُ الْحَقِّ الَّذِي لاَ يَسْتَطِيعُ الْعَالَمُ أَنْ يَقْبَلَهُ لأَنَّهُ لاَ يَرَاهُ وَلاَ يَعْرِفُهُ وَأَمَّا أَنْتُمْ فَتَعْرِفُونَهُ لأَنَّهُ مَاكِثٌ مَعَكُمْ وَيَكُونُ فِيكُمْ» (يو ١٤: ١٦، ١٧).
- «أَمْ لَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ جَسَدَكُمْ هُوَ هَيْكَلٌ لِلرُّوحِ الْقُدُسِ الَّذِي فِيكُمُ الَّذِي لَكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنَّكُمْ لَسْتُمْ لأَنْفُسِكُمْ؟ (١كو٦: ١٩)

(٣) نُسبت إليه أعمال الله

يخلق

- «وَكَانَتِ الأَرْضُ خَرِبَةً وَخَالِيَةً وَعَلَى وَجْهِ الْغَمْرِ ظُلْمَةٌ وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ» (تك١: ٢)

يقيم الأموات

- «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَاكِنًا فِيكُمْ فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِيحَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ» (رو ٨: ١١)

يلهم الأنبياء

- «لأَنَّهُ لَمْ تَأْتِ نُبُوَّةٌ قَطُّ بِمَشِيئَةِ إِنْسَانٍ، بَلْ تَكَلَّمَ أُنَاسُ اللهِ الْقِدِّيسُونَ مَسُوقِينَ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢بط ١: ٢١)

يغير الإنسان

- «أَجَابَ يَسُوعُ: الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكَ: إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (يو٣: ٥)

ينبئ بالمستقبل

- «وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ رُوحُ ٱلْحَقِّ فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ ٱلْحَقِّ لأَنَّهُ لاَ يَتَكَلَّمُ مِنْ نَفْسِهِ بَلْ كُلُّ مَا يَسْمَعُ يَتَكَلَّمُ بِهِ وَيُخْبِرُكُمْ بِأُمُورٍ آتِيَةٍ» (يو ١٦: ١٣)

ينير القلوب ويعلن مجد الله

- «كَيْ يُعْطِيَكُمْ إِلَهُ رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، أَبُو ٱلْمَجْدِ، رُوحَ ٱلْحِكْمَةِ وَالإِعْلاَنِ فِي مَعْرِفَتِهِ» (أف ١: ١٧)

يقدس المؤمنين

- «وَأَمَّا نَحْنُ فَيَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَشْكُرَ اللهَ كُلَّ حِينٍ لأَجْلِكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ ٱلْمَحْبُوبُونَ مِنَ الرَّبِّ، أَنَّ اللهَ ٱخْتَارَكُمْ مِنَ ٱلْبَدْءِ لِلْخَلاَصِ، بِتَقْدِيسِ الرُّوحِ وَتَصْدِيقِ ٱلْحَقِّ» (٢تس٢: ١٣)

(٤) له الكرامة التي لله

في المعمودية

- «فَاذْهَبوا وَتَلمِذوا جميعَ الأُممِ وَعَمِّدوهُم باسمِ الآبِ والابنِ والروحِ القُدسِ» (متى ٢٨: ١٩)

في البركة الرسولية

- «نِعمَةُ رَبِّنا يَسوعَ المسيحِ، وَمَحبَّةُ الله، وَشرِكَةُ الروحِ القُدسِ مَعَ جميعِكُم. آمين» (٢كو ١٣: ١٤)

كما بارك الرسول بولس كنيسة كورنثوس بهذه البركة، يبارك الخادم شعب كنيسته بنعمة المسيح ومحبة الله الآب وشركة الروح القدس= المساواه في الكرامة.

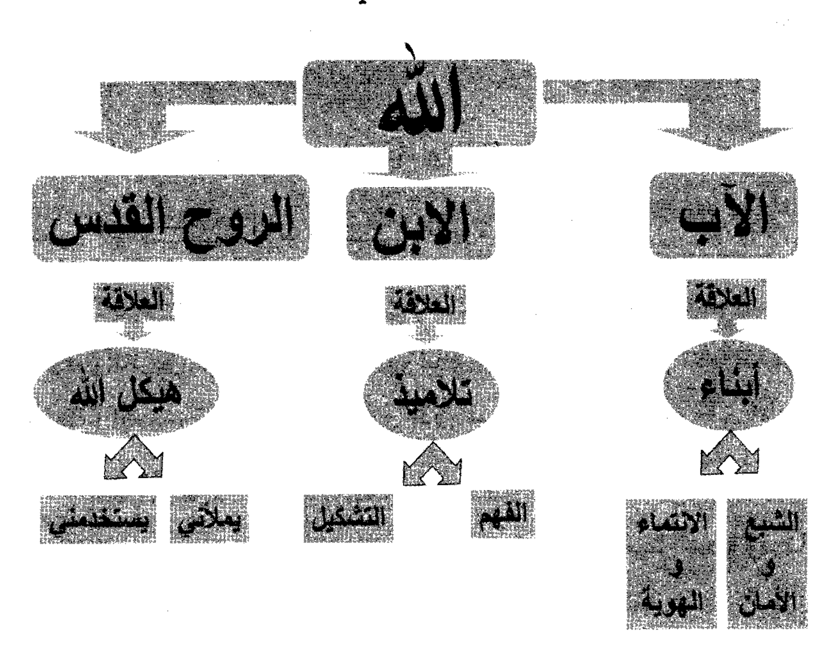
من هاتين الآيتين ، نرى أن الكرامة التي أُعطيت للمسيح والكرامة التي أُعطيت لله الآب هي نفس الكرامة التي أعطيت للروح القدس .

لقد وضعنا في الجدولِ التالي الكثير من الشواهد الدالة على وحدة الثالوث القدوس واشتراكهم معاً في صفات الألوهية.

اشتراك الآب و الابن و الروح القدس فى الصفات الاتية

	الآب	الابن	الروح القدس
يُدعى الله	في ١:٢	يو١:١و١٤	اع ٥:٣
الخالق	اش٦٤:٨	يو١:٣	ايو ٣٣:٤
المُقيم	١تي١:١٠	يو٢:١٩	رو ٨:١١
السكنى	٢كو٦:١٦	كو ١:٢٧	يو١٤:١٧
كلى الوجود	١مل٨:٢٧	مت ٢٨:٢٠	مز١٣٩:٧
كلى المعرفة	١يو٣:٢٠	يو ٢١:١٧	١كو٢:١٠
يُقدس	١تي ٥:٢٣	عب ٢:١١	١بط ١:٢
مُعطي الحياة	تك ٢:٧	يو١:٣	٢كو٣:٦
له شركة معنا	١يو١:٣	١كو ١:٩	٢كو١٣:١٤
الازلى	مز٩٠:٢	مت ٥:١و٢	رو٨:١١
له ارادة	لو ٢٢:٤٢	لو٢٢:٤٢	١كو١٢:١١
مُحب	يو٣:٦	اف ٥:٢٥	رو١٥:٣

ثالثاً: التميز في الدور



رغم اشتراك الآب والابن والروح القدس في كل الصفات الإلهية كما ذكرنا سابقاً، إلا أننا نرى تميزاً واضحاً في دور وعمل الثلاثة أقانيم خاصة في علاقتنا بالله. فالله كما شرحنا سابقاً هو:

مفرد الجمع وليس مفرد المفرد.

الجمع الذي لا يقبل التعدد لأنه لا يقبل القسمة.

لكنه يحوي التنوع لأنه جمع المطلق.

إذا رجعنا مرة أخرى إلى البركة الرسولية كما ذكرها بولس الرسول:

- «نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ. آمِينَ» (٢كو١٣: ١٤)

ونظرنا إلى المحتوى الذي جاء بها، لوجدنا هذا التميز المقصود:

محبة الله ⟸ الآب ⟸ الأبوة ودور الأب

نعمة الابن ⟸ ويتحدث عن الكلمة ⟸ النعمة، وهي عطية الفداء والطريق إلى حضن الآب، فهو الذي أخذنا من أيدينا واتّحَد بنا في ضعفنا ليحضرنا لقلب الآب، وهو الذي فيه نصير أبناء الله، ففي الابن صرنا أبناء للآب.

شركة الروح ⟸ الروح القدس ⟸ الذي يعيش معنا وفينا ويشاركنا نعمة الحياة، والذي يمجد الآب والابن في عيوننا.

نحن نعيش في علاقة «مثلثة» «متكاملة» مع الله. نعمة المسيح أدخلتني إلى أبوة الآب وأعطتني شركة الروح القدس. وفداء المسيح جعلني ابناً للآب وأعطاني حق سُكنى الروح القدس ليعيش معي رحلة الحياة.

يقول الرسول يوحنا:

- «وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١يوحنا١: ٣)

كيف؟ عن طريق الروح القدس، فشركتنا هي مع الآب ومع ابنه بروحه. فالروح القدس هو الذي بكّتني لأقبل المسيح، وهو الذي أعطاني شركة الأبوة مع الآب، وهو الذي يرافقني مسيرة حياتي.

وهذه الألقاب التي أُعطيت للأقانيم لها مدلولاتها الرائعة التي أود أن أتوقف أمامها لألقي بعض الضوء عليها.

أ) الله الآب:

لماذا لقب بهذه الكلمه (آب)؟

- لأنه تعبير جميل عن وصف قلب الله الأبوي خاصة نحو جنسنا البشري.

نعم فإن أبوة الله تشرح الكثير جداً من تعاملاته ومواقفه تجاهنا.

- كما أنها تدل على أنه أصل كل شيء ومصدر كل شيء.

فهو التفسير الوحيد والإجابة المنطقية والعلمية والتاريخية لكل أسئلة الوجود الإنسانية.

وهذه الأبوة ظاهرة وواضحة في طول الكتاب المقدس وعرضه بعهديه القديم والجديد، لكننا نجدها أكثر وضوحاً بالتأكيد في العهد الجديد.

وسوف نستعرض بعض هذه الشواهد ودلالاتها:

في العهد القديم:

- «فَإِنَّكَ أَنتَ أَبُونَا.. أَنتَ يَارَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ» *(إش ٦٣: ١٦)*.
- «أَلَسْتَ مِنَ الآنَ تَدْعِينَنِي: يَا أَبِي، أَلِيفُ صِبَايَ أَنْتَ» *(إرميا ٣: ٤)*
- «الابْنُ يُكْرِمُ أَبَاهُ وَالْعَبْدُ يُكْرِمُ سَيِّدَهُ. فَإِنْ كُنْتُ أَنَا أَبًا، فَأَيْنَ كَرَامَتِي؟» *(ملاخي ١: ٦)*

وهنا نرى العلاقة بين الأبوة وولي الأمر المسئول عنه.

ونرى العلاقة بين الأبوة والألفة أي العلاقة الحميمة.

ونرى العلاقة بين الأبوة وإكرام الابن لأبيه.

فهو لقب يتعلق بنوع العلاقة التي تربطنا بالله.

في العهد الجديد:

في سجل نسب السيد المسيح في إنجيل لوقا:

- «بْنِ أَنُوشَ بْنِ شِيتِ بْنِ آدَمَ، ابْنِ اللهِ» *(لو ٣: ٣٨)*.

هذا التعبير جميل عن أبوة الله للجنس البشري.

ولقد علمنا السيد المسيح عندما نصلي أن نقول:

- «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» *(متى ٦: ٩)*.

وكلمة أبوك وأبيك وأباكم ذكرت في هذا الأصحاح تسع مرات.

أما يوحنا فيكتب ويقول:

- *«أُنظُروا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعطَانا الآبُ حَتَّى نُدعَى أَولادَ الله!»* (١ يو٣: ١).

وبالتأكيد فنحن نتحدث هنا عن أبوة وبنوة روحية وليس بيولوجية، والأبوة تعني:

- الحب والحنان ... الاهتمام والرعاية وتحمل المسؤلية.

وهذا مايوفر الشبع والأمان.

- المصدر والحماية.

وهذا مايمنح الانتماء والهوية. فبدون أبوة الله ومحبته لا يوجد شبع أو أمان أو هوية. وهذا ما سوف نتعرض له بأكثر تفصيل، عند الحديث عن صفة محبة الله وفي دراسة شفاء النفس.

ب) الله الابن:

أُطلق على هذا الأقنوم لقبين في الكتاب المقدس. ولكل منهما دلالة هامة ودور خاص في علاقتنا بالله. وهذان اللقبان هما الابن والكلمة (logos)

- *لقب الابن:*

هناك بعدان هامان في هذا اللقب:

١. الطبيعة المساوية لله الآب.
٢. العلاقة الأزلية الأبدية من الحب داخل الذات الإلهية.

١ . الطبيعة:

إن قلنا إن الله آب فلا توجد أبوة بدون بنوة. فأنت لا تصير أباً إلا عندما يكون لديك ابن، ولأن أبوة الآب أزلية، لهذا فإن بنوية الابن أزلية أيضاً. وهي التعبير عن وحدة الطبيعة الإلهية برغم التميز. وليست بالتأكيد أن الله تزوج وأنجب ابناً، فهذا بعيد كل البعد عن طبيعة الله وجوهره الروحي واللانهائي.

٢ . العلاقة والشركة:

إن الله في ذاته وبدون خليقته كان عنده العلاقة والشركة المطلقة الكاملة المبنية على الحب، كما سنشرح بالتفصيل فيما بعد. لهذا خلقه للإنسان لم يضف له شيء، لكنه خلقنا على صورة ابنه ليكون لنا علاقة معه كما أن الآب والابن في شركة الوحدة الأزلية الأبدية.

- *لقب الكلمة:*

أيضاً لهذه الكلمة بعدين هامين:

١ . التعبير عن الذات:

فالله إله غير صامت .. يعبر عن نفسه .. يشارك ما بداخله .. يعلن عن حقه وشخصه وإرادته، لأنه إله العلاقة والشركة. والله منذ خلقه للإنسان ووضعه في جنة عدن وهو يتحدث إليه ومعه.

وفي الأيام الأخيرة لما أراد أن يعلن عن نفسه بوضوح تام ويظهر الحق المطلق، اختار أن تصير الكلمة جسداً ويحل بيننا. ولأن الله لم يره أحد قط، الابن الوحيد الكلمة الأزلي في تجسده جعله معروفاً لنا بصورة واضحة وضوح الشمس في كبد السماء وأعلن معه النعمة والحق في كل طرق الله ووصاياه.

- *«وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا. يُوحَنَّا شَهِدَ لَهُ وَنَادَى: «هذَا هُوَ الَّذِي قُلْتُ عَنْهُ: إِنَّ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي صَارَ قُدَّامِي، لأَنَّهُ كَانَ قَبْلِي». وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا، وَنِعْمَةً فَوْقَ نِعْمَةٍ. لأَنَّ النَّامُوسَ بِمُوسَى أُعْطِيَ، أَمَّا النِّعْمَةُ وَالْحَقُّ فَبِيَسُوعَ الْمَسِيحِ صَارَا. اَللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ. اَلابْنُ الْوَحِيدُ الَّذِي هُوَ فِي حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ.» (يو ١: ١٤-١٨).*

٢. التعبير عن السلطان:

يعبر الشخص عن نفسه بكلمته وصاحب السلطان يصدر أوامره بكلمته، وهذا مانراه واضحاً في هذه الآيات:

- *«كُلُّ شَيْءٍ بِهِ كَانَ، وَبِغَيْرِهِ لَمْ يَكُنْ شَيْءٌ مِمَّا كَانَ» (يو ١: ٣).*
- *«فَإِنَّهُ فِيهِ خُلِقَ الْكُلُّ ... الْكُلُّ بِهِ وَلَهُ قَدْ خُلِقَ» أي بالمسيح (الكلمة) (كو ١: ١٦).*

أي أن الله بكلمته قد خلق كل الأشياء مايرى ومالايرى، وهنا نرى التميز في الدور دون انقسام أو استقلال.

ج) الروح القدس:

هنا بعض الألقاب التي لُقب بها أقنوم الروح القدس:

- الروح القدس (متى ٢٨: ١٩)، (١كو ٦: ١٩)، (يو ٨: ١٦)
- روح الله (تك ١: ٢)، (رو ٨: ٩، ١٤)
- روح الرب (إش ٤٠: ١٣)
- روحي – الروح (زكريا ٤: ٦)، (يو ٨: ١٦)
- روح المسيح (رو ٨: ٩)
- روح الحق (يو ١٤: ١٧، ١٥: ٢٦، ١٦: ١٣)
- المعزي (يو١٤: ٢٦، ١٥: ٢٦)

وكلها تعبر عن طبيعة الله وعن عمله الخاص.

١ . التعبير عن طبيعة الله:

إن الله روح وليس مادة أو طاقة كما ذكرنا. وكمال هذه الطبيعة في كلمة القدس أي القداسة والكمال كما في إش ٦ "قدوس قدوس قدوس".

٢ . التعبير عن الدور الخاص:

هو الذي يعلن لنا الحق في أرواحنا ويبكتنا على الخطية ويعزينا ويشجعنا. وهو الذي يسكن فينا ويرافقنا الطريق ويجعل منا هياكل مقدسة لله. لهذا يتحدث الكتاب عن شركة الروح القدس.

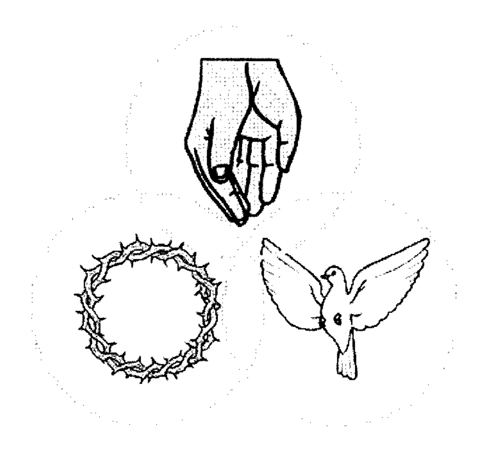
غير أنه من المحزن أن نرى «مؤمنين» لا يتمتعون بهذه العلاقة المتكاملة، فهم اختاروا أن يعيشوا فقط في نعمة المسيح الفادية، الساترة، الماحية للآثام، دون أن تكون لهم عِشرة وشركة مع الله الآب، يتمتعون فيها بأبوة الآب وانتمائهم له كأبناء حقيقيين لأب حقيقي. ولا يتمتعون بشركة الروح القدس ورفقته وملئه ومعونته وتأييده.

أعزائي، نحن مدعوون لعلاقة متكاملة مع الله الواحد الثالوث، فأدواره المتميزة تسدد كل عوز وتشبع كل احتياج. أبوة الآب تعطينا الانتماء والحب؛ نعمة المسيح تعطينا الكفارة والستر، وشركة الروح القدس تعطينا التأييد والمعونة. يا له من سرٍ عجيب!

مرة أخرى نؤكد أن الثالوث ليس ثلاثة أشخاص مستقلين، ولا ثلاث شخصيات مختلفين عن بعضهم؛ بل شخصية واحدة. وهذا له كل القيمة والمعنى.. وسنأتي إلى مزيد من الإيضاح حين نتطرق لهذه النقطة لاحقاً. ولكن نكتفي هنا بأن نقول إن السيد المسيح عندما صلَّى طالباً

- ***«ليكونوا واحدًا فينا»*** *(يوحنا ١٧: ٢١):*

صلى كي يأخذنا الروح القدس داخل المالانهاية، فيأخذ الإنسان المحدود ليُدخله إلى غير المحدود ويحتويه بمحبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس.. إلى داخل وحدانية الله الجامعة الشاملة.. العلاقة مع الله الثالوث دون انفصال أو استقلال.



رابعاً: صور كتابية

بيّن الكتاب المقدس لنا وحدانية الله ولاهوت كل من الآب والابن والروح القدس. والآن نستعرض المزيد من الصور الكتابية التي تتحدَّث عن هذه الحقيقة في العهدين القديم والجديد.

فهناك شواهد كثيرة في العهد الجديد تتحدث عن هذه الفكرة، لكن ما يهمنا هو ما تحدَّث به العهد القديم لنعرف أن فكرة الوحدة الجامعة هي اكتشاف الكنيسة، وليست من اختراعها ولا تأليفها.

ففي العهد القديم نجد المفرد الجمع، ونرى في الحديث عن الله أن ملاك الرب والرب شخص واحد، ونرى التجسد، فالكتاب يقول إن الله لم يره أحد قط، ولكن من الذي قابله إبراهيم؟ ومن هو ملاك الرب الذي نادى موسى وتحدَّث معه؟ إنه الابن.

١. المفرد الجمع

في سفر التكوين نقرأ عن الله المفرد الجمع:

- «*فِي اْلبَدْءِ خَلَقَ اللهُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ*» (تك١: ١)

الله هنا جاءت بصيغة الجمع «إلوهيم» وهي جمع إيل ومعناها الله ولكن آخرها «يم» وهي صيغة الجمع في اللغة العبرية – فلو تُرجم اسم الجلالة إلوهيم ترجمة حرفية لتُرجمت

- «*خلق الآلهة السماوات والأرض*». (تك ١:١)

خلق ←——— مفرد الفعل مفرد　　　　والفاعل «الله» ←——— جمع

قد يقول قائل إن الجمع هنا أسلوب بلاغي للتعظيم، أي أن الله يريد أن يُعظِّم نفسه فيتحدَّث عنها بصيغة الجمع، كما نفعل في لغتنا العربية الفُصحى، والإجابة هي:

ليس إلهنا شخصاً متعالياً يبتغي أن يعظم نفسه بصيغة الجمع.

هل كانت صيغة الجمع تُستخدم في التعظيم في ذلك الزمان؟

نقول لا، فقد استُحدث هذا الأسلوب فقط منذ أيام الأتراك، فهُم الذين استخدموا صيغة الجمع للتعظيم مثل قولهم «حضرتنا، فخامتنا، نحن، جلالتنا، قررنا» وهكذا..

- هل كانت هذه ثقافة اللغة السائدة في وقت كتابة العهد القديم؟ وبالتالي هل استُخدمت عند الإشارة للملوك والفراعنة في الكتاب المقدس؟

نقول لا، ودليلنا أن هناك آيات في سفر التكوين تحدَّثت عن الملوك والفراعنة ليس بصيغة الجمع. مثل:

- *«ثُمَّ قَالَ فِرْعَوْنُ لِيُوسُفَ: «اُنْظُرْ. قَدْ جَعَلْتُكَ عَلَى كُلِّ أَرْضِ مِصْرَ».. لم يقل «جعلناك» بل «جعلتُك». (تك ٤١: ٤١)*
- *«فَصَدَرَ مِنِّي أَمْرٌ بِإِحْضَارِ جَمِيعِ حُكَمَاءِ بَابِلَ قُدَّامِي لِيُعَرِّفُونِي بِتَعْبِيرِ الْحُلْمِ». قال «صدر مني» وليس «صدر منا». (دا ٤: ٦)*

- لم تُستخدم إذاً صيغة الجمع لتعظيم الله في العهد القديم. فلماذا استُخدمت عندما تحدَّث الله مستخدماً صيغة الجمع؟ وكيف يكون الفعل مفرداً بينما الفاعل جمعاً؟ فهو لم يقل إن الآلهة صنعوا بل قال خلق وصنع الله الكامل الجمع! وهذا الأمر جاء بكثرة في الكتاب المقدَّس. وأمثلة ذلك ما جاء في الشواهد الآتية:

- «وَقَالَ اللهُ: «نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا». (تك ١: ٢٦)
- «وَقَالَ الرَّبُّ الإِلهُ: «هُوَذَا الإِنْسَانُ قَدْ صَارَ كَوَاحِدٍ مِنَّا عَارِفًا الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تك ٣: ٢٢)
- «هَلُمَّ نَنْزِلْ وَنُبَلْبِلْ هُنَاكَ لِسَانَهُمْ» (تك ١١: ٧)
- سمع النبي إشعياء الله يقول: «مَنْ أُرْسِلُ وَمَنْ يَذْهَبُ مِنْ أَجْلِنَا؟» (إش٦: ٨).

فكيف يتكلم الله عن نفسه في ذات العبارة بصيغتي المفرد والجمع. هو ليس آلهة. هو مفرد، لكنه يتكلم عن نفسه بصيغة المفرد الجمع، لأنه لو جاءت الآية جمعاً من البداية كان يمكن أن نقول (حاشا لله) أنه تعدد آلهة، لكنه مفرد جمع.

وهذه كلها صور أولى نرى فيها صيغة المفرد الجمع في الحديث عن الله في العهد القديم وبخاصةً في سفر التكوين.

٢. صورتان كتابيتان عن ظهور الابن في العهد القديم

فى بداية الأمر يجب أن ننبر على موضوع التمييز بين تعبير «ملاك من الله» و«ملاك الرب»

عندما يذكر الكتاب تعبير «ملاك من الرب» نجده يتحدث عن مُرسل من الرب مثل الملاك جبرائيل أو الملاك ميخائيل فمثلاً:

عندما ظهر ليشوع ملاك من الله سجد له يشوع فقال له الملاك إنه رئيس جُند الرب وقد جاء ليساعده. وكأن الملاك يقول له: أنا خادم مثلك.. أنا لستُ الله بل أنا مُرسل منه لأساعدك، فلا تسجد لي (يشوع ٥: ١٣-١٥).

لكن في كل مرة جاء التعبير «ملاك الرب» أو «ملاك يهوه»، نجد الكتاب المقدس يتحدث عن الله نفسه. وهذه هي واحدة من الصور الموجودة في العهد القديم، التي نرى فيها تجسد المسيح أو (ظهوره). نستعرض هنا صورتين كتابيتين عن حقيقة تجسد المسيح في العهد القديم، وكذلك وحدانية الله في الثالوث:

(أ) زيارة إبراهيم

مقاطع من سفر التكوين أصحاح ١٨

- *«وَظَهَرَ لَهُ الرَّبُّ عِنْدَ بَلُّوطَاتِ مَمْرَا وَهُوَ جَالِسٌ فِي بَابِ الْخَيْمَةِ وَقْتَ حَرِّ النَّهَارِ، فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ وَنَظَرَ وَإِذَا ثَلاَثَةُ رِجَالٍ وَاقِفُونَ لَدَيْهِ. فَلَمَّا نَظَرَ رَكَضَ لاسْتِقْبَالِهِمْ مِنْ بَابِ الْخَيْمَةِ، وَسَجَدَ إِلَى الأَرْضِ وَقَالَ: «يَا سَيِّدُ، إِنْ كُنْتُ قَدْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ فَلاَ تَتَجَاوَزْ عَبْدَكَ. لِيُؤْخَذْ قَلِيلُ مَاءٍ وَاغْسِلُوا أَرْجُلَكُمْ، وَاتَّكِئُوا تَحْتَ الشَّجَرَةِ... وَإِذْ كَانَ هُوَ وَاقِفًا لَدَيْهِمْ تَحْتَ الشَّجَرَةِ أَكَلُوا.. وَقَالُوا لَهُ: «أَيْنَ سَارَةُ امْرَأَتُكَ؟» فَقَالَ: «هَا هِيَ فِي الْخَيْمَةِ». فَقَالَ: «إِنِّي أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ امْرَأَتِكَ ابْنٌ»..فَقَالَ الرَّبُّ لإِبْرَاهِيمَ: «لِمَاذَا ضَحِكَتْ سَارَةُ قَائِلَةً: أَفَبِالْحَقِيقَةِ أَلِدُ وَأَنَا قَدْ شِخْتُ؟ هَلْ يَسْتَحِيلُ عَلَى الرَّبِّ شَيْءٌ؟ فِي الْمِيعَادِ أَرْجِعُ إِلَيْكَ نَحْوَ زَمَانِ الْحَيَاةِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ»..ثُمَّ قَامَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَتَطَلَّعُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ مَاشِيًا مَعَهُمْ لِيُشَيِّعَهُمْ. فَقَالَ الرَّبُّ: «هَلْ أُخْفِي عَنْ إِبْرَاهِيمَ مَا أَنَا فَاعِلُهُ، وَانْصَرَفَ الرِّجَالُ مِنْ هُنَاكَ وَذَهَبُوا نَحْوَ سَدُومَ. وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ فَكَانَ لَمْ يَزَلْ قَائِمًا أَمَامَ الرَّبِّ. فَتَقَدَّمَ إِبْرَاهِيمُ وَقَالَ: «أَفَتُهْلِكُ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ؟»*.

ظهر الله لإبراهيم في صورة ثلاثة رجال، إلا أن إبراهيم كان يُحدِّث واحداً محدداً متميزاً. وكان إبراهيم يتكلم معهم أحياناً بصيغة المفرد وأحياناً أُخرى بصيغة الجمع لأن التميز كان لشخصية واحدة من بين الثلاثة، ففي العدد (٩) تكلم بصيغة الجمع «قالوا». ثم في عدد (١٠) جاءت «قال»، وفي عدد (١٣) «قال الله لإبراهيم» عدد (١٧) «قال الرب»، وفي عدد (٢٢) «أما إبراهيم فلم يزل قائماً أمام الرب».

واستمر الحديث فى حوارٍ بين إبراهيم والرب عن سدوم وعموْرة، وبكم بار يرحم الرب المدينة. وفي آخر الحوار يقول «وذهب الرب حين فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم لمكانه»

من هذا إذاً؟ مَن الرب الذي جاء لإبراهيم في صورة رجل مع اثنين آخرين وتحدَّث معه؟ هل هو ملاك من الرب؟ لا، بل هو الرب نفسه. ومن هو الرب المتجسد في العهد القديم؟ ومن الذي تجسَّد لإبراهيم وتحدَّث معه؟

- قال المسيح لليهود: «*أَبوكُم إِبراهِيم تَهلَّل بأَن يَرى يَومي فَرأى وَفرِح*». فقَالَ لَهُ الْيَهُودُ: «*لَيسَ لَكَ خَمسُونَ سَنَة بَعْد أَفرأيت إِبراهِيم؟*». قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: «*قَبْل أَن يَكون إِبراهِيم أَنا كائِن*» *(يوحنا ٨: ٥٦–٥٨)*.

- أين رأى إبراهيم الرب وتهلل وفرح؟ الإجابة إنه رآه في هذا المشهد المذكور في (تكوين ١٨)، وهكذا نرى صورة لتجسد المسيح في العهد القديم، لكنها تظهر لحظات أو ومضات وتختفي.

(ب) دعوة موسى

- *«وَأَمَّا مُوسَى فَكَانَ يَرْعَى غَنَمَ يَثْرُونَ حَمِيهِ كَاهِنِ مِدْيَانَ، فَسَاقَ الْغَنَمَ إِلَى وَرَاءِ الْبَرِّيَّةِ، وَجَاءَ إِلَى جَبَلِ اللهِ حُورِيبَ. وَظَهَرَ لَهُ مَلاَكُ الرَّبِّ بِلَهِيبِ نَارٍ مِنْ وَسَطِ عُلَّيْقَةٍ. فَنَظَرَ وَإِذَا الْعُلَّيْقَةُ تَتَوَقَّدُ بِالنَّارِ، وَالْعُلَّيْقَةُ لَمْ تَكُنْ تَحْتَرِقُ! فَقَالَ مُوسَى: «أَمِيلُ الآنَ لأَنْظُرَ هذَا الْمَنْظَرَ الْعَظِيمَ. لِمَاذَا لاَ تَحْتَرِقُ الْعُلَّيْقَةُ؟» فَلَمَّا رَأَى الرَّبُّ أَنَّهُ مَالَ لِيَنْظُرَ نَادَاهُ اللهُ مِنْ وَسَطِ الْعُلَّيْقَةِ وَقَالَ: «مُوسَى، مُوسَى». فَقَالَ: «هأَنَذَا». فَقَالَ: «لاَ تَقْتَرِبْ إِلَى ههُنَا. اخْلَعْ حِذَاءَكَ مِنْ رِجْلَيْكَ، لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ». ثُمَّ قَالَ: «أَنَا إِلهُ أَبِيكَ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ وَإِلهُ يَعْقُوبَ». فَغَطَّى مُوسَى وَجْهَهُ لأَنَّهُ خَافَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى اللهِ» (خروج ٣: ١-٦)*

في قصة العلّيقة الشهيرة نلاحظ أن الكتاب يقول «ظهر له ملاك الرب» (عدد ٢) وفي عدد ٤ «فلما رأى الرب»، إذاً ملاك الرب والرب شخص واحد.

وفي عدد ٤ أيضاً «ناداه الله» وفي عدد (٦) قال «أنا إله أبيك». من هو ملاك الرب الذي هو الرب والذي يقول لموسى «أنا إله أبيك»؟

نفهم إذاً مما أشرنا إليه سابقاً أننا عندما نقرأ في العهد القديم تعبير «ملاك الرب» نعرف أن «الرب» هو الذي ظهر وليس ملاك من عنده، فهو الذي يقول «أنا إله أبيك إبراهيم وإسحق ويعقوب- الذي قال عنه المسيح إن إبراهيم تهلل أن يرى يومي وقد رأى وفرح.

هذه إحدى الصور التي تبرز أزلية الابن، بينما التجسد حدث في ملء الزمان. الابن أزليّ وكلي الوجود، وكان يظهر ويأتي من آنٍ لآخر ليكلم شعبه، فملاك الرب إذاً، أو الرب، أو الله هم واحد ومتساوون.

٣. نبوات عن الابن في العهد القديم

نلاحظ جلياً عبرّ الكتاب بعهديه أنه دائماً يتحدَّث عن الآب وعن الابن وعن الروح القدس طوال الوقت ولا يفصل بينهم. بينما يتحدَّث بصورة خاصة عن الابن بالنبوة في العهد القديم. ومن هذا نعرف أن فكرة التثليث ليست من اختراع الكنيسة بل هي مؤكدة ومعلنة عبر الكتاب من سفر التكوين إلى سفر الرؤيا. وإليك بعض الشواهد التي تتحدَّث عن الابن في العهد القديم.

- *«لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا، إِلهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ». (إشعياء٩: ٦)*

هل يمكن أن يوصف ملاك أو نبي بهذا الوصف؟ هل هذا وصف يُنسب لبشرٍ؟ هل من الممكن أن يوصف بشرٌ بأنه إله قدير، أبٌ أبديٌ، رئيس السلام؟

- *«قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي حَتَّى أَضَعَ أَعْدَاءَكَ مَوْطِئًا لِقَدَمَيْكَ» (مزمور ١١٠: ١)*

قال الآب للابن: اجلس عن يميني. وهذا ما برهنت به الكنيسة على بنوّة المسيح، طبقاً لهذه النبوة الواردة في العهد القديم. كما جاء في عظة بطرس في سفر أعمال الرسل. (أع ٢: ٣٤)

وهذا الشاهد غاية في الأهمية لأن المسيح علق عليه وسأل الفريسيين عنه

- «فَإِنْ كَانَ دَاوُدُ يَدْعُوهُ رَبًّا، فَكَيْفَ يَكُونُ ابْنَهُ؟» (متى ٢٢: ٤٥).

وما أكثر النبوات التي جاءت عن المسيح الملقَّب بالابن:

- «قَبِّلُوا الابْنَ لِئَلاَّ يَغْضَبَ» (مزمور ٢: ١٢).
- «أَنْتَ ابْنِي. أَنَا الْيَوْمَ وَلَدْتُكَ» (مزمور ٢: ٧).

فالحديث عن الابن هو عبر صفحات الكتاب وأسفاره.

في العهد القديم حديث عن الروح القدس

- «فَأَخَذَ صَمُوئِيلُ قَرْنَ الدُّهْنِ وَمَسَحَهُ فِي وَسْطِ إِخْوَتِهِ. وَحَلَّ رُوحُ الرَّبِّ عَلَى دَاوُدَ مِنْ ذلِكَ الْيَوْمِ فَصَاعِدًا. ثُمَّ قَامَ صَمُوئِيلُ وَذَهَبَ إِلَى الرَّامَةِ. وَذَهَبَ رُوحُ الرَّبِّ مِنْ عِنْدِ شَاوُلَ، وَبَغَتَهُ رُوحٌ رَدِيءٌ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ» (١ صموئيل ١٦: ١٣، ١٤)
- «فَقَالَ الرَّبُّ: «لاَ يَدِينُ رُوحِي فِي الإِنْسَانِ إِلَى الأَبَدِ. لِزَيَغَانِهِ هُوَ بَشَرٌ وَتَكُونُ أَيَّامُهُ مِئَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً». (تكوين ٦: ٣)
- «وَرُوحُ اللهِ يَرِفُّ عَلَى وَجْهِ الْمِيَاهِ».(تكوين ١: ٢)
- «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ» (يؤ ٢: ٢٨)
- «رُوحُ الرَّبِّ تَكَلَّمَ بِي وَكَلِمَتُهُ عَلَى لِسَانِي».(٢ صمو ٢٣: ٢)

٤. يحوي العهد الجديد شواهد كثيرة تتحدَّث عن الآب والابن والروح القدس

- «فَاذْهَبوا وَتَلْمِذوا جميع الأُمم وَعَمِّدوهُم باسْم الآب وَالابْن وَالرُّوح الْقُدس» (متى ٢٨: ١٩)
- «وَأَنا أَطْلُب مِن الآب فَيُعطيكُم مُعَزِّيًا آخَر لِيَمْكُث مَعَكُم إِلى الأَبد رُوح الْحَقِّ الَّذي لا يَسْتَطيع الْعالَم أَنْ يَقْبَلَه لأَنَّه لا يَراه وَلا يَعْرِفُه وَأَمَّا أَنْتُم فَتَعْرِفونَه لأَنَّه ماكِث مَعَكُم وَيَكون فيكُم». (يوحنا ١٤: ١٦، ١٧)
- «وَمَتى جاء الْمُعَزِّي الَّذي سَأُرْسِلُه أَنا إِلَيْكُم مِن الآب رُوح الْحَقِّ الَّذي مِنْ عِنْد الآب يَنْبَثِق فَهُوَ يَشْهَد لي». (يوحنا ١٥: ٢٦)
- «وَإِنْ كانَ رُوح الَّذي أَقامَ يَسوع مِن الأَمْوات ساكِنًا فيكُم فَالَّذي أَقامَ الْمَسيح مِن الأَمْوات سَيُحْيي أَجْسادَكُم الْمائِتَة أَيْضًا بِروحِه السّاكِن فيكُم» (رو ٨:١١)
- «اَلرُّوح نَفْسُه أَيْضًا يَشْهَد لأَرْواحِنا أَنَّنا أَوْلاد الله. فَإِنْ كُنّا أَوْلادًا فَإِنَّنا وَرَثَة أَيْضًا وَرَثَة الله وَوارِثون مَعَ الْمَسيح. إِنْ كُنّا نَتَأَلَّم مَعَه لِكَيْ نَتَمَجَّد أَيْضًا مَعَه.» (رو ٨:١٦-١٧)

- «فَأَنواعُ مَواهِبَ مَوْجودةٌ ولكِنَّ الروحَ واحِدٌ. وأنواعُ خِدمٍ مَوْجودةٌ وَلكِنَّ الرَّبَّ واحِدٌ. وأنواعُ أعمالٍ مَوْجودَةٌ وَلكِنَّ اللهَ واحِدٌ الَّذي يَعْمَلُ الْكُلَّ في الكُلِّ» (١كورنثوس ١٢: ٤-٦)

- «وَلكِنَّ الذي يُثَبِّتُنا مَعَكُم في الْمَسيحِ، وَقَدْ مَسَحَنا، هُوَ اللهُ الَّذي خَتَمَنا أيضًا، وأعطى عَرْبونَ الروحِ في قُلوبِنا.» (٢كو ١: ٢١-٢٢)

- «نِعْمَةُ رَبِّنا يَسوعَ الْمَسيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الروحِ الْقُدُسِ مَعَ جَميعِكُمْ. آمين» (٢كو ١٣: ١٤)

- «لأَنَّ بِهِ لَنا كِلَيْنا قُدومًا في روحٍ واحِدٍ إلى الآبِ.» (اف٢: ١٨)

- «الَّذي فيهِ أَنْتُم أيضًا مَبْنِيّونَ مَعًا، مَسْكَنًا للهِ في الروحِ.» (اف٢: ٢٢)

- «جَسَدٌ واحِدٌ، وَروحٌ واحِدٌ، كَما دُعيتُم أيضًا في رَجاءِ دَعْوَتِكُمُ الْواحِدِ. رَبٌّ واحِدٌ، إيمانٌ واحِدٌ، مَعْمودِيَّةٌ واحِدَةٌ، إلهٌ وآبٌ واحِدٌ لِلْكُلِّ، الَّذي عَلى الْكُلِّ وبِالْكُلِّ وفي كُلِّكُمْ» (أف٤: ٤- ٦)

- «لأَنَّنا نَحْنُ الْخِتانَ، الَّذينَ نَعْبُدُ اللهَ بِالروحِ، وَنَفْتَخِرُ في الْمَسيحِ يَسوعَ، وَلا نَتَّكِلُ عَلى الْجَسَدِ» (في٣: ٣)

- «وَمَنْ يَحْفَظْ وَصاياهُ يَثْبُتْ فيهِ وَهُوَ فيهِ. وَبِهذا نَعْرِفُ أَنَّهُ يَثْبُتُ فينا: مِنَ الروحِ الَّذي أَعْطانا.» (١يو٣: ٢٤)

- «بِهَذا نَعرِفُ أَنَنا نَثْبُت فيه وَهُو فِينَا: أَنَهُ قَدْ أَعطَانا مِنْ رُوحِه. وَنَحْنُ قَدْ نَظَرْنا وَنشْهَدُ أَنَ الآبَ قَدْ أَرسَلَ الابْنَ مُخلِّصًا لِلْعَالَمِ.» (١ يو٤: ١٣-١٤)

- «يُوحَنَّا، إِلَى السَّبع الكَنَائِسِ الَّتِي فِي أَسِّيا: نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ الكَائِنِ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، وَمِنَ السَّبعَة الأَرْوَاحِ الَّتِي أَمَامَ عَرْشِهِ، وَمِنْ يَسُوعَ الْمَسِيحِ الشَّاهِدِ الأَمِينِ، الْبِكْرِ مِنَ الأَمْوَاتِ، وَرَئِيسِ مُلُوكِ الأَرضِ. الَّذِي أَحَبَّنا، وَقَدْ غَسَّلَنا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ» (رؤ ١: ٤-٥)

- «أَنَا يُوحَنَّا أَخُوكُمْ وَشَرِيكُكُمْ فِي الضِّيقَةِ وَفِي مَلَكُوتِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ وَصَبْرِهِ. كُنْتُ فِي الْجَزِيرَةِ الَّتِي تُدْعَى بَطْمُسَ مِنْ أَجْلِ كَلِمَةِ اللهِ وَمِنْ أَجْلِ شَهَادَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. كُنْتُ فِي الرُّوحِ فِي يَومِ الرَّبِّ، وَسَمِعْتُ وَرَائِي صَوْتًا عَظِيمًا كَصَوْتِ بُوقٍ» (رؤ ١: ٩-١٠)

- «مَنْ يَغْلِبُ فَسَأُعطِيهِ أَنْ يَجلِسَ مَعِي فِي عَرْشِي، كَمَا غَلَبْتُ أَنَا أَيضًا وَجَلَسْتُ مَعَ أَبِي فِي عَرْشِهِ. مَنْ لَهُ أُذُنٌ فَلْيَسْمَعْ مَا يَقُولُهُ الرُّوحُ لِلْكَنَائِسِ». (رؤ ٣: ٢١-٢٢)

٥. مشاهد كتابية وليست صوراً، نرى فيها الأقانيم الثلاثة معاً

- *معمودية المسيح: (متى ٣: ١٢-١٧)*

في هذا المشهد نرى الثلاثة أقانيم معاً: الابن متجسداً

- *و«رُوحَ اللهِ نَازِلاً مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِياً عَلَيْهِ» وَصَوْتاً مِنَ السَّمَاوَاتِ قَائِلاً: «هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»..*

الآب يُنادي الابن، والروح القدس يأتي في صورة حمامة ليستقر عليه. نرى هنا بكل وضوح تجسداً للثالوث في مشهد واحد.

- *على جبل التجلّي: (متى ١٧: ١-٧)*

هناك تغيَّرت هيئة المسيح، ثم صار الصوت مرة أخرى من السماء قائلاً

- *«هَذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ. لَهُ اسْمَعُوا»*

فالآب يشهد عن الابن.

- *في أمر المسيح بالمعمودية (مت ٢٨: ١٩)*

قال المسيح لتلاميذه

- *«وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»*

نرى هنا «المفرد الجمع»

عندما يقول «باسم» وهذا مفرد «الآب والابن والروح القدس» وهذا جمع.

- *في البركة الرسولية:* نجد الأقانيم الثلاثة معاً، عندما يقول الكتاب:

- *«نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ» (٢كو ١٣: ١٤)*

لقد رأينا – من كل ما سبق أن:

صورة الثالوث كاملة، سواء في مشهد معمودية المسيح، أو على جبل التجلي، أو في أمر المسيح لتلاميذه بالمعمودية، أو في البركة الرسولية أو في (١يوحنا ٥: ٦–١٠).

خامساً: أهمية وقيمة حقيقة أن الله ثالوث

الأهمية والقيمة هما التطبيق العملي والمعنى الروحي لكل ما سبق وأوردناه في هذا الكتاب.

١. الثالوث هو التفسير الوحيد لما نسميه الوحدة والتنوع في الخليقة

- قد يكون الأيسر لدى الإنسان أن يصدق فكرة تعدد الآلهة، أو أن يؤمن بإله واحد فرد بسيط غير مركب ولا جامع. لكن أن يكون الله واحداً وحدانية جامعة هي فكرة قد لا تتبادر إلى عقله. إلا أننا نكتشف من خلال دراسة الخليقة أن الله لا بد أن يكون هكذا.

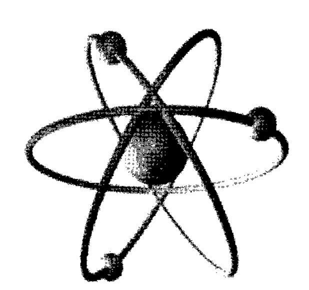
- الخليقة التي نعيش في وسطها لها علامات محددة، فمثلاً هي خليقة مادّية بيولوجية وهي أيضاً خليقة أدبية أو أخلاقية.

فإذا نظرنا إلى العالم الذي نعيش فيه نجد المادة التي تحولت إلى سيتوبلازم التي هي الخليقة البيولوجية، وعلى قمة الكائن البيولوجي يوجد الإنسان وهو الكائن الأدبي والشخص الأخلاقي.

مادة ←—— كائن بيولوجي ←—— الشخص الأدبي

- والإنسان كائن أدبي لديه شعور أخلاقي، ولديه فكر وإرادة ومشاعر، تميز بينه وبين باقي الكائنات البيولوجية. فلا بد أن يكون هناك خالق لهذه الخليقة، ولا بد أنه مُبدع فهو صنع من هذه الخليقة الجامدة حياة. وهذا الخالق هو بالضرورة كائن أدبي، ولذا صنع الإنسان شخصاً وكائناً أدبياً له حس. وهذه المنظومة تحوي فكرة قد تكون عسرة الاستيعاب وهي ما نُسميه الوحدة والتنوع (unity and diversity) على كل المستويات الثلاث.

- إن الوحدانية الإلهية الجامعة التي تحوي في داخلها هذا التنوع هي التفسير الوحيد لحقيقة الوحدة والتنوع في الكون الذي نعيش فيه، فنظرة سريعة لهذا الكون تكشف لنا أن الوحدانية والتنوع هما سمتان مترابطتان جنباً إلى جنب.



أ. فمثلاً إذا أخذنا الذرة لتوضيح كلامنا سنجد أن هذه المادة التي هي المكون الرئيسي لهذا الكون تتكون من نيوترونات وبروتونات التي تُكوّن النواة

والالكترونات التي تدور حولها. واختلاف عدد النيوترونات والبروتونات في النواة يؤدي إلى تغير نوع المادة تغيراً كلياً، فنجد أن كلا من الحديد والذهب لهما نفس التركيب، ولكن عدد النيوترونات والبروتونات في نواة كل واحد يختلف عن الآخر، وهذا هو سبب اختلاف العناصر بعضها عن بعض، بمعنى آخر أن كل العناصر تتكون من ذرات، والذرة تتكون من النواة التي هي في مركز الذرة تدور حولها الإلكترونات. والنواة تتكون من النيوترونات والبروتونات، ولكن اختلاف عددهما هو الذي يُحدد نوع هذا العنصر سواء غاز أو سائل، معدن نفيس أو معدن قليل القيمة، فتصميم المادة المكونة للكون مؤسس على مبدأ الوحدة والتنوع.

ب. لننظر مثلاً إلى الكون الذي نعيش فيه: سنجد في الفضاء بلايين المجرات والنجوم والكواكب والاقمار التي تدور حول بعضها البعض، وهذا كله يُبني على وحدة المادة المستخدمة وتنوع أشكال وصفات الكواكب والأقمار التي في الفضاء. إن نظام الكون واحد لكنه متعدد في تركيبه.



ج. أما إذا نظرنا إلى الخلية الحية التي تُكوّن الحياة على هذا الكوكب الذي نعيش فيه، فسنجد الخلية هي الوحدة التركيبية والوظيفية في الكائنات الحية، فكل الكائنات الحية تتركب من خلية واحدة أو أكثر، وتنتج الخلايا من انقسام خلية أخرى سابقة لها. وتتكوّن الخلية من النواة ويدور حولها السيتوبلازم ويغلفها الغشاء الخارجي الذي يتغير نوعه حسب نوع الخلية، سواء كانت حيوانية أو نباتية. والمذهل أن نرى أنه سواء الأميبا والتي تتكون من خلية واحدة فقط أو القرد الذي يتكون من ملايين الخلايا، أن هذه الخلية في تركيبها واحد، أي أنها تتكون من نواة ويدور حولها السيتوبلازم ويغلفها الغشاء الخارجي، والاختلاف هو في التركيب الجيني الموجود في الحامض النووي.

- نحن اليوم نعرف السيتوبلازم ونعرف تركيبه بالضبط، لكننا لا نعرف أن نصنعه. وهذا ما درسناه فى كلية الطب فى مادة تُسمى «السيتولوجي» أو «علم الخلية» وكُتبت فيها مراجع كثيرة وكبيرة عن الخلية ومحتواها وأعضائها.

د. أما إذا بحثنا عن الإنسان فسنجد أنه الكائن الوحيد الذي ليست له أنواع مختلفة بالمقارنة مثلاً بالكلاب، فالكلاب أنواع وأشكال كثيرة ولكن الإنسان هو الوحيد الذي أطلق عليه العلماء One man kind، وعلى الرغم من ذلك فإن حجم الاختلافات بين البشر كبيرة جداً، حتى في التوائم تجد أن بصمات أيديهم مختلفة بل وشخصياتهم متباينة.

– وقد تسأل كيف ذلك والإنسان يبدوا أن له أنواع كثيرة بدليل أننا نرى هنوداً حُمراً وشعوباً أسيوية صُفراً وشماليين بيضاً أو شقراً وأفارقة سُمراً. فالأنواع كثيرة إذاً، إلا أننا نجيب بلا! لأنه يوجد فرق بين مفهوم الأجناس « RACE والنوع KIND. الإنسان نوع واحد فالأصفر والأبيض والأسمر والأسود والأحمر كلهم نوع واحد من البشر، لكنهم أجناس Races مختلفة.

– أتحير كثيراً من الذين لا يؤمنون بوجود الله كيف يتسنى لهم ذلك حتى الآن في ضوء هذه المعرفة والعلم والفهم! حتى أن أحدهم قال «**الإيمان الذي أحتاجه لأؤمن بعدم وجود الله يفوق بكثير الإيمان الذي أحتاجه لأؤمن بوجود الله**» فالأمر الأصعب هو أن أقول إن الله غير موجود. لأنه

إذا افترضنا أن العالم كله بُني على **نظرية** النشوء والإرتقاء، فالنتيجة أننا سنجد من كل فصيلة بما فيها الإنسان أنواع كثيرة. ولكن الإنسان نوع واحد لأن الإنسان مخلوق على صورة **الله** ذكراً وأنثى خلقهم.

- أذكر قولاً يعلق على تلك الفكرة «**إن الفرق بين الإنسان وأقرب كائن بيولوجي، وهو القرد، كالفرق بين القرد وورق الشجر**». المسافة بين أبسط كائن والقرد تساوي المسافة بين الإنسان والقرد! فلا توجد أنواع من الإنسان لأنه مخلوق على صورة **الله**، فهو لم يأتِ من نشوء وارتقاء، بل هو خلق إلهي «على صورة **الله** خلقهم. ذكراً وأنثى خلقهم».

- كل الخليقة التي نعيش فيها تحمل نفس السمة الإلهية التي **هي** الوحدة والتنوع، **وعليه** فبكل تأكيد إن الخالق كذلك، وإلا فمن أين جاءت هذه الصفة؟ **فالخليقة تعكس** صورة **خالقها**. ولو فرضنا أن وحدانية الخالق وحدانية بسيطة، فكيف يستطيع هذا البارئ أن يصنع كوْناً بهذا التنوع العظيم؟!

- لو لم يكن الله ثالوثاً، من أين تأتي الوحدة والتنوع؟ فما هو إذاً التفسير المنطقي للوحدة والتنوع؟ الله لا بد وأن يكون موجوداً بدليل وجود الخليقة وبهذه الصورة، وهو أيضاً كائن أدبي بدليل وجود الإنسان ككائن أدبي وأبدي.

- قال فرانسيس شيفر اللاهوتي والفيلسوف المسيحي: «لو لم يكن الله ثالوثاً لما آمنت بوجود الله، لأن الخليقة تكون أكثر تطوراً من خالقها». فالثالوث الذي هو من طبيعة الله هو الإجابة الوحيدة لما هو موجود في الكون من وحدة وتنوع، وبالتالي فهو إثبات لوجود الله الذي إذا لم يكن كذلك فهو غير موجود.

- إذاً الله ذاته هو قمة الوحدة والتنوع الكامل غير المحدود! هو الوحدة الجامعة التي تحوي تميز دون إنفصال أو إستقلال. هذه هي قيمة الثالوث!

- لذا فالثالوث ليس نقطة ضعف يجب تجنبها في إيماننا المسيحي لكونها حقيقة صعبة، بل هي نقطة قوة في إيماننا، وهي واحدة من إثباتات وجود الله، فهي فكرة فريدة ولن نجدها سوى في الكتاب المقدس الذى فيه تحدَّث الله عن نفسه.

٢ . الثالوث يفسر العلاقة بيننا وبين الله (بصفاته الأدبية) وبيننا وبين بعضنا:

- إذا كانت وحدانية الله بسيطة، لكان خلق الله للإنسان ودخوله في علاقة وشركة اختباراً جديداً على الذات الإلهية. بل إضافة لأنها لم تكن موجودة، وبالتالي فيكون الله وقتها غير كامل في ذاته– حاشا لله. ولكن وحدانية الله ليست كذلك، فهي وحدانية جامعة شاملة تحوي الآب والابن والروح القدس، والتي تجعل في الذات الإلهية علاقة شركة وحب وتواصل أزلية وأبدية بين الأقانيم بعضها ببعض كما هي الآن. ولتوضيح هذه الفكرة نسوق هذا الأمر بمزيد من التفسير:

- لو فرضنا أن الله واحد بسيط في وحدانيته وليس واحداً جامعاً شاملاً– فهل هذه الفرضية تجعل الله فى علاقة قبل أن يخلق الإنسان ليعيش معه؟ في هذه الحالة ستكون الإجابة قطعاً لا. لأنه وقتها يكون في وحدة لأنه مفرد وليس جمعاً. إذاً خلقه للإنسان صنع إضافة له عندما دخل في علاقة مع الإنسان، فأصبح لديه شخص يتعامل معه. وإذا كان الخلق أضاف لله، فالله إذاً غير كامل لأننا في هذه الحالة أضفنا إليه! ويكون هو– حاشا لله – مستفيداً من خليقته إذ أنه كان ينقصه وجودها.

- والسؤال الأكثر بديهية هو: من أين جاء الله بهذه الفكرة إن كانت فى الأصل ليست فيه وعنده؟! أي لو أن الله بسيط في وحدانيته ويتصف بالمحبة (التي هي عطاء النفس للآخر) فمن كان يحب قبل خلق الإنسان؟ إذا كان يحب نفسه فهو إله أناني ولا يعرف المحبة. لكن لو أن الله بالحقيقة ثالوث فهو في الأصل إذاً له علاقة «شركة الآب والابن والروح القدس». فالعلاقة في داخل ذات الله موجودة وأزلية وأبدية. فالوحدة **الإلهية الجامعة التي نؤمن بها هي التفسير الوحيد لكمال الصفات الإلهية.**

إذاً خلق الله للإنسان على صورته ليس إضافة أو إحتياجاً– حاشا له– لكنه عطاء!

- ففكرة الثالوث إذاً تفسّر العلاقة. وبدون الثالوث تكون العلاقة بلا معنى، بل إضافة لله كما أشرنا. و لكن في الثالوث، الله سبحانه – له علاقة أولاً مع نفسه فى وحدة جامعة – وقد خلق الإنسان على صورته.

- لذا عندما خلق الله آدم قال:

• *«لَيْسَ جَيِّدًا أَنْ يَكُونَ آدَمُ وَحْدَهُ، فَأَصْنَعَ لَهُ مُعِينًا نَظِيرَهُ»* *(تكوين ٢: ١٨).*

«نظيره» أي مثله لتكون لهما علاقة متساوية، فتكون لدى آدم علاقة ذات ثلاثة مستويات: علاقة أكبر منه مع الله؛ وعلاقة أقل منه مع الخليقة.. ولهذا احتاج إلى شخص نظيره لتكون له علاقة متساوية معه. إذاً الله في ذاته له علاقة متساوية بين الآب والابن والروح القدس، انعكاسها وصورتها في كلمة «نظيره».

- الثالوث إذاً هو تفسير للعلاقة بيني وبين الله وبيني وبين أخي الإنسان، ودون العلاقة لن يكون هناك قيمة للصفات الأدبية لأنها كلها مرتبطة بالعلاقة. يالعمق هذه المعرفة ومعناها!

٣. الثالوث هو تفسير لمحبة الله الفائقة المعرفة

- «الله محبة» والمحبة هي «رباط الكمال». والوحدة في داخل شركة الآب والابن هي كمال المحبة. لذا، يقول المسيح «كما أحبني الآب أحببتكم أنا». فهذه المحبة الكاملة التي تجمع الآب والابن والروح القدس هي دافع الخلق، الله خلق بدافع الحب!

لقد خلقنا ليعطينا ويمتعنا بهذه المحبة، وهذا هو كمال محبة الله لنا! فوقى ارتفعت هذه المحبة لا أستطيعها! لقد أحبنا الله حباً جماً!

- «*لِيَكُونَ الْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي*». *(يو١٧: ٢١)*

صلى المسيح هذه الصلاة الرائعة التى جمعت فكرة الثالوث والعلاقة والمحبة. إنه يصلى أن يكون المؤمنون واحداً كما هو والآب واحد. ويصلي أن نتمتع بعلاقة الحب العجيبة كما هو والآب، لأن الحب مُشبعٌ للنفس. فقيمة السعادة لدى الإنسان هي في حب الآخرين ووحدته بهم. ومن أجل هذه الحقيقة نجد أن علاقة الزواج (كما يُفترض أن تكون) هى أكثر علاقة إنسانية تشبع الإنسان من حيث أنها قمة الوحدة، إذ يصير الاثنان واحداً! وهذه هي كنيسة المسيح التي بها كثيرون يجتمعون في وحدة كاملة وقد صاروا واحداً في المسيح.

ويُكمِّل المسيح في الآية فيقول:

- «*لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا*» *(يو ١٧: ٢١)*

ويعكس هذا أيضاً مبدأ الوحدة والتنوع. وحدة في البشرية متنوعون ومتميزون في الشخصيات، لكنهم متحدون بالحب بعضهم لبعض. وهذه الوحدة تكتمل في وحدة الثالوث القدوس– الله الواحد.

- *«أَنا فيهِمْ وأَنتَ فيَّ لِيَكُونُوا مُكَمَّلينَ إلى واحِدٍ، ولِيَعْلَمَ العالَمُ أَنكَ أَرْسَلْتَني، وأَحْبَبْتَهُمْ كَما أَحْبَبْتَني». (يوحنا ١٧: ٢٣)*

فكِّر في هذا التدَّرج كما ورد في ترتيب الآيات:

ليكونوا واحداً ← ثم: ليكونوا واحد فينا ← ثم: ليكونوا مكمَّلين إلى واحد..

يالعظمة وروعة ما طلبه يسوع لنا!

وإن لم يكن المسيح يشرح وقتها نظرية التثليث والتوحيد، إلا أن في سؤاله أن نكون واحداً في داخل وحدة المسيح بالآب نصير مُكملين إلى واحد.

– الكمال في الواحد، والكمال داخل وحدة الله. ونحن نتَّحد بكمال وحدة الله عندما نصير في الواحد، وهذا الواحد في

داخل الله! وفي داخل الله نتحد بالله الواحد لنكون كاملين مع الله الواحد. هذا هو فكر محبته وقصده فى الخلق!

الله صنعني على صورته لكي يدخلني إلى داخله وأكون كاملاً معه! ما أعمق أفكارك يا رب ومحبتك تجاه بني البشر! هلا تأملت فى فكر الله نحوك بهذه الصورة ولو للحظاتٍ!

- قد يكون عند البعض صورة مشوهة عن غاية الخلق، فيتصورون أن الله خلقهم ليتسلط عليهم فقط كأنما هو يتسلى بهم! فما أحمق هذه الأفكار الإنسانية أمام إعلان حب الله للبشر بهذه الصورة!

- الشركة (شركة الحب التي بين الآب والابن والروح القدس) هي السبب في أن يخلق الله الإنسان على صورته ليتمتع البشر بشركة الوحدة مع بعضهم البعض ومع الله، فيصيرون في ذات الله الواحد كاملين كمال الله الواحد. لهذا يقول الله

• *«أَنَا قُلْتُ: إِنَّكُمْ آلِهَةٌ وَبَنُو الْعَلِيِّ كُلُّكُمْ»* *(مزمور ٨٢: ٦)*

فقد جاء ليأخذني لألوهيته، ويأخذني لداخل وحدة الآب والابن والروح القدس، لكي نصير مُكمَّلين إلى الله الواحد.

- «وَعَرَّفْتُهُمِ اسْمَكَ وَسَأُعَرِّفُهُمْ لِيَكُونَ فِيهِمِ الْحُبُّ الَّذِي أَحْبَبْتَنِي بِهِ وَأَكُونَ أَنَا فِيهِمْ». (يوحنا ١٧: ٢٦)

بدون الثالوث لم يكن من الممكن أن يصلي المسيح هذه الصلاة! بدون الثالوث لم يكن من الممكن أن يكون لهذه الطلبة أي معنى!

بدون الثالوث لم يكن من الممكن أن نكون واحداً مع بعضنا وأن نكون واحداً في الله! ولا أن نكون مكمَّلين في الله في هذه الوحدة!

بدون الثالوث لا يوجد تفسير لمحبة الله أو الخلق!

- الثالوث هو بالحق تفسيرٌ للخليقة، وتفسير للعلاقة، وتفسير لدوافع الخلق ومحبة الله لنا ولقصد الله لنا أن نكون واحداً كما هو واحد، وأن نكون واحداً فيه، وأن نكون مُكمَّلين في الواحد، فنختبر كمال مجد وغنى وعظمة الله!

- إن الله دعانا إلى ذاته إلى داخل الوحدة الجامعة المقدسة وحدة الآب والابن والروح القدس، فلقد خلقنا الله لكي يُشبعنا بالمحبة التي تملأ وتفيض في جوانب العلاقة بين

كل من الأقانيم الثلاثة، لكي يُدخل الانسان إلى قمة وحدة التنوع في الذات الإلهية، فنصير شركاء في هذه العائلة الالهية وشركاء المجد الإلهي.

هذه أشواق الله من نحوك أن تعيش في داخل الثالوث، في محبة الآب ونعمة الابن وشركة الروح القدس، وليس وحدك بل أنت وإخوتك والكنيسة.

صـــلاة

أباركك أيها الآب، أيها الابن، أيها الروح القدس.
أيها الإله الواحد أباركك إلى الدهر والأبد.
شئت فصنعتنا على صورتك كشبهك.

نشكرك على تميزنا ووحدتنا
أننا متميزون الواحد عن الآخر،
ولكن نستطيع أن نكون متحدين الواحد بالآخر.

أشكرك من أجل هذا المعنى وهذه القيمة وهذا الفكر.
نباركك من أجل كمالك وجلالك وبهائك

مبارك اسمك، لك المجد.
آمين.

الفصل الثالث

صفات الله الطبيعة

مقدمة

أسردنا من قبل بكثيرٍ من التفصيل معنى الفرق بين مسمى طبيعة الله، وصفاته الطبيعية والأدبية. وتعود أهمية هذا التقسيم إلى كونه يساعدنا على الفهم وتبسيط الحقائق وتجميعها في عناوينِ مشتركة تجعلنا أكثر قدرة على الإستيعاب، وربط الحقائق بعضها ببعض وتذكرها.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن العامل المشترك في صفات الله الطبيعية (أي الصفات التي تتعلق بالقدرات والإمكانيات الإلهية) أنه كائنٌ غير محدودٍ لا نهائي $\propto$ Infinite.

فإن كان الله موجوداً فحتماً لابد أن يكون لا نهائيا وغير محدودٍ، لأنه إن لم يكن هكذا فسوف يكون بدوره محتاجاً لمن يخلقه وبالتالي غير

قادرٍ على الخلق. وهذا عين ما تحدثنا عنه في دراستنا لإثبات وجود الله علمياً وفلسفياً وسوف نشير لذلك مرة أخرى في هذا الفصل.

وعندما نقول إن الله خالقٌ غير محدود، فهذه الغير محدودية تشمل كل الأبعاد المختلفة الطبيعية المتعارف عليها ألا وهي:

- الزمان
- المكان
- القدرة
- المعرفة

وبالمناسبة فإن أينشتاين هو الذي غير نظرتنا عن الوجود أنه رباعي وليس ثلاثي الأبعاد كما كان يُعتقد.

- إذاً الله غير محدود من نحو الزمان وهذا يعنى أنه سرمدي أي أبدي أزلي.
- غير محدود من نحو المكان.. فهو كلي الوجود.
- غير محدود من نحو القدرة.. فهو كلي القدرة.
- غير محدود من نحو المعرفة.. فهو كلي المعرفة.

وأمام كل صفة من هذه الصفات الأربع التي نتناولها في هذا الجزء من دراستنا، وتمشياً مع منهجية هذه الدراسة سوف نتعرض للآتى:

- الشواهد الكتابية التى تبرز وتشهد للمعنى والمفهوم والمقصود بهذه الصفة.
- قيمة معرفة هذه الصفة عن الله.
- قيمة هذه الحقيقة في علاقتنا نحن بالله، والتطبيق العملي في حياتنا اليومية.

والآن دعونا نبدأ بالصفة الأولى من الصفات الطبيعية:

(١) الله سـرمـدي
(أزلـي أبـدي)

الله من نحو الزمان

لنسمع أولاً من كلمة الله الوصف الإلهي لهذه الصفة قبل أن نشرح المعنى أو نتحدث عن القيمة والتطبيق.

بعض الشواهد الكتابية التي تتكلم عن سرمدية الله:

- *«وَغَرَسَ إِبْرَاهِيمُ أَثْلاً فِي بِئْرِ سَبْعٍ، وَدَعَا هُنَاكَ بِاسْمِ الرَّبِّ «الإِلهِ السَّرْمَدِيِّ»». (تك ٢١: ٣٣)*
- *«كُرْسِيُّكَ مُثْبَتَةٌ مُنْذُ الْقِدَمِ. مُنْذُ الأَزَلِ أَنْتَ» (مزمور ٩٣: ٢)*
- *«فَإِنَّكَ أَنْتَ أَبُونَا، وَإِنْ لَمْ يَعْرِفْنَا إِبْرَاهِيمُ وَإِنْ لَمْ يَدْرِنَا إِسْرَائِيلُ. أَنْتَ يَا رَبُّ أَبُونَا، وَلِيُّنَا مُنْذُ الأَبَدِ اسْمُكَ» (إشعياء ٦٣: ١٦)*
- *«لأَنَّ مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ تُرَى أُمُورُهُ غَيْرُ الْمَنْظُورَةِ وَقُدْرَتُهُ السَّرْمَدِيَّةُ وَلاَهُوتُهُ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ، حَتَّى إِنَّهُمْ بِلاَ عُذْرٍ» (رومية ١: ٢٠)*

- *«وَلِلْقَادِرِ أَنْ يُثَبِّتَكُمْ حَسَبَ إِنْجِيلِي وَالْكِرَازَةِ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، حَسَبَ إِعْلاَنِ السِّرِّ الَّذِي كَانَ مَكْتُومًا فِي الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ، وَلكِنْ ظَهَرَ الآنَ وَأُعْلِمَ بِهِ جَمِيعُ الأُمَمِ بِالْكُتُبِ النَّبَوِيَّةِ، حَسَبَ أَمْرِ الإِلهِ الأَزَلِيِّ، لإِطَاعَةِ الإِيمَانِ» (رومية ١٦: ٢٥-٢٦)*
- *«فَكَمْ بِالْحَرِيِّ يَكُونُ دَمُ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِرُوحٍ أَزَلِيٍّ قَدَّمَ نَفْسَهُ للهِ بِلاَ عَيْبٍ، يُطَهِّرُ ضَمَائِرَكُمْ مِنْ أَعْمَال مَيِّتَةٍ لِتَخْدِمُوا اللهَ الْحَيَّ!» (عبرانيين ٩: ١٤)*

– نلاحظ مما سبق أن هناك عبارات ثلاثة تكررت: السرمدي – منذ الأزل – منذ الأبد.

وكلمة سرمدي تحوي الأزل والأبد معاً. والمقصود بالسرمدية أن الله من الأزل أي لا بداية له، وإلى الأبد أي إلى ما لا نهاية هو الله.

– من ∞ إلى ∞ هو موجود ولم يتغير.

– الزمن المادي هو أحد أبعاد المادة المحدودة المخلوقة من الله، وكما علمنا أينشتاين أن البعد الرابع للوجود المادي يحدث بسبب دوران الأرض حول الشمس وحول نفسها. والله موجود خارج هذا الزمن البشري الموقوت الذي نعيش فيه – غير أنه يتعامل معنا داخله حسب محدوديتنا لا حسب عدم محدوديته. وهذا ما يجعلنا نفهم معنى الآية المذكورة

- *«وَلكِنْ لاَ يَخفَ عَلَيْكُم هَذا الشَّيْءِ الْوَاحِد أَيها الأَحِبَّاء، أَنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلفِ سَنَةٍ، وأَلفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ واحِدٍ» (٢ بط ٣: ٨)*

- عزيزي القارئ، رغم إمكانية استيعابنا نظرياً لهذه الحقيقة إلا أنك قد تستشعر أنك غير قادر على تخيلها. أو أنها حقيقة لا تعقل.

أتفق معك فليست كل الحقائق يسهل تخيلها كما تحدثنا من قبل عن الثالوث. لأن العقل المحدود بحدود الزمن المحدود لا يمكن أن يتصور من لا بداية له منذ اللانهاية إلى المالانهاية! بيد أنه أمرٌ يُعقل. فنحن مثلاً نؤمن بهذا الرقم (ما لانهاية) ∞ ونعتمد عليه في كل معادلاتنا العلمية ونصل إلى نتائج صحيحة وعملية ودقيقة فيمكنني إذاً أن أعقل ما لا أستطيع تخيله.

- ولو لم يكن الله سرمدي من نحو الزمان، ما كان الله هو الله، ولكان قد احتاج إلى خالق يخلقه من قبله وهكذا... وهو الأمر الذى بالحق لا يُعقل.

- وتتضح هنا مرة أخرى حقيقة أن الإيمان ليس أبداً ضد العقل والمنطق بل العكس صحيح

- *«بالإِيمان نَفْهَم أَنَّ الْعَالَمِينَ أُتقَنَتْ بِكَلِمَةِ الله، حَتَّى لَمْ يَتَكَوَّنْ مَا يُرى مِمَّا هُوَ ظَاهِرٌ» (عب ١١: ٣)*

لكنه ضد العيان وليس ضد العقل أو المنطق

- *«وَأما الإيمَانُ فَهوَ الثِّقَة بِمَا يُرجى، وَالإيقَانُ بِأُمورٍ لاَ تُرى»* (عب ١١: ١)

أهمية هذه الحقيقة

- قد تبدو بسيطة، إلا أنها لها قيمتها وتطبيقاتها العملية. لأنها فى ذاتها إجابة شافية وافية كافية لسؤال الملحدين الذين يسألوننا إن كان **الله** هو الذي خلق هذا الوجود، فمن هو الذي خلق **الله**؟ وماذا كان قبل وجود **الله**؟ والإجابة بسيطة للغاية.. لأن السؤال نفسه (غلط) خطأ كبير. لأن كون **الله** موجوداً ينبغي أن يكون سرمدياً ولا شيء قبله ولا شيء بعده ولا يحتاج لمن يُوجِده فهو **موجود بذاته**.

- أما السؤال الآخر الشهير في هذا الشأن فهو عادة ما يكون: ما الذي كان يفعله **الله** قبل خلقه للكون؟ والإجابة هنا أيضاً بسيطة للغاية.. وعذراً أكتبها باللهجة العامية: (ملكش دعوة) (انت مالك ما يخصّكش).

- يخبرنا الله ما نحتاج أن نعرفه في علاقتنا معه. يخبرنا بما يخصنا نحن لا بما يخص غيرنا. وعقولنا المحدودة تستطيع بالكاد أن تستوعب ما يخصها، فكم بالحري ونحن نتحدث عما كان قبل الكون الحالي وما كان قبل الملائكة..الخ

(٢) الله كلي الوجود

* *الله من نحو المكان*

ماذا نعني بعبارة كلي «الوجود» من نحو المكان؟ الإجابة تصور لنا حقيقة قد تكون أكثر تعقيداً إلا أنها أكثر جمالاً.

وتفسير تلك العبارة قد يضعنا أمام ثلاثة احتمالات. إلا اننا عندما نشرح هذه الحقيقة ونفهمها فهماً صحيحاً، سنجد أننا أجبنا تلقائياً على أسئلة كثيرة قد تبدو لأول وهلة محيرة وبلا إجابة. فلنذكر بعض الشواهد الكتابية التي تتحدث عن هذا الموضوع قبل أن نحاول فهمها معاً:

- *«لأَنَّهُ هَلْ يَسْكُنُ اللهُ حَقّاً عَلَى الأَرْضِ؟ هُوَذَا السَّمَاوَاتُ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لاَ تَسَعُكَ، فَكَمْ بِالأَقَلِّ هَذَا الْبَيْتُ الَّذِي بَنَيْتُ؟» (١ملوك ٨: ٢٧)*
- *«لأَنَّ عَيْنَيِ الرَّبِّ تَجُولاَنِ فِي كُلِّ الأَرْضِ لِيَتَشَدَّدَ مَعَ الَّذِينَ قُلُوبُهُمْ كَامِلَةٌ نَحْوَهُ» (٢أخبار ١٦: ٩)*

- «أَيْنَ أَذْهَبُ مِنْ رُوحِكَ، وَمِنْ وَجْهِكَ أَيْنَ أَهْرُبُ؟ ٨إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» (مزمور ١٣٩: ٧-١٠)

- «فِي كُلِّ مَكَانٍ عَيْنَا الرَّبِّ مُرَاقِبَتَيْنِ الطَّالِحِينَ وَالصَّالِحِينَ» (إرميا ٢٣: ٢٤)

- «إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ، أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا يَقُولُ الرَّبُّ؟ أَمَا أَمْلأُ أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ، يَقُولُ الرَّبُّ؟» (إرميا ٢٣: ٢٤)

- «وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صَلَّيْتَ فَادْخُلْ إِلَى مِخْدَعِكَ وَأَغْلِقْ بَابَكَ، وَصَلِّ إِلَى أَبِيكَ الَّذِي فِي الْخَفَاءِ. فَأَبُوكَ الَّذِي يَرَى فِي الْخَفَاءِ يُجَازِيكَ عَلاَنِيَةً» (متى ٦: ٦)

- «وَلَيْسَتْ خَلِيقَةٌ غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا» (عبرانيين ٤: ١٣)

والآن دعونا نستعرض الآراء الثلاثة في هذا الشأن:

(١) الله موجود في كل الأشياء

تقول هذه النظرية إن كل الخليقة تحوي الحضور الإلهي.. أي أن الله موجود في كل الأشياء التي خلقها، وهذا الاعتقاد يؤدي بنا إلى تأليه المخلوقات (النبات والحيوان).

وهذا بالطبع ليس إيماننا المسيحي والشواهد التي استعرضناها الآن لا تدل مطلقاً على هذا المفهوم.

بل نحن نؤمن أن الله خلق كل هذه *الأشياء بكلمة* قدرته *(رؤيا ٤: ١١)* وهو لا يوجد فيها بل هي إلى الفناء، كما في الآيتين التاليتين:

- «*وَلكِنْ سَيَأْتِي كَلِصٍّ فِي اللَّيْلِ، يَوْمُ الرَّبِّ، الَّذِي فِيهِ تَزُولُ السَّمَاوَاتُ بِضَجِيجٍ، وَتَنْحَلُّ الْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً، وَتَحْتَرِقُ الأَرْضُ وَالْمَصْنُوعَاتُ الَّتِي فِيهَا*» *(٢بطرس ٣: ١٠)*
- «*مُنْتَظِرِينَ وَطَالِبِينَ سُرْعَةَ مَجِيءِ يَوْمِ الرَّبِّ، الَّذِي بِهِ تَنْحَلُّ السَّمَاوَاتُ مُلْتَهِبَةً، وَالْعَنَاصِرُ مُحْتَرِقَةً تَذُوبُ*». *(٢بطرس ٣: ١٢)*

(٢) الله موجود في كل مكان:

وهذا الرأى يفيد بأن الله بما أنه موجود فى كل مكان فهو إذاً يملأ كل حيز وفراغ. وهذا معنى له خطورته وهو غير علمي بالمرة بل يوقعنا في مشكلات عدة.

فمثلاً ما نراه فراغ على كوكبنا «الأرض» ليس فراغاً بل هو هواءَ وهو بالتالي مادة. فلا يوجد إذاً ما يسمى فراغ. وهنا يطرح سؤال نفسه: لماذا يوجد ويتواجد الله في مكان خاوي وخالي وخرب، هل على أمل أن يأتي أحدهم هناك يوماً ما ليمجده؟!...

ربما استنتج البعض هذا المعنى من النص الموجود بإرميا

- *«أَما أَملأُ أَنا السَمَاوَاتِ وَالأَرضَ» (٢٣: ٢٤)*

لكن إذا قارنا هذا النص بما جاء في

- *«هُوَذا السَمَاوَاتَ وَسَمَاءُ السَمَاوَاتِ لَا تَسَعُكَ» (١ ملوك ٨: ٢٨)*

لأدركنا أن المعنى المقصود هنا مجازي وليس حرفي.

يشير الجزء الأول من آية إرميا *«إذا اختبأ إنسان في أماكن مستترة، أفما أراه أنا يقول الرب»* إلى أنك لا تستطيع أن تختبئ من الله أينما ذهبت فهو يرى في الخفاء. وهذا يقودنا إلى المعنى الثالث الذي نؤمن به ويترجم لنا كل هذه الشواهد ويجيب على الكثير من الأسئلة المحيرة.

(٣) كل شيء موجود في محضر الله

من المؤكد أن الله أعظم بكثير جداً من هذا الكون الذي خلقه بكلمة قدرته. فالوجود كله موجود أمامه وفي محضره ولا يمكن بأي شكل أن يسع الله، بل أن الله يحتوي هذا الكون والوجود كله في آنٍ واحد.

إذاً فكل شيء خفي كان أم ظاهر مكشوف لعينيه كما قرأنا في

- *«وَلَيسَتْ خَلِيقَةٌ غَيرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ، بَلْ كُلُّ شَيْءٍ عُرْيَانٌ وَمَكْشُوفٌ لِعَيْنَيْ ذلِكَ الَّذِي مَعَهُ أَمْرُنَا» (عبرانيين ٤: ١٣)*

وهذا لا يمنع أن الله يستطيع أن يعلن عن حضوره أو محضره في مكان ما أو زمان ما بصورة خاصة، وهذا ما يمكن أن نسميه زيارة إلهية أو إفتقاد إلهي. وهذا يختلف عن صفته أنه كلي الوجود، أي كل شيء موجود في محضره كل الوقت.

ولكن هذا لا يمنع أن نصلي لأجل حضور خاص من الله للجماعة، أو للشعب لأنه كما في

- *«لَيْتَكَ تَشُقُّ السَّمَاوَاتِ وَتَنْزِلُ! مِنْ حَضْرَتِكَ تَتَزَلْزَلُ الْجِبَالُ. كَمَا تُشْعِلُ النَّارُ الْهَشِيمَ، وَتَجْعَلُ النَّارُ الْمِيَاهَ تَغْلِي، لِتُعَرِّفَ أَعْدَاءَكَ اسْمَكَ، لِتَرْتَعِدَ الأُمَمُ مِنْ حَضْرَتِكَ» (إشعياء ٦٤: ١، ٢)*

أى أن يفتقد الله الكنيسة أو الشعب بتنازل وإعلان إلهي عن نفسه.

بهذا المعنى يبطل سؤال الملحدين الشهير: عن «لماذا يوجد الله في أماكن تخلو من البشر؟ وماذا يفعل هناك مثل الحمام والبئر وغيره؟

* أهمية وقيمة هذه الصفة بمعناها الرائع الذي نؤمن به:

١. إمكانية التحدث إلى الله في أي وقت وفي أي مكان.. حتى وسط الزحام أستطيع أن أكون معه.

٢. التوقف عن محاولة الهرب أو الاختباء من الله، وهذا عين ما حاول آدم وحواء أن يفعلاه في جنة عدن وما حاول يونان فعله بالسفر في الاتجاه المعاكس، لكن داود يقول «أين أذهب من روحك ومن وجهك أين أهرب؟»

٣. إمكانية أن نعيش اختبار إيليا الذي عبر عنه عدة مرات:

- *«حَيٌّ هُوَ رَبُّ الْجُنُودِ الَّذِي أَنَا وَاقِفٌ أَمَامَهُ، إِنِّي الْيَوْمَ أَتَرَاءَى لَهُ» (١ملوك ١٨: ١٥)*
- *«حَيٌّ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ الَّذِي وَقَفْتُ أَمَامَهُ» (١ملوك ١٧: ١)*

فنحن في مرات كثيرة ندخل مخادعنا لنصلي ونظل نطلب قبل أى شيء حضور الله قائلين تعال إلينا، تعال.. وننتظر حضوره حتى نستطيع أن نلقاه. لكن فهمنا لهذا المعنى يغير من طريقتنا وتوقعاتنا في صلواتنا الشخصية، إذ بدلاً من أن أطلب حضور الله لغرفتي، أعلم يقيناً ما قاله إيليا حي هو الرب الذي أنا واقف أمامه، فأصلي بالروح بدلا من أن أستدعي الحضور الإلهي. أى أن أدخل بالروح إلى محضر الله الذي أنا قائم فيه، فيفتح الله عينيّ ويحولهما نحوه فأراه.. أن أرفع عيني من نفسي إلى السماء المفتوحة لأبصر مجده، كما جاء بالكتاب:

- *«نَظَروا إِلَيهِ وَاسْتَنَاروا، وَوُجوهُهُمْ لَمْ تَخْجَلْ» (مزمور ٣٤: ٥)*
- *«اِلْتَفِتوا إِلَيَّ وَاخْلُصوا يا جَميعَ أَقاصِي الأَرضِ، لأَني أَنا اللهُ وَلَيْسَ آخَر» (إشعياء ٤٥: ٢٢)*

(٣) الله كلي القدرة

* الله من نحو القوة والقدرة

تبدو هذه الصفة من أول وهلة قضية محسومة وسهلة ويصعب الخلاف حولها، فكلنا يتفق أن الله قادر على كل شيء ولا يعسر عليه أمر كما سنقرأ في الشواهد الآتية:

لكننا سنكتشف أن هناك قضية هامة تتعلق بهذا الأمر وترتبط بالتطبيق العملي لهذه الصفة في علاقتنا كبشر مع الله. لذلك لنقرأ أولاً ما يقوله الكتاب في هذا الشأن ثم نواصل الحديث حول هذه الفقرات الكتابية الرائعة والغنية:

- *«مِنْ إِلهِ أَبِيكَ الَّذِي يُعِينُكَ، وَمِنَ الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»* (تكوين ٤٩: ٢٥)
- *«قَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ وَلاَ يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمْرٌ»* (أيوب ٤٢: ٢)
- *«لَكَ ذِرَاعُ الْقُدْرَةِ. قَوِيَّةٌ يَدُكَ. مُرْتَفِعَةٌ يَمِينُكَ»* (مزمور ٨٩: ١٣)
- *«... الْقَادِرِ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»* (إشعياء ١٣: ٦)
- *«.... يَقُولُ الرَّبُّ الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ»* (٢كورنثوس ٦: ١٨)

- «أَنا هُو الأَلِفُ والْيَاءُ، الْبَدَاءَةُ والنِّهَايَةُ، يَقُولُ الرَّبُّ الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يأْتِي، الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤيا ١: ٨)
- «نَشْكُرُكَ أَيُّها الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ، الْكَائِنُ والَّذِي كَانَ والَّذِي يأْتِي» (رؤيا ١١: ١٧)
- « ... الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤيا ١٥: ٣)
- « ... نَعَمْ أَيُّها الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ!» (رؤيا ١٦: ٧)
- «نَعَمْ أَيُّها الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ!» (رؤيا ١٦: ١٤)
- «هَلِّلُويَا! فَإِنَّهُ قَدْ مَلَكَ الرَّبُّ الإِلَهُ الْقَادِرُ علَى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤيا ١٩: ٦)
- «الرَّبَّ اللهَ الْقَادِرَ علَى كُلِّ شَيْءٍ» (رؤيا ٢١: ٢٢)

كل هذه الآيات وعشرات غيرها تتحدث عن قدرة الله السرمدية التي خلقت هذا الكون من العدم، فكيف يعسر عليه أمر. يقول الكتاب:

- «لأَنَّهُ قَالَ فَكَانَ. هُوَ أَمَرَ فَصَارَ» (مزمور ٣٣: ٩)
- «وَحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عبرانيين ١: ٣)

وبناء عليه نستنتج حقيقة واحدة بسيطة أنه قادر على كل شيء.

قد يقول قائل أين المشكلة إذاً؟ أين السؤال المعضلة؟

السؤال هو: هل ما سبق يعني أن قدرة الله تفعل ما تشاء، حيثما تشاء وقتما تشاء، وكيفما تشاء؟ أم أن هذه القدرة خاضعة لأمور أخرى تتحكم فيها؟

هل ما قاله نبوخذ نصر صحيح بصورة مطلقة في كل الحالات؟

- «وَعِنْدَ انْتِهَاءِ الأَيَّامِ: «أَنَا نَبُوخَذْنَصَّرَ رَفَعْتُ عَيْنَيَّ إِلَى السَّمَاءِ فَرَجَعَ إِلَيَّ عَقْلِي، وَبَارَكْتُ الْعَلِيَّ وَسَبَّحْتُ وَحَمَدْتُ الْحَيَّ إِلَى الأَبَدِ، الَّذِي سُلْطَانُهُ سُلْطَانٌ أَبَدِيٌّ وَمَلَكُوتُهُ إِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ، وَحُسِبَتْ جَمِيعُ سُكَّانِ الأَرْضِ كَلاَ شَيْءَ، وَهُوَ يَفْعَلُ كَمَا يَشَاءُ فِي جُنْدِ السَّمَاءِ وَسُكَّانِ الأَرْضِ، وَلاَ يُوجَدُ مَنْ يَمْنَعُ يَدَهُ أَوْ يَقُولُ لَهُ: مَاذَا تَفْعَلُ؟». (دانيال ٤: ٣٤، ٣٥)

من ناحية أخرى، ماذا عن آيات أخرى نسمع فيها عبارات تبدو وكأنها تناقض القدرة المطلقة مثل:

- «لَنْ يَقْدِرَ أَنْ يُنْكِرَ نَفْسَهُ» (٢ تي ٢: ١٣)
- «وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً» (مرقس ٦: ٥)

هل هناك إذاً تعارض أو تناقض بين هذه الآيات وتلك؟ هل توجد

إجابة كتابية تشرح الموقف؟ أقول جازماً توجد، وهي تفتح عيوننا على أمور هامة وخطيرة تجيب على تساؤلاتنا وتضعنا أمام مسئوليتنا تجاه الحياة، وتبرأ الله من تهم كثيرة اتهمه بها عدو الخير في عقولنا وضمائرنا!

لقد ظن البعض نتيجة هذه الشواهد السابقة، والتي تعبر عن قدرة الله وسلطانه أن كل ما يحدث في هذا العالم هو تحقيق لإرادة الله. ومن هنا خرجت نظرية القَدَرية التى تقول إنه بما أن الله قادر على كل شيء وسلطانه سلطان مطلق فهو إذاً يفعل ما يريد ولا يفعل ما لا يريد... لكن إن كان هذا صحيحٌ بهذه الصورة، فلماذا إذاً الشر والظلم والاغتصاب والسحق موجود؟ لماذا لا يتدخل الله ليصلح هذا العالم الفاسد؟ لماذا يُسمح لهتلر وغيره من الطغاة البغاة الذين عاثوا فساداً فى الأرض أن يفعلوا ما فعلوا بالإنسانية؟

وللإجابة على كل هذه الأسئلة سنشرح هذا التباين بين القدرة الإلهية والواقع الأليم، واضعين فى عين الاعتبار أن الله بقدرته الغير المحدودة وبإرادته الحرة أخضع قدرته غير المحدودة! نعم ولا تتعجب عزيزي القاريء. من هذا الشأن.

أما لماذا أخضع الله - بإرادته الحرة - قدرته الغير محدودة لأمرين هامين؟ فهذا ما سوف نشرحه بأكثر تفصيل.

أ . لشخصيته الأدبية:

كمال الله المطلق فى صفاته جعل منها صاحبة قرار، فنحن كبشر كثيراً ما نفعل ونعيش عكس صفاتنا الأدبية. تفرض قدراتنا الجامحة علينا كثيراً مما نفعله أكثر من مبادئنا أو أخلاقنا...ففى دنيانا عادة صاحب القوة والسلطان لا يسمح بالحرية وصاحب العظمة لا يقبل أن يتواضع وهكذا... واسقاطاً نحن كثيراً ما نظن أن الله يتصرف بنفس هذه الطريقة غير الناضجة والناقصة. ومن أجل ذلك يقول «*لا يقدر أن ينكر نفسه*» أي أنه لا يستطيع أن ينكر حبه ورحمته وطول أناته

- *«الرَّحْمَةُ تَفْتَخِرُ عَلَى الْحُكْمِ» (يع ٢: ١٣)*

وهذا من شأنه أن يبعث في قلوبنا كل الطمأنينة والراحة من نحو قدرة الله. فقدرته ليست كل القوة الهائلة التي تصنع كل ما تستطيع بل هي القدرة التي تصنع ما تختاره فقط محبته.

إنه لم يخلق كل ما يستطيع أن يخلق بل كل ما أراد أن يخلق كما جاء في

- ***«أَنتَ مُسْتَحِقٌ أَيهَا الرَّبُ أَنْ تَأْخُذَ الْمَجْدَ وَالْكَرَامَةَ وَالْقُدْرَةَ، لأَنكَ أَنتَ خَلَقْتَ كُلَّ الأَشْيَاءِ، وَهِيَ بِإِرَادَتِكَ كَائِنَةٌ وَخُلِقَتْ». (رؤيا ٤: ١١)***

وهو بإرادته أخضع هذه القدرة!!!! عجيبة هذه المعرفة فوقى ارتفعت لا أستطيعها! بل أقبلها وأتعجب منها!

ب. للقوانين الأدبية التي وضعها:

وضع الله قوانيناً أدبية تنظم علاقته بنا علاقة الإنسان بأخيه الإنسان وهو نفسه يحترمها لأنها كاملة لكماله وهذه القوانين لا تحده لأنه هو أعظم منها.

ولكنه من الصعب علينا أن نفهم هذا الأمر لأننا كبشر كثيراً ما نضع القوانين دون أن نكون أنفسنا تحتها بل نجعل أنفسنا فوق القانون... لكن كيف يكون الله المشرع الأعظم بهذه الصورة.

إن لم يُحترم القا نون من مشرعه فكيف سيحترمه الباقين؟ إن كان هو نفسه غير مقتنع بما وضعه فكيف يقنعني أنا الذي لم أضعه؟ فالله في كماله إذا يحترم القوانين الكاملة التي وضعها ولم يجبره أحد على وضعها... آه لو فهمنا هذه الحقيقة الغائبة!

الله في لا محدوديته وقدرته وعلمه يعرف قطعاً كيف يتعامل مع كائنات محدودة نظيرنا. وهذا يفسر الكثير من الأحداث الكتابية والتاريخية التي تبدو غامضة وغير مفهومة بل أقول إنها تفسيراً لفلسفة التجسد نفسها. دعونا هنا نأخذ أمثلة في غاية الأهمية تشرح لنا الفكرة بوضوح وتعبر لنا عن قلب الله الرائع:

[*] انظر فصل سلطان الله ومسؤلية الإنسان في مدرسة المسيح

- «حَيٌّ أَنَا يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أُسَرُّ بِمَوْتِ الشِّرِّيرِ، بَلْ بِأَنْ يَرْجِعَ الشِّرِّيرُ عَنْ طَرِيقِهِ وَيَحْيَا. اِرْجِعُوا، ارْجِعُوا عَنْ طُرُقِكُمِ الرَّدِيئَةِ» (حزقيال ٣٣: ١١)
- «الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١ تيموثاوس ٢: ٤)
- «فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ أَنْ يَتُوبُوا» (أعمال ١٧: ٣٠)

إن كان الله لا يسر بموت الشرير، بل يريد أن جميع الناس يخلصون، وأنه يأمر جميع الناس بالتوبة... فلماذا لا يستخدم قدرته لتحقيق ذلك؟ أليس هو القادر على كل شيء وهو العامل فينا لكي نريد ونفعل؟ ما الذي يمنعه من تحقيق إرادته، خاصة وأنها إرادة المحبة الإلهية التي تريد الخير والحياة للبشرية كلها كما يقول فى

- «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ» (فيلبي ٢: ١٣)

- ألم يكن ممكناً أن يمنع حواء وآدم من الأكل من الشجرة ويمنع شراً عظيماً وسقوطاً للبشرية؟
- ألم يكن ممكناً أن يمنع قايين من قتل هابيل؟

- *«وَكَلَّمَ قايينُ هابيلَ أَخاهُ. وَحَدَثَ إِذْ كانا فِي الْحَقْلِ أَنَّ قايينَ قَامَ عَلَى هابيلَ أخيهِ وَقَتَلَهُ» (تكوين ٤: ٨)*

عشرات الأسئلة وإجابة واحدة وبسيطة جداً:

قانون الإرادة الحرة الذي وضعه الله للإنسان، يمنع الله من التدخل في اختيار الإنسان لمصيره الأبدي، فالإنسان حرّ ولذلك فهو مسئول عن اختياره.

راجع الشواهد الكتابية الآتية بدقة:

- *«أُشْهِدُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ السَّماءَ وَالأَرضَ. قَدْ جَعَلْتُ قُدَّامَكَ الْحَياةَ وَالْمَوْتَ. الْبَرَكَةَ وَاللَّعْنَةَ. فَاخْتَرِ الْحَياةَ لِتَحْيَا أَنْتَ وَنَسْلُكَ، إِذْ تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ، وَتَسْمَعُ لِصَوْتِهِ، وَتَلْتَصِقُ بِهِ، لأَنَّهُ هُوَ حَياتُكَ وَالذِي يُطيلُ أَيامَكَ لِتَسْكُنَ عَلَى الأَرضِ التِي حلفَ الرَّبُّ لآبائِكَ إِبراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقوبَ أَنْ يُعطِيَهُمْ إِياها». (تثنية ٣٠: ١٩، ٢٠)*
- *«يا أُورَشليمُ يا أُورَشليمُ، يا قاتِلَةَ الأَنبياءِ وَراجِمَةَ الْمُرسَلينَ إِلَيْها، كَمْ مَرَّةٍ أَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ أَولادَكِ كَما تَجْمَعُ الدَّجاجَةُ فِراخَها تَحْتَ جَناحَيْها وَلَمْ تُرِيدُوا» (لوقا ١٣: ٣٤)*

- «فَإِنَّ الذي يَزْرَعُه الإِنْسانُ إياه يَحْصُدُ أيضًا. لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِه فمِنَ الجَسَدِ يَحْصُدُ فسادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ للرُّوحِ فمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَياةً أبدِيَّة» (غلاطية ٦: ٧، ٨)

إذاً قد تمنع إرادتنا تحقيق إرادة الله، وليس ما يزرعه الله يحصده الإنسان بل ما يزرعه الإنسان يحصده الإنسان.

ومن هنا نرى كيف يحترم الله إرادة الإنسان ويعطيه حقه في حرية الاختيار. لا يجبره على الإيمان به أو رفضه مع أنه القدير، وبالرغم من غنى محبة الله للإنسان وخوفه عليه من أن يختار الموت لنفسه أي الانفصال عن مصدر الحياة الذي هو الله إلا أنه يترك له هذه الحرية.

إذاً معرفتنا الحقيقية عن الله تلغي تماماً فكرة القَدَرية، والتي اتهم الكثيرون الله بسببها بالظلم والاستبداد وهي صفات أبعد ما تكون عن الفهم العميق لمن هو الله القدير.

آه يا رب ما أعجبك وأعظمك وأجملك!

دعوني هنا أسرد قصة لم ولن أنساها:

التقيت بشابة على قدر كبير من العلم من أسرة رفيعة المستوى المادي والاجتماعي. والدها كان أستاذاً بالجامعة. وكان هذا اللقاء في مؤتمر للشباب الجامعي بالعجمي بالإسكندرية. أتذكر أنها كانت حزينة مكسورة دامعة العين. فسألتها ما بك؟ وإذا ببركان مرارة قد انفجر من فمها وقصت عليَّ قصة مؤلمة عن ارتباطها وزواج تعيس لم يدم.

حكت أنها تعرفت بشاب كان معيداً في قسم والدها بالجامعة. كان ذكياً متفوقاً وكان من الواضح أن أمامه مستقبل مبهر. تقدم لخطبتها وشجعها والدها جداً. إلا أنه بعد فترة بدأت تلاحظ عليه تصرفات غير طبيعية وأمور جعلتها تشعر أنها غير مستريحة تماماً لهذا الشخص وهذه العلاقة.

ترجت والدها أن يفسخ الخطبة، لكنه رفض متخوفاً من كلام الناس وأقوالهم، خاصة أنه كان معيداً في قسمه بالجامعة، ووجد فى ذلك عيباً. فتزوجته تحت ضغط والدها وكانت الفاجعة... فى يوم الزفاف وفي غرفة النوم جرها من شعرها وألقى بها من على السرير وضربها ضرباً مبرحاً. وعرفت بعدها السبب، أنه كان يعاني قصوراً جنسياً ولم يشاء أن يصرح بهذا فلجأ لهذه الطريقة...

عادت لبيت أبيها مكسورة مجروحة محبطة وفي داخلها سؤال كبير: لماذا؟ لماذا؟

قال لها الكل إن هذا نصيبها، فالزواج قسمة ونصيب وأنه لا يجب عليها أن تتذمر على الله، فتساءلت لماذا يفعل الله هكذا بي؟ ماذا فعلت من أخطاء يكون هذا عقابها؟ من آذيت حتى يرتد عليّ فعلي؟

كانت إجابتي بسيطة للغاية. قلت لها لا يوجد ما يسمى بالقسمة والنصيب، فما حدث لم يكن إرادة الله بل إرادة والدك. أنت لم تكوني في علاقة حقيقية مع الله ولم تسمعي وتنقادي بروح الله في اختيار شريك حياتك، فما ذنب الله في أمر مثل هذا؟

ليس لله يد مطلقاً فيما حدث. هل من الممكن أن تكون هذه إرادة الله حقاً، أن يخدعك هذا الشخص ويقسو عليك بهذه الطريقة؟..

الله بريء .. بريء .. بريء

أمثلة كتابية أخرى:

- *«وَلَمْ يَقْدِرْ أَنْ يَصْنَعَ هُنَاكَ وَلاَ قُوَّةً وَاحِدَةً، غَيْرَ أَنَّهُ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى مَرْضَى قَلِيلِينَ فَشَفَاهُمْ» (مر ٦: ٥)*

نرى أن عدم إيمانهم جعله غير قادر أن يعمل ما أراد أن يعمله. فنحن بالإيمان نستقبل القدرة الإلهية المعجزية

- *«لأَنِّي عَرَفْتُ الأَفْكَارَ الَّتِي أَنَا مُفْتَكِرٌ بِهَا عَنْكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ، أَفْكَارَ سَلاَمٍ لاَ شَرٍّ، لأُعْطِيَكُمْ آخِرَةً وَرَجَاءً. فَتَدْعُونَنِي وَتَذْهَبُونَ، وَتُصَلُّونَ إِلَيَّ فَأَسْمَعُ لَكُمْ. وَتَطْلُبُونَنِي فَتَجِدُونَنِي إِذْ تَطْلُبُونَنِي بِكُلِّ قَلْبِكُمْ، فَأُوجَدُ لَكُمْ يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَرُدُّ سَبْيَكُمْ وَأَجْمَعُكُمْ مِنْ كُلِّ الأُمَمِ وَمِنْ كُلِّ الْمَوَاضِعِ الَّتِي طَرَدْتُكُمْ إِلَيْهَا يَقُولُ الرَّبُّ، وَأَرُدُّكُمْ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي سَبَيْتُكُمْ مِنْهُ» (إرميا ٢٩: ١١-١٤)*

- *«هَئَنَذَا وَاقِفٌ عَلَى الْبَابِ وَأَقْرَعُ. إِنْ سَمِعَ أَحَدٌ صَوْتِي وَفَتَحَ الْبَابَ، أَدْخُلُ إِلَيْهِ وَأَتَعَشَّى مَعَهُ وَهُوَ مَعِي» (رؤيا ٣: ٢٠)*

هو يريد أن يدخل ويستطيع أن يحطم الباب، لكنه لن يفعل ذلك بل ينتظر أن نفتح نحن له. لماذا؟ لأنه يحترم قانون الإرادة الحرة الذي يميز الإنسان عن الحيوان ويجعل الإنسان على صورة الله وشبهه...

فنحن نظن أن الله يسمح فقط بما يريد، وهذا طبعاً غير صحيح بدليل كل ما ذكرناه، فيسمح كل يوم للشرير أن يصنع شراً ويجدف في وجهه، ورغم هذا يشرق شمسه على الأشرار والصالحين ويمطر على الأبرار والظالمين[٣].

* أهمية هذه الصفة بالنسبة لنا وتطبيقاتها العملية:

يعتبر ما استعرضناه عن قدرة الله الخاضعة لشخصيته الأدبية والقوانين ثورة في المفاهيم، خاصة في مجتمعاتنا المسيحية الشرقية المتأثرة بالمفاهيم القدرية. و هذا يحقق أيضاً الآتي:

١) عدم لوم الله في قلوبنا على الأحداث الشريرة:

- *«كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ الَّذِي لَيْسَ عِنْدَهُ تَغْيِيرٌ وَلاَ ظِلُّ دَوَرَانٍ» (يعقوب ١: ١٧)*

٣ نتعرض لهذه القضية بتفصيل فى كتاب لاحق عنوانه (سلطان الله ومسئولية الإنسان) أو ما نسميه (حكم الله الأدبي للخليقة) الأدبية (الإنسان). وفيه نشرح تفاصيل هذا القانون الأدبي الكامل الذي وضعه الله وبنوده المختلفة وطبيعته المطلقة وكيف أن هذا القانون يجيب على أكثر الأسئلة التي نسألها في موضوع الشر – الألم – التجربة وهل الإنسان مخير أم مسير والفرق بين إرادة الله وسماح الله.

×× (من فضلك راجع هذه الحلقات في مدرسة المسيح (٨ حلقات) (ولها كتيب مستقل عن شخصية الله).

- *«اَللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحدًا.»* (يعقوب ١: ١٣)
- *«لأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً»* (غلاطية ٦: ٨)

٢) الثقة في قدرته غير المحدودة:

فلا شيء غير مستطاع عند الله وهو يسخر هذه القدرة ليحول الشر إلى خير للذين يحبونه.

- *«وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ»* (رومية ٨: ٢٨)

فمع أن كل الأشياء ليست للخير، لكنها تعمل معاً للخير نتيجة للتدخل الإلهي بسبب سماحنا له بذلك من خلال إيماننا به وتسليمنا له.

المثال الشهير لذلك قصة يوسف الصديق، وما فعله إخوته به، والشر الذي فعلته به إمرأة فوطيفار، ولكن الله أخرجه بقدرته ليكون ثاني المملكة، ويحقق له وبه وعده الذي تكلم به إليه منذ أكثر من ١٣ سنة.

٣) إدراك دورنا الهام في تحقيق إرادة الله:

بمعنى أن هذه القدرة الإلهية الغير محدودة تحتاج للدور الإنساني المحدود لتتحقق مشيئة الله للفرد والجماعة.

فتحقيق إرادة الله ليس تحصيل حاصل، لكنه تفاعل ديناميكي بيننا وبينه، فمثلاً عند قبر لعازر كان لابد أن يُدحرج الحجر عن القبر. وهذا هو الدور الذي يستطيع الناس أن يفعلوه، وهو خطوة إيمان كما قال المسيح

- *«إِنْ آمَنْتِ تَرَيْنَ مَجْدَ اللَّهِ؟» (يوحنا ١١: ٤٠).*

عندئذٍ تُطلق يد الله القدير لتقيم الميت الذي أنتن في القبر بعد أربعة أيام إلى الحياة.

كثيراً ما نود لو تجاهلنا دورنا هذا لأنه يضع علينا المسئولية التى لا نود أن نقوم بها. فتوبة الخاطئ تغير مصيره الأبدي بنعمة وقدرة الله. وتوبة الكنيسة وصلاتها وإيمانها تغير مصير شعبها.. آه آه...

هذا ما قاله الله لسليمان في

- *«فَإِذَا تَوَاضَعَ شَعْبِي الَّذِينَ دُعِيَ اسْمِي عَلَيْهِمْ، وَصَلُّوا وَطَلَبُوا وَجْهِي، وَرَجَعُوا عَنْ طُرُقِهِمِ الرَّدِيئَةِ، فَإِنِّي أَسْمَعُ مِنَ السَّمَاءِ وَأَغْفِرُ خَطِيَّتَهُمْ وَأُبْرِئُ أَرْضَهُمْ» (٢أخبار ٧: ١٤)*

وهذا هو دور وغاية وجود الكنيسة فى كل عصورها فهي التي تسمح بالتدخلات الإلهية الفائقة للطبيعة لإعلان مجده وخلاصه ومحبته لشعوبها وذلك عندما تقف في الثغر عن الأرض وتصلي وتتوب عن الشعب و تنوب عنه في طلب المغفرة، فيأتي الله بالنهضة والانتعاش ويجري مشيئته الصالحة المرضية الكاملة.

أنا وأنت لنا دور هام في تحقيق إرادة الله

(٤) اللّٰه كلي المعرفة

هنا ستتلاطم أمواج أفكارنا وتزداد أسئلتها الحائرة بشأن معرفة الله، خاصة بما يتعلق بعلمه السابق للمستقبل المجهول لنا نحن. ولكننا كما بدأنا هذه الرحلة المعرفية العميقة الصادقة عن شخص الله، وجدنا أنها تجيب تساؤلاتنا وتوضح لنا الطريق وترسم لنا صورة جميلة رائعة الكمال، لا يسعنا إلا أن ننحني لها إجلالاً وتقديراً.

وكما أشرنا من قبل دعونا نشاهد ما يقوله الله عن نفسه في الكلمة المقدسة بشأن الله والمعرفة:

- *«أَتُدرِكُ مُوازَنَةَ السَّحابِ، مُعجِزاتِ الكامِلِ المَعارِفِ؟» (أيوب ٣٧: ١٦)*
- *«فاحِصَ القُلوبِ والكُلَى اللهُ البارُّ» (مزمور ٧: ٩)*
- *«أَنتَ عَرَفتَ جُلوسي وقِيامي. فَهِمتَ فِكري مِن بَعيدٍ. مَسلَكي ومَربَضي ذَرَيتَ، وكُلَّ طُرُقي عَرَفتَ. لأَنَّهُ لَيسَ كَلِمَةٌ في لِساني إلَّا وأَنتَ يا رَبُّ عَرَفتَها كُلَّها. مِن خَلفٍ ومِن قُدّامٍ حاصَرتَني، وجَعَلتَ عَلَيَّ يَدَكَ. عَجيبَةٌ هذهِ المَعرِفَةُ فَوقي. ارتَفَعَت لا أَستَطيعُها» (مزمور ١٣٩: ٢-٦)*

- «عَظِيمٌ هُوَ رَبُّنَا وَعَظِيمُ الْقُوَّةِ. لِفَهْمِهِ لاَ إِحْصَاءَ» (مزمور ١٤٧: ٥)
- «وَلكِنَّ الَّذِي يَفْحَصُ الْقُلُوبَ يَعْلَمُ مَا هُوَ اهْتِمَامُ الرُّوحِ، لأَنَّهُ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ يَشْفَعُ فِي الْقِدِّيسِينَ» (رومية ٨: ٢٧)
- «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣)
- «لأَنَّهُ إِنْ لاَمَتْنَا قُلُوبُنَا فَاللهُ أَعْظَمُ مِنْ قُلُوبِنَا، وَيَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ» (١ يوحنا ٣: ٢٠)

نعم! هو يعلم كل شيء، هو كلي المعرفة، ليس لمعرفته حدود أو إحصاء، هو كامل المعارف.عجيبة هذه المعرفة!

ما استعرضناه في الشواهد السابقة، تدل كلها بما لا يدع مجالاً للشك أن الله يعرف الماضي والحاضر بالطبع، بل يعرف كل ما يدور في فكري أو قلبي أو مشاعري في السر أو في العلن. ليس شيء غير مكشوف لديه. وأعتقد أننا نتفق كلنا في هذين البعدين، لكن المشكلة تقع في البعد الثالث من المعرفة ألا وهو المستقبل.

هل الله يعرف كل المستقبل؟

هناك شواهد كثيرة تؤكد هذه الحقيقة مثل:

- مئات النبوات في العهد القديم التي تحققت حرفياً في الزمان والمكان وحتى أسماء الأشخاص كالملك كورش مثلاً.
  - *«اَلْقَائِلُ عَنْ كُورَشَ: رَاعِيَّ، فَكُلَّ مَسَرَّتِي يُتَمِّمُ. وَيَقُولُ عَنْ أُورُشَلِيمَ: سَتُبْنَى وَلِلْهَيْكَلِ: سَتُؤَسَّسُ» (أش ٤٤: ٢٨)*
- ما قاله السيد لبطرس
  - *«إِنَّكَ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ الدِّيكُ تُنْكِرُنِي ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» (متى ٢٦: ٧٥)*

وهذه الشواهد لا تتحدث فقط عن المعرفة الخاصة بالماضي أو الحاضر لكنها تتحدث عن المستقبل.

وهنا يأتي السؤال الصعب:

كيف يعرف الله المستقبل الذى هو نظرياً غير موجود؟!

سنجد هنا ثلاث نظريات تختلف كل منها فى التفسير عن الأخرى. لذلك وجب علينا أن نميز أيهم هو السبيل الصحيح، فمثلاً إن كان الله يعرف ما سوف أفعله فأين هي حريتي في اختيار ما أريد؟ وإذا كان ربنا عارف أن آدم سوف يخطئ لماذا خلقه من الأصل؟

أسئلة كثيرة هامة سوف تدور حول هذا الموضوع.

١. النظرية الأولي: الله يعرف المستقبل لأنه صانعه وواضعه

كل شيء قسمة ونصيب وكله مُقدّر ومكتوب والإنسان مُصيّر بالكامل. بناءً على هذه النظرية تصبح حياة الإنسان عبارة عن قصة كتبها الله، ويعيش الإنسان فقط أحداثها من يوم ميلاده إلى يوم وفاته. ولذلك يعرف الله أدق تفاصيل حياته من قبل أن تحدث إذ أنه مقررها.

وهذه النظرية تتعارض كليةً مع كل ما سبق وعرفناه عن الله وطبيعته، بل وتجعل الإنسان غير مسئول بالمرة عن أيٍ من اختيارات الحياة.

كنت ذات مرة فى سيارة تاكسي داخل القاهرة، وجرى حديث بين السائق وآخرين معي حول حادث قتل. وفجأة قال السائق: «مكتوب يا بيه». فقلت: هل تقصد أنه مكتوب على المجني عليه المقتول؟ أجابني: «لا أقصد القاتل فأكيد المقتول هذا يومه وكُتب له. لكني أقصد القاتل فهذا ما كتبه الله له أيضاً، وإلا فكيف سيموت الآخر مقتولاً!!!

لأول وهلة يبدو الأمر منطقياً من هذه الناحية. لكن من هو هذا الإله الذى يفعل مثل هذا الأمر؟! ومن هو الإنسان؟ لا يمكن أن يكون فى هذه الحالة مخلوقاً أدبياً، بل هو قطعة من الشطرنج يحركها الإله كما يشاء، ولايمكن فى هذه الحالة أن يوجد حساب على الخطأ أو

نتائج للخطية وهذا عكس ما جاء فى الكتاب المقدس تماماً فالله يقول أنه سيعطي كل واحد منا حساباً عما فعل خيراً كان أو شراً

- *«كُلَّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا لِلَّهِ»* (رومية ١٤: ١٢)

٢. النظرية الثانية: الله يعرف المستقبل لأنه يرى المستقبل

من المؤكد أن هناك جزء من المستقبل صنعه وصممه الله مثل خطة الفداء العجيب فهي عمل إلهي وتخطيط وتنفيذ إلهي. لكن كل ما يتعلق بقرارات البشر الخاصة بهم واختياراتهم الأدبية في الحياة وسلوكهم تجاه البشر وغيرهم من الناس. فالله يعرفها لأنه يراها وليس لأنه هو الذي قررها أو صممها مثل قصة بطرس وانكاره للمسيح.

ولنفهم هذه الفكرة، علينا أن نعود إلى فكرة الله من نحو الزمن حين قلنا إن الله لا يعيش داخل الزمن البشري المحدود بالماضي والحاضر والمستقبل بل إنه خارج هذه المنظومة بالكامل مع أنه يتعامل معنا داخلها. وبناء على هذا فهو يرى المستقبل وكأنه بالنسبة له حاضر.. يرى ما سيفعله هو وما سأفعله أنا والآخرين وعدو الخير.. يرى الصورة الكاملة بكل عناصرها المختلفة.

ومن عظم محبته لنا فإنه لا يعاملنا في حاضرنا بحسب ما يعلم أننا سنفعل في المستقبل، بل يعاملنا حسب الخطوة التي نعيشها معه، تماماً كما فعل مع بطرس ومع يهوذا أيضاً.

٣. النظرية الثالثة: الله يعرف المستقبل لأنه يستطيع أن يتوقعه

في هذه النظرية، يرى البعض أن المستقبل غير موجود لكي يراه الله ولكنه يعرفه. من هنا كان علمه الخارق ومعرفته الكاملة بالبشر وطبائعهم وردود أفعالهم... إلخ، وهذه المعرفة هى التي تعلمه بالمستقبل. فهو يستطيع أن يتوقع المستقبل بدقة متناهية مثل كمبيوتر خارق القدرات الذى يتنبأ بالمستقبل.

وأنا شخصياً أميل للنظرية الثانية التي أطلت فيها الشرح والمتعلقة بوجود الله خارج الزمن.

علينا الآن الإجابة على كثير من الأسئلة المحيرة التي حتما تتبادر إلى أذهاننا والمشار إليها فى بدء حديثنا عن هذه النقطة:

السؤال الأول: إن كان الله يعرف إن هذا الشخص أو ذاك سوف يختار طريق الهلاك وسوف يؤثر سلبياً في حياة الكثيرين، فلماذا اختار الله أن يأتي هذا الشخص إلى الحياة؟!

السؤال الثانى: لماذا لا يتدخل الله ليمنعني ويمنع عنى فعل سوف يسيء إليَّ إساءة بالغة وقد يجلب شراً عظيماً على كثيرين؟ لماذا لا يتدخل الله بناء على معرفته السابقة ليمنع وجودي أو وجود هذا الشر (وهذا تدخل في الماضي) أو ليمنع أو يغير اختياراتي (وهذا تدخل في الحاضر) حتى يغير ذلك المستقبل الأليم؟!

الإجابة ببساطة هي:

١. إذا تدخل الله سواء في الماضي أو في الحاضر ليمنع حدثاً ما في المستقبل فالنتيجة هي أن هذا الحدث لن يصبح موجوداً في المستقبل وبالتالي كيف يمكن لله أن يرى حدثاً غير موجود في المستقبل الحقيقي حتى يستطيع أن يتدخل لمنعه؟!

أنا أعلم أن هذا يبدو غريباً كقصص خيال آلات الزمن.

من فضلك عزيزى القاريء

أدعوك أن تقرأ ما سبق مرة أخرى وسوف تفهم المعنى.

هذا الحدث الذى لا نريده أن يحدث ونريد أن يتدخل الله ليمنعه موجود مثلاً في المستقبل ونريد أن يتدخل الله في الماضي أو الحاضر ليمنعه. ولكن أليس بتدخل الله في الماضي أو الحاضر يصبح الحدث غير موجوداً في المستقبل وبالتالي كيف يتدخل الله ليمنعه أصلاً؟!

إن هذا الافتراض الإنساني بأن يتدخل الله ليمنع ويغير المستقبل يصلح فقط إن كان الله واضع المستقبل ومقرره، وفي هذه الحالة فلن يفعل ذلك أى لن يغير شيء لأنه يريده بهذه الكيفية وهذا ما لم نقبله من البداية.

٢. أيضاً إذا افترضت مرة أخرى أن حدث ما سوف يقع في المستقبل يضر بحياتي نتيجة اختياري الشخصي وقرر الله أن يتدخل ليمنع هذا الحدث، ألا يعتبر هذا تعدي صارخ على حرية اختياري وكسر لقانون الإرادة الحرة؟ وإذا تدخل الله وقرر أن يمنع وجودي أصلاً بمنع ولادتي من البداية، ربما لا يعتبر هذا بالنسبة لي تعدِ على حريتي لأني غير موجود بعد، ولكنه يعتبر بالنسبة لله كسر لقانون الحرية الذي وضعه الله من البداية.

عزيزي القارئ،

كل الصور المختلفة عن معرفة الله للمستقبل لا تجعله يغير المستقبل دون أن يكون هذا هو اختيارنا الشخصي الفعلي.

معرفة الله للمستقبل أمر يتعلق بالله ولا يؤثر علينا، فالله لن يعاملنا بما يعرفه عن مستقبلنا. وهذا ما نراه في كل التعاملات الإلهية مع الإنسان، فعندما اختار الله شاول ليكون ملكاً على شعبه كان يرى انصراف قلبه من ورائه. وعندما اختار داود ملكاً كان يرى ضعف قلبه وخطيته التي أخطأ بها. وهكذا سليمان الذي أعطاه من الحكمة والغنى ما لم يعطه لشخص آخر كان يرى الأيام الأخيرة في حياته...

وهذا هو مصدر الأمان في علاقتنا بالله، أنه رغم معرفته بما سوف نصنعه يعاملنا حسب حاضرنا فقط!

الله الغير محدود في الزمان والمكان والقدرة والقوة والمعرفة يخرج خارج لامحدوديته إلى محدوديتنا ليتعامل معنا حسب ما نستطيع نحن أن نفهم ونعي وندرك.

هذا هو التجسد والإخلاء! هذا هو التواضع الإلهي الذي ينزل إلى الإنسان ليأخذه إلى مجده وجلاله! فالله في قدرته الغير محدودة وعلمه السابق يحترم اختياراتي وقراراتي مهما كانت.

هذا هو الجمال والجلال الإلهي الذي يجعلنا نحبه ونعبده من أجل جمال روعته وليس لأننا مضطرون إلى ذلك أو لأننا خائفون منه ومن بطشه.

معرفة الله لصالحي وقدرته أن يفعل ما لصالحي، خاضعة لمحبته ورحمته وشخصيته الأدبية. هذا المطلق بجانبي ليعينني ويقودني ويحكمني ويرشدني، والمذهل أن هذا الإله المطلق يتعامل معي ويتحد بي ليأخذني كما أنا إلى مجده، إلى قدرته، وإلى معرفته، ويأخذني من محدوديتي في الزمن إلى الأبدية فيجعل مني كائن أبدي.. صحيح لست أزلياً ولكن أبدياً. يأخذني من المعرفة المحدودة فيغنيني بغنى معرفة المسيح الغير محدود، فأعرف الذي يعرف كل شيء. نحن لا نتحدث عن مجرد أشياء مجردة بل عن شخصية حية تتعامل معنا بصورة حية.

صلاة

أشكرك يا رب لأن لديك ردود وإجابات لتساؤلاتنا.

أشكرك لأنك إله منطقي ومقنع وفي لامحدوديتك تتجاوب مع عقولنا المحدودة. فنحن لا نستطيع أن نستوعبك أو نحتويك لكن نستطيع أن نفهمك ونقتنع بك فتحتوينا أنت.

نستطيع تحت ظلك أن نبيت وفي حضنك أن نحتمي، لذا نشكرك.

نشكرك لأنك بذراع القوة أرسلت من العُلى

فنشلتني من مياه كثيرة أنقذتني، إلى الرحب أخرجتني.

أشكرك لأني تعلقت بك فرفعتني فأقول مع داود أحبك يا رب يا قوتي، الرب حصني وملجأي به أحتمي.

أشكرك لأنك تجعل قدمي كالآيائل وتمشيني على مرتفعاتي.

أشكرك لأنك عرفتني، عرفت جلوسي وقيامي وفهمت فكري من بعيد. ليس كلمة في لساني إلا وأنت يا رب عرفتها كلها، عجيبة هذه المعرفة فوقي ارتفعت لا أستطيعها. تفهمني جيدًا فلا أحتاج إلى شرح نفسي لك.

أشكرك لأنك تضمن يومي وغدي ففي يدك وديعتي.

لك العزة والجلال

إلى أبد الآبدين

أميـــــن.

الفصل الرابع
صفات الله الأدبية

مقدمـــة

عرضنا قبلاً ما يتعلَّق بطبيعة الله ثم صفاته الطبيعية، ويأتي الحديث بنا الآن إلى الصفات الأدبية، وهي لها ما يميزها تميزاً واضحاً وصريحاً، فهي تتعلق:

١. بالسلوك والتصرف الأخلاقي.

٢. بالعلاقة مع الكائنات الأدبية (الأخلاقية) الأخرى.

٣. بإرادة هذا الكائن الأدبي فيما يختاره كفعل وكرد فعل تجاه الآخرين.

٤. بالقيم والمبادئ .. وهذا مما سنراه بوضوح ونحن نتحدث عن كل صفة منها، الواحدة تلو الأخرى.

عندما نتحدث عن كائن أدبي (أخلاقي) فنحن نقصد أمرين:

أ. أنه شخص

درسنا في موضوع طبيعة الله أن الله شخص، وهذا يعني أنه يحوي:

- الإرادة الحرة التى تختار وتقرر.
- الفكر العاقل المنطقي الخلاق المبدع.
- المشاعر التي تتفاعل مع الأحداث والأشخاص وتحس بها.

هكذا الإنسان أيضاً فهو كائن أدبي خلقه الله على صورته. في هذا الجانب هو شخص يحوي نفس العناصر الثلاثة، لكن بصورة محدودة لأنه كائن محدود.

ب. أنه كائن عنده نور أدبي (أخلاقي)

والمقصود هنا معرفة الخير والشر، الصلاح والفساد، ما يبني وما يهدم، أي النور والظلمة من الناحية الأخلاقية.

- *«اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣: ٥).*

لا بأس بالمعرفة لكن الطريق إليها كان خاطئاً تماماً بفعل الشر، بالعصيان وليس بالطاعة والحب والإيمان.

أما الله فبكل تأكيد عنده نور أدبي غير محدود يعرف كل الصلاح وكل الخير. هو النور ذاته ومصدر كل نور في الحياة.

- *«فِيهِ كَانَتِ ٱلْحَيَاةُ، وَٱلْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ ٱلنَّاسِ، وَٱلنُّورُ يُضِيءُ فِي ٱلظُّلْمَةِ، وَٱلظُّلْمَةُ لَمْ تُدْرِكْهُ. كَانَ إِنْسَانٌ مُرْسَلٌ مِنَ ٱللهِ ٱسْمُهُ يُوحَنَّا. هَذَا جَاءَ لِلشَّهَادَةِ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ لِكَيْ يُؤْمِنَ ٱلْكُلُّ بِوَاسِطَتِهِ. لَمْ يَكُنْ هُوَ ٱلنُّورَ، بَلْ لِيَشْهَدَ لِلنُّورِ. كَانَ ٱلنُّورُ ٱلْحَقِيقِيُّ ٱلَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى ٱلْعَالَمِ. كَانَ فِي ٱلْعَالَمِ، وَكُوِّنَ ٱلْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفْهُ ٱلْعَالَمُ» (يوحنا ١: ٤-١٠)*
- *«ثُمَّ كَلَّمَهُمْ يَسُوعُ أَيْضًا قَائِلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ ٱلْعَالَمِ. مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي ٱلظُّلْمَةِ بَلْ يَكُونُ لَهُ نُورُ ٱلْحَيَاةِ». (يوحنا ٨: ١٢)*
- *«مَا دُمْتُ فِي ٱلْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ ٱلْعَالَمِ». (يوحنا ٩: ٥)*

ومن خصائص الشخصية الأدبية المتكاملة والمتحدة – كما سنرى – أن اختياراتها الأدبية وصفاتها ليست على نفس الدرجة من الترتيب، فهناك صفات وقرارات رئيسية تترتب عليها صفات وقرارات أخرى، وهكذا تكون الشخصية مترابطة كوحدة واحدة. والذي قام بدراسة عبقريات العقاد الكاتب المصري والعربي الشهير، يجد أنه في كل شخصية قدمها كان يبحث فيها عن ما أسماه مفتاح الشخصية الأمر

الذي إذا عرفناه عن هذا الشخص انفتحت أمامنا كل الجوانب الأخرى من شخصيته؛ وهكذا الأمر مع الكثيرين من البشر.

وكلما كانت شخصية الإنسان أنضج كلما قلت التناقضات وصارت الشخصية أبسط وأوضح للآخرين سهلة الفهم وسهل التعامل معها. وهذا ما سنجده بوضوح شديد ونحن ندرس شخصية **الله** الرائعة.. سنراها في النهاية سهلة الفهم حلوة المذاق ليس فيها أي تناقضات على الإطلاق، متحدة كوحدة واحدة بشكل فائق للطبيعة. فما أجمله وما أروعه!

- *«مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ!» (زكريا ٩: ١٧).*

وإن كنا قد رأينا الجلال والعزة في طبيعة **الله** وصفاته الطبيعية فإننا في صفاته الأدبية سنرى بوضوح شديد الجمال والبهاء بصورة تفوق كل وصف. وإن كانت التطبيقات العملية في الجزء الأول قليلة نسبياً نظراً للاختلاف الشديد بين طبيعتنا وقدراتنا نحن البشر، وبين طبيعة **الله** وقدراته.

ففي هذا الجزء سنرى التطبيقات العملية والدروس المستوحاة لا تُعد ولا تحصى، خاصة أن هذا الجزء من شخصية **الله** نفسه، يدعونا أن نتمثل به ونكون مثله.

- *«فَكُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِاللهِ كَأَوْلاَدٍ أَحِبَّاءَ» (أفسس ٥: ١)*

- *«بَلْ نَظِيرَ ٱلْقُدُّوسِ ٱلَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيَرَةٍ» (١بطرس ١: ١٥)*

فأنا وأنت لا نستطيع أن نتمثل بالله في قدراته أو معرفته أو أي من صفاته الطبيعية، لكن علينا أن نتمثل بمحبته وقداسته.

نبدأ هذه الرحلة الرائعة لدراسة سبع صفات أدبية موجودة في الجدول السابق هي:

١. المحبة

٢. القداسة

٣. الرحمة

٤. البر

٥. الحق

٦. الحكمة

٧. الأمانة

(١) المحبة

ولنبدأ بصفة المحبة

نبدأ بالمحبة ليس عشوائياً أو لكون هذا ترتيبها بين الصفات الأخرى، بل لأنها بالحقيقة المفتاح الرئيسي لفهم شخصية الله الأدبية. فهي الاختيار الأعلى والذي منه تنبع وتلتقي باقي الصفات الأخرى.

فمثلاً يقول الكتاب عن الله إنه رحيم وليس رحمة، لكنه يقول عنه أنه «محبة» وليس مجرد مُحب.

- *«اَللهُ ٱلَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي ٱلرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ ٱلْكَثِيرَةِ ٱلَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا» (أفسس ٢: ٤)*

أي أن غنى الرحمة نابع من المحبة الكثيرة! وأن محبته الكثيرة هي الينبوع الذي يفيض بالرحمة الغنية، وهذا ما سوف نستقي منه بفرح طوال هذه الرحلة الرائعة في كل جوانب الصفات المختلفة. فإذا فهمنا وأدركنا محبة الله الفائقة المعرفة، تنفتح عيون أذهاننا لفهم الله ومعرفته بصورة مجيدة، ويسهل علينا فهم واكتشاف باقي جوانب صفاته من هذا المنطلق.

- *الله محبة:*

في رسالة يوحنا الأولى الأصحاح الرابع بداية من عدد (٧) وحتى نهاية الأصحاح يتحدث الرسول عن المحبة كصفة وكفعل ٢٦ مرة!

- *«أَيهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ» (١يوحنا ٤: ٧)*

- *«وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ». (١يوحنا ٤: ٨)*

- *«بِهذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ» (١يوحنا ٤: ٩)*

- *«وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ، وَاللهُ فِيهِ» (١يوحنا ٤: ١٦)*

في الآيات السابقة، تتكرر عبارة «الله محبة» مرتين، وكذلك أن الله هو مصدر المحبة مرتين.

وعلى شاطيء رحلتنا، قبل أن نبحر في بحر هذه المحبة الإلهية، نطرح هذه التساؤلات:

هل هناك فرق بين المحبة كصفة للشخصية والشخص والمحبة أو الحب كعاطفة نشعر بها تجاه شخص آخر؟ أم أنهما نفس الشيء؟ وإن كان عكس عاطفة الحب هي عاطفة الكراهية أفهو الأمر ذاته في نفس الصفة ذاتها؟ بمعنى أن عكس صفة الحب هي صفة الكراهية؟ أم أن الأمر يختلف تماماً هنا حيث أنه لا توجد صفة إسمها الكراهية بل الأنانية؟

شرح هذا التباين من البداية، سيساعدنا في فهم الشواهد الكتابية الكثيرة، فلم تكتب شواهد عن أي صفة أخرى لله قدر شواهد الحب وبمفرداته الأخرى التي هي في واقعها تعبير عن الحب لكن من زاوية خاصة مثل الجود والصلاح.

هناك فرق كبير بين المحبة كصفة وبين الحب كمشاعر عاطفية، فالحب كمشاعر هو مجرد رد فعل وليس اختياراً إرادياً. رد فعل تجاه شخص يعجبني أو أسرني بكرمه أو عاملني بطريقة تعجبني أن أحبه. وإذا تصرف نفس الشخص عكس هذه الطريقة فإن مشاعري تتحول من الحب إلى الكراهية، لأنها رد فعل تلقائي وليس موقفاً ثابتاً إرادياً.

إذاً عاطفة الحب هي حالة ليست ثابتة وليست عامة من نحو جميع الناس. قد يستحيل عليَّ أن أشعر بها تجاه عدو يكرهني ويتربص بي، وهذا ما يجعل الكثيرين يظنون أن وصية السيد المسيح «أحبوا أعداءكم» مستحيلة لأنهم يظنون أنه يتكلم عن عاطفة الحب وليس صفة الحب التي نتحدث عنها الآن والتي نحتاج أن نتعرف عليها في شخص الله العجيب.

فالصفة ليست حالة شعورية بل طريقة وأسلوباً في الحياة. كمبدأ أختاره، وقيمة أتمسك بها، وألتزم بها وأتكوَّن بها فأكونها!

في الحب أنت	تعيش خارج نفسك
	ترجو للآخر
	تعطي للآخر
	تضحي بنفسك للآخر
والأنانية عكسها تماماً	أنت تعيش في نفسك
	ترجو لنفسك
	تأخذ لنفسك
	تضحي بالآخرين لمصلحتك

• «*اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا*» (١كورنثوس ١٣: ٥)

لكن الأنانية تطلب ما لنفسها.

«الله محبة» هذه هي صفته، طريقته، أسلوبه واختياره في كل تعاملاته مع البشر جميعاً بغض النظر عن مواقفهم منه. دعونا الآن نسمع من الله نفسه ومن كلمته هذا الوصف الدقيق عن محبة الآب، ومحبة الابن، ومحبة الروح القدس.

- **محبة الآب:**

• «*وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا*». (رومية ٨: ٣٩)

• «*أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ افْرَحُوا. اِكْمَلُوا. تَعَزَّوْا. اِهْتَمُّوا اهْتِمَامًا وَاحِدًا. عِيشُوا بِالسَّلاَمِ، وَإِلهُ الْمَحَبَّةِ وَالسَّلاَمِ سَيَكُونُ مَعَكُمْ*» (٢كورنثوس ١٣: ١١)

• «*نِعْمَةُ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَمَحَبَّةُ اللهِ، وَشَرِكَةُ الرُّوحِ الْقُدُسِ مَعَ جَمِيعِكُمْ*» (٢كورنثوس ١٣: ١٤)

- «اللهُ الذي هو غنيٌّ في الرحمة، من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها» (أفسس ٢: ٤)
- «لا تحبوا العالم ولا الأشياء التي في العالم. إن أحب أحد العالم فليست فيه محبة الآب» (١يوحنا ٢: ١٥)
- «أيها الأحباء، لنحب بعضنا بعضاً، لأن المحبة هي من الله، وكل من يحب فقد ولد من الله ويعرف الله» (١يوحنا ٤: ٧)

- محبة الابن:

- «كما أحبني الآب كذلك أحببتكم أنا. اثبتوا في محبتي» (يوحنا ١٥: ٩)
- «من سيفصلنا عن محبة المسيح؟ أشدة أم ضيق أم اضطهاد أم جوع أم عري أم خطر أم سيف؟» (رومية ٨: ٣٥)
- «وتعرفوا محبة المسيح الفائقة المعرفة، لكي تمتلئوا إلى كل ملء الله» (أفسس ٣: ١٩)
- «لأن محبة المسيح تحصرنا. إذ نحن نحسب هذا: أنه إن كان واحد قد مات لأجل الجميع. فالجميع إذاً ماتوا» (٢كورنثوس ٥: ١٤)

- *محبة الروح القدس:*

- *«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أيها الإِخْوَة بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وبِمَحَبَّةِ الرُّوحِ، أَنْ تُجَاهِدُوا مَعِي فِي الصَّلَوَاتِ مِنْ أَجْلِي إِلَى الله» (رومية ١٥: ٣٠)*
- *«وأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ» (غلاطية ٥: ٢٢)*
- *«لأَنَّ اللهَ لَمْ يُعْطِنَا رُوحَ الْفَشَلِ، بَلْ رُوحَ الْقُوَّةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالنُّصْحِ» (٢ تيموثاوس ١: ٧)*

هذا ويظن البعض أن صفة الله محبة هذه، غير واضحة في العهد القديم ولم نسمع عنها سوى في العهد الجديد، وهذا غير صحيح على الإطلاق. هناك شواهد عدة من العهد القديم تتكلم بوضوح وصراحة عن محبة الله وعن المحبة الإلهية الرقيقة:

- *«صِرْتَ عَزِيزًا فِي عَيْنَيَّ مُكَرَّمًا، وَأَنَا قَدْ أَحْبَبْتُكَ» (إشعياء ٤٣: ٤)*
- *«وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ» (إرميا ٣١: ٣)*
- *«يَسْكُتُ فِي مَحَبَّتِهِ. يَبْتَهِجُ بِكِ بِتَرَنُّمٍ» (صفنيا ٣: ١٧)*
- *«أَجْذِبُهُمْ بِحِبَالِ الْبَشَرِ، بِرُبُطِ الْمَحَبَّةِ» (هوشع ١١: ٤)*
- *«أَحْبَبْتُكُمْ قَالَ الرَّبُّ». وَقُلْتُمْ: «بِمَا أَحْبَبْتَنَا؟». (ملاخي ١: ٢)*

أما إذا رجعنا إلى المزامير، فتكرار هذه العبارة المحبة المتحننة، المحبة الرقيقة جاءت في مرات عدة مثل:

- «لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَفْضَلُ مِنَ الْحَيَاةِ. شَفَتَايَ تُسَبِّحَانِكَ» (مزمور٦٣: ٣)
- «لأَنَّ الرَّبَّ صَالِحٌ. إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتُهُ، وَإِلَى دَوْرٍ فَدَوْرٍ أَمَانَتُهُ» (مزمور ١٠٠: ٥)

بكل أسف ترجمت المحبة هنا في العربية إلى الرحمة، والرحمة كلمة مختلفة فهي Mercy لكن الكلمة المذكورة هنا تعني الحب المتحنن Loving kindness كما أن كلمة «صالح» التي وردت مرات كثيرة عن الله في العهد القديم تعني المحبة. «وهذه الكلمة ترددت كثيراً في المزامير».

- God is good الله صالح بمعنى أنه يريد كل الخير وأفضل الخير للآخرين وكما سنرى فالصلاح جزء من كمال المحبة الحقيقية التي تريد الخير وتعطي وتغني بالخير الآخرين.

شواهد صلاح الله بمعنى محبته الصالحة:

- «الرَّبُّ الصَّالِحُ يُكَفِّرُ عَنْ كُلِّ مَنْ هَيَّأَ قَلْبَهُ لِطَلَبِ اللهِ الرَّبِّ إِلهِ آبَائِهِ وَلَيْسَ كَطَهَارَةِ الْقُدْسِ». (٢أخبار ٣٠: ١٨، ١٩)

- كذلك كلمة جود أو جواد وتعني معطاء بسخاء، وهي أيضاً تعبير عن جزء من المحبة كما سنشرح لاحقاً.
  - *«مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ!»* (زكريا ٩: ١٧)

فإعلان الله عن نفسه أنه إله الحب كان موجوداً في العهد القديم، لكن الشعب لم يفهم معنى هذا الحب أو المضمون، وظن أن الله يحب البار ويبغض الأثيم. وهذا هو المفهوم الذي صححه لنا الرب يسوع في العهد الجديد، وهو يعلن لنا كمال محبة الله ومعناها الحقيقي.

فما المقصود إذاً بالله محبة ومحبة الله؟ وما هي خصائص المحبة هذه كما وجدناها في كل الشواهد السابقة؟ الحب يعني عدة أمور متدرجة ومرتبطة بعضها ببعض. وهذه المعاني تجلَّت كلها في صفات محبة الله. فلكي نفهم هذه المحبة سنجد أنفسنا نتحدث عن الله نفسه وما يخص صفات محبته.

* صفات محبة الله:

توجد عدة صفات أساسية لهذا النوع الفريد من المحبة والذي يصفه يوحنا الرسول في رسالته الأولى:

- «بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ» (١يو٣: ١٦).

وكلمة المحبة لم تكن غريبة على آذان الناس. ولكن الرب يسوع أعطاها معنى وبُعداً وعمقاً مختلف .. أعطى لها مواصفات جديدة حين جسَّد لنا هذا الحب الإلهي فعرفنا المحبة

١ . محبة غير مشروطة: Unconditional

لقد اختار الله أن يحب الانسان **محبة غير مشروطة** أي يحبك كما أنت بغض النظر عن استحقاقك للحب أو حتى تجاوبك معه، لأن المحبة نابعة منه:

- «وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو٥: ٨)

- «*لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ، فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ، وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِينَ. لأَنَّهُ إِنْ أَحْبَبْتُمُ الَّذِينَ يُحِبُّونَكُمْ، فَأَيُّ أَجْرٍ لَكُمْ؟ أَلَيْسَ الْعَشَّارُونَ أَيْضًا يَفْعَلُونَ ذلِكَ؟» (متى ٥: ٤٥، ٤٦)*

إن سبب محبة الله لنا كما نحن ليس لكوننا نستطيع تقديم أو صنع أي شيء لله. فالسبب ليس فينا بل السبب الحقيقي هو عند الله ذاته، وهو أنه هو محبة.

لقد كانت إحدى التهم الموجهة للسيد المسيح أنه محب للعشارين والخطاة، يقبلهم ويأكل معهم. ولقد تعجب اليهود من هذا الأمر لأنهم لم يدركوا محبة الله غير المشروطة.

دعوني أحكي قصة:

عندما كان ابني الأكبر صغير السن ومنتظماً في مدارس الأحد، التقت مُدرِّسته بزوجتي وسألتها:

أنتم بتعلموا ابنكم إيه؟

فأجابتها: لماذا هذا السؤال؟ فقصَّت عليها هذه القصة.

أثناء وقت فصل مدارس الأحد كان الأولاد يتشاقون، فقلت لهم بلاش شقاوة وإلا ربنا هيزعل منكم.

فرفع ابنكم يده وقال لي غلط يا مس غلط

فقلت له ليه غلط؟

قال لى ربنا مش بيزعل مننا ربنا بيزعل علينا.

فاندهشت المُدرسة كيف يمكن لطفل في هذا السن أن يستوعب هذا الدرس ويدرك هذه الحقيقة!

ما أعظم وما أروع هذه المحبة غير المشروطة التي فيها أدرك أني محبوب كما أنا، مقبول من **الله** كما أنا.. وأنه في خطيتي **الله** لا يغضب مني بل يحزن عليَّ.

إنه يغضب أشد الغضب من الخطية

- *«لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ، الَّذِينَ يَحْجِزُونَ الْحَقَّ بِالإِثْمِ» (رومية ١: ١٨)*

وذلك لأن الخطية هي سبب التعاسة والألم والشر والحزن والمرض والموت الذي يصيب الإنسان الذي هو موضوع محبة **الله**، لذلك فهو يحزن عليَّ أشد الحزن ويريد أن ينقذني من الخطية بأي ثمن.

لقد اعتدنا في تربيتنا ونشأتنا منذ الصغر، وفي مدارسنا، وللأسف الشديد في كنائسنا أيضاً أن نسمع عبارات مثل: «**اسمع الكلام علشان أحبك**»، «**اسمع الكلام علشان ربنا يحبك**». وتشكلت أعماقنا

بهذا المفهوم أنه حتى نستطيع أن نكسب الحب يجب علينا أن ندفع ثمناً أو أن نصنع شيئاً للوالدين في البيت أو للمدرسين في المدرسة. وحتى نكون مستحقين لمحبة الله، علينا دائماً أن نطيع وصاياه وننفذ أوامره، وإلا نكون غير مستحقين لهذا الحب. وبالتالي أصبح الحب مكافأة مقابل ما أصنعه... إذاً فمن الممكن أن أستحق هذه المكافأة ومن الممكن أن لا أستحقها.

هذا المفهوم الخاطئ عن الحب أفرغ الحب من محتواه الحقيقي وشوَّه الصورة الإلهية التي رسمها الله وصاغها لهذه الصفة الرائعة،

فقيمة الحب تنبع من أنه يمدنا بالشبع والأمان والقيمة.

ولكن إذا أصبح الحب مكافأة نستحقها عندما نتمم فرائض الله وأحكامه وأوامره لنا فهو بالتالي لم يعد مصدراً للأمان والقيمة، بل يتحول ليصير مصدراً للألم والتعاسة.

الحب - كما درسنا أعلاه فى هذا الفصل- هو الاحتياج الرئيسي للكائن الأدبي. لأننا لا ولن نستطيع أن نكون مستحقين لهذه المحبة الإلهية بإستمرار فنحن ننجح بعض الأوقات ونفشل في معظمها.

السبب الثاني الذي يجعل الله يُحبني هذه المحبة غير المشروطة هي أنه يرى قيمتي الحقيقية كإنسان. فهو يراني تحفته الإلهية التي

صنعتها يداه. فأنا الكائن الأدبي الأبدي الوحيد الحامل للبصمة الإلهية في أعماقي!

قطعة الذهب أو الألماس مهما أتى عليها من أتربة وعلت عليها القاذورات، لا يتغير تكوينها ولا تتغير قيمتها، بل تظل ثابتة. هكذا نحن، فمهما غمرنا دنس الخطية أو علت علينا قذارة العالم فقيمتنا في نظر إلهنا ثابتة لم ولن تتغير.

والفرق كل الفرق بين محبة الله لنا وبين علاقتنا نحن به، أن محبته لنا غير مشروطة، أما علاقتنا بالله فتتوقف على رغبتنا فيها وعلى بحثنا عنها وأهميتها بالنسبة لنا وطلبنا إياها.

٢ . *محبة غير محدودة:*

رأينا أن الله كائن غير محدود، وبالتالي فإن كل صفة من صفاته هي في ذاتها غير محدودة. ففي قدرته ليس له نهاية، وفي معرفته مالانهاية، أيضاً في محبته هو غير محدود لذلك فمحبته هي من الأزل وإلى الأبد.

- *«تَراءَى لي الرَّبُّ مِنْ بَعيدٍ: وَمَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ مِنْ أَجْلِ ذلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ» (إرميا ٣١ :٣).*

كل كائن يحب على قدر استطاعته وقدرته. والله أيضاً يحبنا محبة على قدر إمكانياته واستطاعته، ولأنه غير محدود فهو يحبنا محبة غير محدودة.

هذه الحقيقة من السهل فهمها ومن الصعب تخيُّلها. كما درسنا أن الله غير محدود ويعبر عنه بالمالانهاية في الأرقام (∞) فإذا قسّمنا المالانهاية على عدد الساكنين على كرتنا الأرضية فإن نصيب الواحد من محبة الله هي مالانهاية من المحبة الإلهية. وهذا هو معنى أن محبة الله غير محدودة.

لهذا يصلي بولس الرسول من أجلنا هذه الصلاة:

- *«بِسَبَبِ هَذَا أَحْنِي رُكْبَتَيَّ لَدَى أَبِي رَبِّنَا يَسُوعَ ٱلْمَسِيحِ، ٱلَّذِي مِنْهُ تُسَمَّى كُلُّ عَشِيرَةٍ فِي ٱلسَّمَاوَاتِ وَعَلَى ٱلأَرْضِ» (أفسس ٣: ١٤، ١٥)*
- *«وَأَنْتُمْ مُتَأَصِّلُونَ وَمُتَأَسِّسُونَ فِي ٱلْمَحَبَّةِ، حَتَّى تَسْتَطِيعُوا أَنْ تُدْرِكُوا مَعَ جَمِيعِ ٱلْقِدِّيسِينَ مَا هُوَ ٱلْعَرْضُ وَٱلطُّولُ وَٱلْعُمْقُ وَٱلْعُلْوُ، وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ ٱلْمَسِيحِ ٱلْفَائِقَةَ ٱلْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ ٱللهِ» (أفسس ٣: ١٨، ١٩)*

فبينما نحن مغروسون في المحبة بنعمة وتأييد الروح القدس وحضور المسيح في قلوبنا، نستطيع أن ندرك أبعاد محبة المسيح التي هي فائقة المعرفة.. فائقة العقل والخيال.

أي أنه مهما تخيلت وحلمت وتصورت عن مقدار محبة الله لك، فإنك لن تستطيع أبداً أن تصل إلى الأبعاد الحقيقية الكاملة عن هذا الحب العجيب.

لهذا قال أحدهم هذا القول المأثور:

لا يوجد أي عمل صالح يمكن أن تعمله يجعل الله يحبك أكثر، ولا يوجد أي أمر رديء يمكن أن تصنعه يجعل الله يحبك أقل.

لعل الروح القدس يفتح عينيك عزيزي القارئ لترى وتدرك أبعاد هذه المحبة العجيبة.

٣. *محبة صالحة تريد الخير للآخرين:*

أن تريد أفضل الخير للآخر، بمعنى آخر الحب إرادة صالحة تتمنى وترجو أفضل الصلاح للآخر.

- «*لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ*» (*رومية ١٢: ٢*)

إرادة الله هى صالحة ومرضية وكاملة. لهذا فنحن نعتبر أن «الرب صالح» بمعنى محب في أحد أبعاد هذا الحب العظيم، وهذا ما قاله الرب يسوع نفسه «أنا هو الراعي الصالح». وعندما سألوه أيها المعلم الصالح، قال لهم «ليس أحدٌ صالحاً إلا الله».

لا يوجد من يحب بهذه الصورة ويرجو كل الخير وكمال الخير لكل البشرية إلا الله، وهذا معناه أن المسيح يقول لهذا الشخص لا تنادي أي شخص بهذه الصفة. فأنت تدعوني معلماً فقط وصالحاً، وليس أحد صالحاً إلا الله. فهل أنت تعرف يقيناً إني أنا الله؟ لذا قال عن نفسه

- *«أَنَا هُوَ الرَّاعِي الصَّالِحِ»* (يوحنا ١٠: ١١، ١٤).

وهذا ما لا يفهمه الناس، أن الرب صالح.. صالح!

- *«كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهِبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَازِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الأَنْوَارِ»* (يعقوب ١: ١٧).

محبة الله دائماً صالحة للإنسان فهو يريد لنا كل الخير والسعادة والرضى على المستوى الروحي والنفسي والجسدي، ولن يضحي بخيري وسعادتي في بُعد من هذه الأبعاد لحساب شيء أخر. إنما يريد الصلاح لنا على كل المستويات، فإرادة الله كاملة الصلاح والإشباع. فهو وحده كامل في صلاحه.

٤. محبة تعطى. العطاء (جود وسخاء العطاء)

لا تريد المحبة فقط الخير للآخرين لكنها تجود بما عندها لتحقق هذا الخير للآخرين. هذا ما قرأناه في (يعقوب ١: ١٧) فى كلمة عطية صالحة.

فالمحبة لا تقف من بعيد ترجو الخير، لكنها تمد يدها لتسد الاحتياج. وهذا عين ما فعله المسيح:

- *«جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا، وَيَشْفِي كُلَّ مَرَضٍ وَكُلَّ ضُعْفٍ فِي الشَّعْبِ»* (متى ٩: ٣٥)
- *«يَسُوعُ الَّذِي مِنَ النَّاصِرَةِ كَيْفَ مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيْرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ الْمُتَسَلِّطِ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ، لأَنَّ اللهَ كَانَ مَعَهُ»* (أعمال ١٠: ٣٨)

وعندما أوصانا أن نحب أعداءنا قال:

- *«أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ وَيَطْرُدُونَكُمْ»* (متى ٥: ٤٤)
- *«لكِنِّي أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ. أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِيكُمْ. بَارِكُوا لاَعِنِيكُمْ، وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ»* (لوقا ٦: ٢٧)،

- «بَلْ أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، وَأَحْسِنُوا وَأَقْرِضُوا وَأَنْتُمْ لاَ تَرْجُونَ شَيْئًا، فَيَكُونَ أَجْرُكُمْ عَظِيمًا، وَتَكُونُوا بَنِي الْعَلِيِّ، فَإِنَّهُ مُنْعِمٌ عَلَى غَيْرِ الشَّاكِرِينَ وَالأَشْرَارِ». (لوقا ٦: ٣٥)

منطق الحب وعلاقته بالعطاء هو ما علّمه المسيح عندما قال:

- «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أعمال ٢٠: ٣٥)
- «أَعْطُوا تُعْطَوْا» (لوقا ٦: ٣٨)

لذلك فإن كل آيات جود الله وإحسانه هي شواهد تحدثنا عن أحد أبعاد محبته العجيبة:

- «مَا أَعْظَمَ جُودَكَ الَّذِي ذَخَرْتَهُ لِخَائِفِيكَ» (مز ٣١: ١٩)
- «مَا أَجْوَدَهُ وَمَا أَجْمَلَهُ!» (زك ٩: ١٧)
- «لأَنَّهُ لَيْسَ بِكَيْلٍ يُعْطِي اللهُ الرُّوحَ» (يو ٣: ٣٤)
- «وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ". (يع ١: ٥)

المحبة الالهية محبة تعطي وتجود لكل الناس على اختلاف ألوانهم ومعتقداتهم سواء كانوا مؤمنين أو خطاة، بدون حساب أو تقتير،

وبدون تعيير. محبته لا تذكر عطاء الماضي لتُحاسبنا عليه حتى ولو لم نقدره تقديراً كافياً، بل هي محبة سخية في العطاء، فسخاء عطاء الله نابع من محبته وليس من استحقاقنا.

في أحيان كثيرة، لا نريد أن نأتي إلى الله طالبين الغفران أو أي عطية أخرى ظناً منا أننا استنفدنا رصيدنا لديه، ولكن الله لا يسألنا عن عطاياه الماضية أو أنه يحصي علينا عطاياه. وننسى أن محبة الله جوادة تعطي بسخاء ولا تعيير.

- *«وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ، الَّذِي يُعْطِي الْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ.». (يع ١: ٥)*

٥ . محبة تضحي:

المحبة تريد الخير، وهي تعطي وتجود بما عندها، لكنها لا تقف عند هذا الحد، بل وتضحي وتبذل نفسها من أجل الآخرين. فالمحبة تعطي من إعوازها مثال ذلك قصة الأرملة فى (مرقس ١٢: ٤٣).

وهذا ما علمته لنا محبة الله. فالمحبة الحقيقية الإلهية هي عطاء الذات للآخر. وهذا هو ما صنعه الرب يسوع من أجل العالم، فقد أعطى نفسه ووضعها حتى الموت من أجل فداء الإنسان. فالله أحب الانسان أكثر مما أحب نفسه وأراد أن يضحي بالابن الوحيد من أجل الانسانية.

- «كَما أَن ابنَ الإنسان لَم يأت لِيُخدَم بل لِيَخدِم، ولِيَبذِل نفسه فِديةً عن كثيرين». (متى ٢٠: ٢٨)
- «لأنه هكذا أحب الله العالم حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية». (يو٣: ١٦)
- «ليس لأحد حب أعظم من هذا أن يضع أحد نفسه لأجل أحبائه» (يوحنا ١٥: ١٣)
- «ولكن الله بين محبته لنا لأنه ونحن بعد خطاة مات المسيح لأجلنا» (رومية ٥: ٨)
- «الذي لم يشفق على ابنه بل بذله لأجلنا أجمعين، كيف لا يهبنا أيضاً معه كل شيء؟» (رومية ٨: ٣٢)
- «بهذا قد عرفنا المحبة: أن ذاك وضع نفسه لأجلنا، فنحن ينبغي لنا أن نضع نفوسنا لأجل الإخوة» (ايو ٣: ١٦)

هذا هو الحب الحقيقي الصادق الذي لا يمنع نفسه عن من يحب. الذي يدفع أي ثمن حتى نفسه لينقذ ويحي ويسعد من يحب. وهذه هي بحق المحبة الإلهية التي شاهدناها ورأيناها واختبرناها ولمستها أيدينا. المحبة تعطي ذاتها لسبب وغاية هي الخير، كل الخير لمن تحب.

هناك بُعد سادس رأيناه في محبة الله:

٦ . محبة تشارك وتتحد بمن تحب:

أراد الله منذ بدأ الخليقة أن يكون في علاقة معنا. وعبْرَ التاريخ الإنساني نجده هو الذي ينادي علينا ويمدّ يد المصالحة. وفي المسيح رأينا هذه الصورة متجلية بشكل يفوق التصور البشري، فتجسَّد الله إنساناً واتحد بجسم بشريتنا لنتحد نحن بألوهيته، ويعطينا الطبيعة الإلهية!

- ***«كَمَا أَنَّ قُدْرَتَهُ الإِلَهِيَّةَ قَدْ وَهَبَتْ لَنَا كُلَّ مَا هُوَ لِلْحَيَاةِ وَالتَّقْوَى، بِمَعْرِفَةِ الَّذِي دَعَانَا بِالْمَجْدِ وَالْفَضِيلَةِ، اللَّذَيْنِ بِهِمَا قَدْ وَهَبَ لَنَا الْمَوَاعِيدَ الْعُظْمَى وَالثَّمِينَةَ، لِكَيْ تَصِيرُوا بِهَا شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلَهِيَّةِ» (٢ بطرس ١: ٣، ٤)***

الحب دائماً يسعى إلى الاتحاد بالآخر. وهذا ما نراه في الثالوث في علاقة الآب والابن والروح القدس مع بعضهم البعض– تلك الوحدة الكاملة الشاملة مبنية على الحب. ويظهر هذا جلياً في الآية التالية التي تؤكد رغبة الآب في وحدة الجميع معاً مثل وحدة الآب والابن. فهو لا يريد فقط أن نتحد نحن ببعضنا البعض فقط، بل أن يتحد هو أيضاً معنا. فهذا هو منطق الثالوث الذي يجمع الآب والابن والروح القدس معاً، وهو أيضاً يريد أن يجمع الكل مع الله.

كم من مرة يكرر المسيح مثل هذه الكلمات:

- *«لِيَكُونَ ٱلْجَمِيعُ وَاحِدًا كَمَا أَنَّكَ أَنْتَ أَيُّهَا الآبُ فِيَّ وَأَنَا فِيكَ لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا لِيُؤْمِنَ ٱلْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي».* (يوحنا ١٧:٢١)

في سبيل ذلك يعطي، ويضحي، ويتحد ويشارك..

- *«فَإِذْ قَدْ تَشَارَكَ الأَوْلاَدُ فِي اللَّحْمِ وَالدَّمِ اشْتَرَكَ هُوَ أَيْضًا كَذلِكَ فِيهِمَا لِكَيْ يُبِيدَ بِالْمَوْتِ ذَاكَ الَّذِي لَهُ سُلْطَانُ الْمَوْتِ، أَيْ إِبْلِيسَ»* (عبرانيين ٢: ١٤)

هذه هي رغبة الله أن يتحد بنا ويشترك معنا ويوجد فينا ولكن بحسب اختيارنا. وهو يترك لنا حرية الإرادة في أن نختار هذا الحب أو نرفضه. وتؤكد قصة الابن الضال هذه الحقيقة، فالله لا يُجبر الانسان على العلاقة معه وهذا عين ما صنعه الأب مع الابن الأصغر. عندما أراد الابن أن يترك أباه سمح له بذلك وأعطاه ما يخصّه من الميراث. وعندما أراد أن يعود رآه أبوه من بعيد فركض إليه ووقع على عنقه وقبَّله. وتظهر هنا كل صفات المحبة الإلهية التي بلا شروط فهو لم يطالب الابن بأي شيء. تظهر أيضاً المحبة التي تعطي بسخاء وتضحي بكل شيء والتي تريد أن تتحد بالآخر

وتقبله مرة أخرى ابن في بيته، ليس ذلك فقط بل يُلبسه الآب الحلَة الأولى ويضع خاتماً في أصبعه ليعيد له السلطان مرة أخرى. فالله يريد أن يتحد بنا، لا لأنه يريد أي شيء منا، بل لأنه يريد أن يعطي الحب لكل واحد منا.

هذا هو قمة الحب الصالح الذي يريد الخير وذلك في أن نكون معه، مثله، فهو يريد أن يتحد بك وتتحد أنت به

- *«وَأَمَّا مَنِ الْتَصَقَ بِالرَّبِّ فَهُوَ رُوحٌ وَاحِدٌ» (١كو ٦: ١٧)*

ما أعجب هذه المحبة!

يقول بولس الرسول:

- *«وَتَعْرِفُوا مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ» (أفسس ٣: ١٧).*

* أهمية صفة «المحبة» في الله:

(١) في علاقتنا به واقترابنا منه

(٢) في فهم الحب واختيار طريقته ولغته في الحياة

(٣) في إدراك مصدر الحب

(١) *في اقترابي من الله*

لا يوجد شيء أعظم من أن تكون محبوباً بهذه الصورة وبهذا المقدار، فهذا الحب يُشبع القلب ويشفي النفس ويعطي الإنسان القيمة والأمان، ولن تجده إلا في الله خالقك وجابلك.

إن أبعاد الحب الإلهى كما استعرضناها تُبهر العقل وتجذب القلب. لأننا لا نحتاج أن نتجمل ولا أن نتنقى أو حتى أن نتغير قبل لقاء محبة الله، فهو الوحيد الذي يستطيع أن ينقينا ويغيرنا. وبالتالي نستطيع أن نبني علاقة صادقة قوية حقيقية مع الله بأمان شديد وثقة وطمأنينة.

أستطيع أن أقترب إليه في أي وقت ومهما كانت حالتي، بأمان شديد وثقة وطمأنينة، عالماً أني محبوب ومقبول ومرغوب فيّ ومرحب بي.

(٢) *في اختياري للحب*

من خلال فهمنا لما سبق نستطيع أن ندرك أن الحب عند الله هو القيمة العليا "هو اللغة التي يتكلمها" هو جوهر العلاقة والشركة مع الآخرين. وهو ليس مجرد مشاعر وأحاسيس لكنه اختيار.. إنه مبدأ، وصفة للشخصية، ومنهج وطريقة حياة.

فإذا أردنا أن تكون لنا شركة مع الله وعلاقة حية وحقيقية معه فيها نستمتع بمحبته وشخصه، فعلينا أن نختار الحب كأسلوب للحياة وطريقة للتفكير، الحب لله والحب للناس الذين هم على صورة الله، فلا يمكننا أن نتقابل مع الله الا إذا تعلمنا أن نعيش بالحب، ونرفض كل صورة من صور الأنانية.

الوصية الأولى والعظمى والثانية التي هي مثلها، هي كل ما يطلبه الله من الإنسان:

- *«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ وَقَرِيبَكَ مِثْلَ نَفْسِكَ» (لوقا ١٠: ٢٧).*
- *«يَا مُعَلِّمُ، أَيَّةُ وَصِيَّةٍ هِيَ الْعُظْمَى فِي النَّامُوسِ؟». فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ» (متى ٢٢: ٣٦-٤٠)*

وهذا يعني أن تختار بعقلك وقلبك، وتعطي نفسك لله، وتبادله الحب فتدخل في علاقة وشركة معه. وهكذا تستطيع أن تستقبل غنى محبته لك، فتقول مع عروس النشيد

- *«حَبِيبِي لِي وَأَنَا لَهُ» (نشيد الأنشاد ٢: ١٦).*
- *«أَنَا لِحَبِيبِي وَحَبِيبِي لِي» (نشيد الأنشاد ٦: ٣).*

فالله يدعونا إلى علاقة وشركة طبيعتها محبة لغتها حب وأي بديل عن هذا هو غير مقبول عند الله.

في ذات الوقت كأحباء لله اخترنا طريق الحب والخروج من الذات وعطاء الذات، لذلك أختار أيضاً أن «أحب قريبي كنفسي».

عندما سأل أحدهم الرب يسوع: من هو قريبي؟ هل هو أخي في الجسد؟ أم هو أخي في الإيمان؟

قصَّ المسيح قصة السامري الصالح، موضحاً أنه أخي في البشرية، الذي قد يختلف معي في كل شيء بل ربما من يحتقرني أيضاً.

اقرأ معي عزيزي القارئ هذين الشاهدين:

- *«وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ أَنَا تُحِبُّونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ بَعْضًا. بِهَذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ». (يو ١٣: ٣٤-٣٥)*
- *«هَذِهِ هِيَ وَصِيَّتِي أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا كَمَا أَحْبَبْتُكُمْ». (يو ١٥: ١٢)*

هنا يركز المسيح على أمرين أولهما أن نحب كما أحبنا، أي نفس نوعية الحب؛ وثانيهما أن الحب هو العلاقة التي تميزنا كتلاميذ للمسيح، وهو يدعونا أن نتبع أسلوب حياته في اللغة والثقافة والصبغة.

دعونا نزور ما كتبه يوحنا في رسالته الأولى وهو يؤكد ويكرر هذا المعنى بصور مختلفة:

- *«مَنْ قَالَ إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ. مَنْ يُحِبُّ أَخَاهُ يَثْبُتُ فِي النُّورِ وَلَيْسَ فِيهِ عَثْرَةٌ. وَأَمَّا مَنْ يُبغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلاَ يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي، لأَنَّ الظُّلْمَةَ أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» (١يوحنا ٢: ٩-١١)*
- *« بِهَذَا أَوْلاَدُ اللهِ ظَاهِرُونَ وَأَوْلاَدُ إِبْلِيسَ. كُلُّ مَنْ لاَ يَفْعَلُ الْبِرَّ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ، وَكَذَا مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ. لأَنَّ هذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْتُمُوهُ مِنَ الْبَدْءِ: أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» (١يو٣: ١٠، ١١)*
- *«نَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّنَا قَدِ انْتَقَلْنَا مِنَ الْمَوْتِ إِلَى الْحَيَاةِ لأَنَّنَا نُحِبُّ الإِخْوَةَ. مَنْ لاَ يُحِبَّ أَخَاهُ يَبْقَ فِي الْمَوْتِ. كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ. بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ». (١يو٣: ١٤-١٦)*
- *«وَهذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ: أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً» (١يو٣: ٢٣)*

- «أَيَها الأَحِبَّاءُ، لِنحِبَّ بَعْضُنا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ» (١يو ٤: ٧، ٨)

- «أَيها الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذا، يَنْبغِي لَنَا أَيضًا أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا» (١يو ٤: ١١)

- «وَنَحْنُ قَدْ عَرَفْنَا وَصَدَّقْنَا الْمَحَبَّةَ الَّتِي للهِ فِينَا. اللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ يَثْبُتْ فِي اللهِ، وَاللهُ فِيهِ» (١يو ٤: ١٦)

- «إِنْ قَالَ أَحَدٌ: «إِنِّي أُحِبُّ اللهَ» وَأَبْغَضَ أَخَاهُ، فَهُوَ كَاذِبٌ. لأَنَّ مَنْ لاَ يُحِبُّ أَخَاهُ الَّذِي أَبْصَرَهُ، كَيْفَ يَقْدِرُ أَنْ يُحِبَّ اللهَ الَّذِي لَمْ يُبْصِرْهُ؟ وَلَنَا هذِهِ الْوَصِيَّةُ مِنْهُ: أَنَّ مَنْ يُحِبُّ اللهَ يُحِبُّ أَخَاهُ أَيضًا» (١يو ٤: ٢٠-٢١)

- «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ. وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ الْوَالِدَ يُحِبُّ الْمَوْلُودَ مِنْهُ أَيضًا» (١يو ٥: ١)

- ولقد أكد المسيح ضرورة ممارسة هذا الحب حتى للأعداء الذين يبغضوننا، فقال:

- *«سمعتم أنه قيل: تحب قريبك وتبغض عدوك. وأما أنا فأقول لكم: أحبوا أعداءكم. باركوا لاعنيكم. أحسنوا إلى مبغضيكم، وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم. لأنه إن أحببتم الذين يحبونكم، فأي أجر لكم؟ أليس العشارون أيضا يفعلون ذلك؟» (مت ٥: ٤٤-٤٦)*

ونرى تطبيقاً لهذا في موقف بولس وسيلا عندما أُلقي القبض عليهما فى فيلبي (أعمال ١٦: ١٦- ٣٤) نتيجةً لشهادة امرأة بها روح عرافة أنهما عبدين لله العلي. فانتهر بولس الروح النجس وأخرجه منها. فقبض الجمع عليهما وضربوهما ضرباً مبرحاً، ثم وُضعت أرجلهما في المقطرة، وذلك رغم أن الرسول بولس كان يحمل الجنسية الرومانية التي كانت تضمن له محاكمة عادلة وعدم التعرض له بالضرب والسجن كما حدث. لكنه لم يطالب بحقه في هذا الامتياز، وكان يصلي ويسبّح الله مع سيلا، فتزعزعت أساسات السجن. وما كان من السجان إلا أن استل سيفه لكي يُنهي حياته لأن القانون الروماني يقضي بأن يُجازى السجان بمجموع عقوبات المسجونين الهاربين منه.

ولكن الرسول بولس أنقذ السجان من قتل نفسه، فارتعد السجان واندهش من هذه المحبة العجيبة التي فاجأه بها بولس وسيلا.. فعوضاً عن الانتقام والغضب الذي كان من المفترض أن يملأ قلبيهما وُجد الحب والعطاء. وفي دهشته سألهما:

- *«يا سَيِّدَيَّ ماذا ينبغي أن أفعل لكي أخلص؟» فقالا: آمن بالرب يسوع فتخلص أنت وأهل بيتك». وكلّماه وجميع من في بيته بكلمة الرب. فأخذهما في تلك الساعة من الليل وغسّلهما من الجراحات، واعتمد في الحال هو والذين له أجمعون. ولما أصعدهما إلى بيته قدّم لهما مائدة وتهلّل مع جميع بيته إذ كان قد آمن بالله» (أعمال ١٦: ٣٠- ٣٤).*

من هذه الحادثة نرى كيف أن الحب للأعداء ليس مجرد مشاعر وأحاسيس، لكنه طلب البركة والصلاة من أجلهم لإنقاذهم من الهلاك، كما هو مكتوب

- *«فإن جاع عدوك فأطعمه، وإن عطش فاسقه. لأنك إن فعلت هذا تجمع جمر نار على رأسه. لا يغلبنّك الشرّ، بل اغلب الشرّ بالخير». (رومية ١٢: ٢٠، ٢١)*

(٣) في اكتشافي مصدر الحب

السؤال المهم هنا هو: إذا كان الحب اختياراً، فمن أين آتي بالقدرة لممارسة هذا النوع من الحب العجيب؟

لم يتركنا الله هكذا دون أن يعلمنا كيف يمكن أن نعيش الحب سواء له أو للناس، بل قادنا إلى مصدر الحب المتدفق والذي لا ينضب والذي يمكننا أن نأخذ منه ماشئنا لنعطي الله والآخرين. وهذا ما نراه جلياً في الآيتين التاليتين:

- *«أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ. وَمَنْ لاَ يُحِبُّ لَمْ يَعْرِفِ اللهَ، لأَنَّ اللهَ مَحَبَّةٌ»* (١يو٤: ٧، ٨)
- *«لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا»* (رومية ٥: ٥).

- عندما نتيقن أن الله هو مصدر الحب، وندرك هذه المحبة الفائقة المعرفة، سنجري حتماً إليه لكي نمتلئ بهذا الحب العجيب، فيصير في أعماقنا ينبوعاً يفيض إلى كل وعلى كل المحيطين بنا، حتى على أعدائنا الذين يبغون لنا الشر، فنستطيع أن نُباركهم ونُحسن إليهم ونُصلي من أجلهم.

الله هو مصدر الحياة وخالقها، وهو مصدر الحب ومانحه. فالحب موجود عنده، أستطيع أن أذهب إليه وأستقي منه فأرتوي بل أن أقول مع داود *«كَأْسِي رَيًّا» (مزمور ٢٣: ٥)*، أي over flow أي فاضت كأسي لتسقي من هم حولي أيضاً. وأستطيع أن أشبهها أيضاً بالإسفنجة الناشفة فإذا ضغطناها وغمرناها في المياه فإنها تتشرب الماء، وإذا أخرجناها من المياه فإن المياه ستتساقط منها. أما إذا عدنا وضغطنا عليها فستنهمر المياه منها، هكذا قلوبنا البشرية إذا غُمرت في أنهار محبة الله العجيبة

- *«وَتَعْرِفُوا (تختبروا) مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ الْفَائِقَةَ الْمَعْرِفَةِ، لِكَيْ تَمْتَلِئُوا إِلَى كُلِّ مِلْءِ اللهِ» (أفسس ٣: ١٩)*

– لقد أعطانا الله كأبناء أحباء عربون السماء وهو الروح القدس. يقول بولس الرسول كما ذكرنا سابقاً

- *«لأَنَّ مَحَبَّةَ اللهِ قَدِ انْسَكَبَتْ فِي قُلُوبِنَا بِالرُّوحِ الْقُدُسِ الْمُعْطَى لَنَا»* (رومية ٥: ٥)

فإنه عن طريق الروح القدس الساكن فينا يسكب الله غنى محبته في قلوبنا، وكأنه خط إمداد لهذه المحبة الإلهية الفائقة المعرفة.

فالله أوصانا أن نحب، وأعطانا المصدر وخطوط الإمداد لتوصيل

هذه المحبة حتى نستطيع أن نرتوي ونروي الآخرين.

والسؤال هنا: هل تريد أن تختار أن تعيش في الحب وبالحب وللحب؟ أم أنك تريد أن تعيش لنفسك (أناني) وفي ذات الوقت تود أن تُحب من الآخرين؟

وقتها لن تحب إلا الذين يحبونك وتبغض الذين يبغضونك، ولن تستطيع أن تفعل سوى هذا.

المحبة لا تطلب ما لنفسها. المحبة عكس الاتجاه الأناني تماماً.

أما إذا اخترت أن تحب المسيح إلهك الذي أحبك وأسلم نفسه من أجلك، فتضع نفسك من أجله وتحبه من كل قلبك وفكرك ونفسك وقدرتك، فستجد أن هذا ليس مستحيلاً على الإطلاق، لأننا نحبه لأنه هو أحبنا أولاً، وبنفس هذا الحب أستطيع أن أحب قريبي (أخي في البشرية) كنفسي.

مرة أخرى، نستطيع أن نرى في حياة بولس الرسول مثلاً لهذا الحب الإلهي منسكباً في قلب إنسان من نحو أعدائه، وهم في ذات الوقت أبناء جنسه. فبعد إيمانه بالمسيح ومناداته بالإنجيل، بدأ اليهود يضطهدونه في كل مكان ذهب إليه. وعندما عاد بعد سنوات إلى أورشليم قامت المدينة كلها وقبضوا عليه وكادوا

أن يفتكوا به لولا أمير الكتيبة الروماني الذي أنقذه من أيديهم (أع ٢١: ٣٠-٣٣).

برغم كل ما حدث ومرارة السجن الذي عاش فيه ومحاولات قتله بعدها، إلا أنه كتب:

- *«أَقولُ الصِّدقَ فِي الْمَسيحِ لاَ أَكذِبُ، وَضميري شاهِدٌ لي بالرُّوحِ الْقُدُسِ: إِنَّ لِي حُزْنًا عَظِيمًا وَوَجعًا في قَلْبِي لاَ يَنْقَطِعُ! فَإِنِّي كُنْتُ أَوَدُّ لَوْ أَكونُ أَنا نَفْسِي مَحْرُومًا مِنَ الْمَسيحِ لأَجْلِ إِخْوَتِي أَنسِبائي حَسَبَ الْجَسَدِ» (رومية ٩: ١-٣).*

فكيف تستطيع أن تحب مبغضيك هكذا؟

إنها محبة الله في المسيح يسوع التي بها أحبني وأعطاني أن أحب الآخرين.

لذا يجب علينا أن:

- نختار الحب طريقاً

فلا ندع مشاعرنا تقودنا تجاه الآخرين، بل نختار أن نحب من كل القلب والفكر. وعندها سنجد مشاعرنا تفيض وتتدفق بالحب نحو الآخر، وتتضرع قلوبنا إلى الله في الصلاة من أجل أعدائنا حتى يعرفوا المسيح.

- نفتح أعيننا كل يوم على محبة الآب

فعندما نرى وندرك كم أحبنا الله ونحن بعد خطاة آثمين وغير مستحقين، تمتلئ قلوبنا بالحب من جديد.

- *«نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً» (١يو ٤: ١٩).*

- نفتح قلوبنا لإعلانات الروح القدس

نفتح قلوبنا أمام الروح ليخبرنا ويعلمنا عن محبة الله الآب ومحبة الرب يسوع المسيح، فيتحول الحب إلى صفة واختيار عميق في حياتنا.

- *«فَأَعْلَنَهُ اللهُ لَنَا نَحْنُ بِرُوحِهِ. لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ» (١كو ٢: ١٠).*

صلاة

عزيزي القارئ،

ارفع عينيك في وجه يسوع المسيح

المعلَّق على الصليب من أجلك، وصلِّ معي هذه الصلاة:

يا رب، افتح عينيَّ فأرى عظم وغنى وفيض محبتك لي.

اغمر ابنك بهذا الحب العجيب كشلالات متدِّفقة،

كنهر جارف بروحك في داخلي.

اسكب سكيب الحب فتجري من بطني أنهار ماء حي.

محبة تريد الخير، وتعطي بسخاء، وتضحي وتبذل نفسها.

اليوم يا سيدي وكل يوم أختار أن أخرج من نفسي،

بل أن أعطي نفسي لك بالكامل،

ولكل من هم حولي ذبيحة حب خالصة لمجدك يا أبتاه.

آمين

(٢) القداسة

احتلَّت هذه الصفة مكانة كبيرة جداً في الكتاب المقدس خاصة في العهد القديم، ولكنها بكل أسف صارت مصدر خوف ورعب في قلوب البعض، ومن الرب بصفة خاصة. وهناك بعض الصور والإيماءات في العهد القديم التي قد توحي بذلك.

عندما سألنا البعض هذا السؤال:

لما تنظر إلى **الله** وقداسته بماذا تشعر في نفسك؟ كانت إجابة البعض:

- أحس أني صفر
- أحس بنجاستي
- أكتشف حقارتي وأني مليش لازمة
- كلي عيوب، كلي وحش

شيء مزعج أن يكون فهمنا لقداسة **الله** بهذه الصورة. فدعونا نقترب أكثر إلى ما يقوله الكتاب في هذا الأمر، وبعدها سنحاول فهم واكتشاف روعة وقيمة قداسة **الله** العجيبة.

أولاً: شواهد كتابية

- «إِنِّي أَنَا الرَّبُّ إِلٰهُكُمْ فَتَتَقَدَّسُونَ وَتَكُونُونَ قِدِّيسِينَ، لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ» (لا ١١: ٤٤)
- «إِلٰهٌ قُدُّوسٌ وَإِلٰهٌ غَيُورٌ» (يش ٢٤: ١٩)
- «لَيْسَ قُدُّوسٌ مِثْلَ الرَّبِّ» (١صم ٢: ٢)
- «وَأَنْتَ الْقُدُّوسُ الْجَالِسُ بَيْنَ تَسْبِيحَاتِ إِسْرَائِيلَ» (مز ٢٢: ٣)
- «لأَنَّهُ بِهِ تَفْرَحُ قُلُوبُنَا، لأَنَّنَا عَلَى اسْمِهِ الْقُدُّوسِ اتَّكَلْنَا» (مز٣٣: ٢١)
- «يَحْمَدُونَ اسْمَكَ الْعَظِيمَ وَالْمَهُوبَ. قُدُّوسٌ هُوَ. عَلُّوا الرَّبَّ إِلٰهَنَا، وَاسْجُدُوا عِنْدَ مَوْطِئِ قَدَمَيْهِ. قُدُّوسٌ هُوَ. عَلُّوا الرَّبَّ إِلٰهَنَا، وَاسْجُدُوا فِي جَبَلِ قُدْسِهِ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلٰهَنَا قُدُّوسٌ» (مز ٩٩: ٣ ، ٥، ٩)
- «بَارِكِي يَا نَفْسِي الرَّبَّ، وَكُلُّ مَا فِي بَاطِنِي لِيُبَارِكِ اسْمَهُ الْقُدُّوسَ» (مز١٠٣: ١)
- «افْتَخِرُوا بِاسْمِهِ الْقُدُّوسِ» (مز ١٠٥: ٣)
- «قُدُّوسٌ وَمَهُوبٌ اسْمُهُ» (مز ١١١: ٩)
- «قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ. مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ». (إش ٦: ٣)

- «لأَنَّه هَكَذا قالَ ٱلعَلِيُّ ٱلمُرتَفِعُ ساكِنُ الأَبدِ ٱلقُدُّوسُ ٱسمُه» (إش ٥٧: ١٥)

- «ٱسمِي ٱلقُدُّوس» (حز ٢٠: ٣٩)

وفي العهد الجديد نرى العذراء القديسة مريم ترنم فتقول:

- «لأَنَّ ٱلقَديرَ صَنَعَ بي عَظائِم، وٱسمُه قُدُّوس» (لوقا ١: ٤٩)

كما يكتب يوحنا البشير عن صلاة المسيح

- «ولَسْتُ أَنا بَعدُ في ٱلعالَم، وأَمّا هؤُلاءِ فَهُم في ٱلعالَم، وأَنا آتي إِلَيك. أَيُّها الآبُ ٱلقُدُّوس، ٱحفَظْهُم في ٱسمِكَ ٱلَّذينَ أَعطَيتَني، لِيَكونوا واحِدًا كَما نَحنُ» (يوحنا ١٧: ١١)

وذكر عن روح الله أيضاً إنه الروح القدس:

- «وَرُوحَكَ ٱلقُدُّوسَ لا تَنزِعهُ مِنّي» (مز ٥١: ١١)

- «ولا تُحزِنوا رُوحَ اللهِ ٱلقُدُّوسَ ٱلَّذي بِهِ خُتِمتُم لِيَومِ ٱلفِداء» (أفسس ٤: ٣٠)

مع كثير من الشواهد الأخرى مثل (لوقا ١: ٣٥، يوحنا ١: ٢٦، أعمال ١: ٢، ٥، ٨ و٢: ٤)

ولقد أعطى نفس اللقب والصفة للابن (السيد المسيح):

- *«فَلِذَلِكَ أَيضاً اَلْقُدوسُ اَلْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ» (لوقا ١: ٣٥)*
- *«وَلكِنْ أَنْتُمْ أَنْكَرْتُمْ اَلْقُدوسَ اَلْبَارَّ» (أعمال ٣: ١٤)*
- *«اجْتَمَعَ عَلَى فَتَاكَ اَلْقُدوسِ يَسوعَ» (أعمال ٤: ١٧)*
- *«قُدوسٌ بِلاَ شَرٍّ وَلاَ دَنسٍ» (عب ٧: ٢٦)*

وقال الرب يسوع في تحدي:

- *«مَنْ مِنْكُمْ يُبَكِّتُنِي عَلَى خَطِيَّةٍ؟» (يوحنا ٨: ٤٦)*

ثانياً: تعريف القداسة ومعناها:

استُخدمت هذه الكلمة بمعنيين:

(١) جاءت بمعنى الإجلال والعظمة والرفعة والكمال كما في:

- *«قُدوسٌ قُدوسٌ قُدوسٌ رَبُّ اَلْجُنودِ (أي القادر على كل شيء). مَجْدُهُ مِلْءُ كُلِّ الأَرْضِ». (إش ٦: ٣)*

هنا ترنيمة المجد والكرامة والعظمة والسلطان للرب الإله.

(٢) والمعنى الثاني للقداسة نجده واضحاً في:

- *«لأَنَّهُ كَانَ يَلِيقُ بِنَا رَئِيسُ كَهَنَةٍ مِثْلُ هذَا، قُدُّوسٌ بِلاَ شَرّ وَلاَ دَنَسٍ، قَدِ انْفَصَلَ عَنِ الْخُطَاةِ وَصَارَ أَعْلَى مِنَ السَّمَاوَاتِ». (عب ٧: ٢٦)*

والمعنى هنا أنه بلا خطية، منفصل تماماً عنها، في حالة الطهارة والنقاء، يكره الخطية، لا يصنع شراً.

كما قال الرب يسوع «من منكم يبكتني على خطية».

وقد خاف الشعب في العهد القديم من قداسة الله لأن قداسته أظهرت نجاستهم وعدم استحقاقهم. هذا ما قاله إشعياء

- *«وَيْلٌ لِي! إِنِّي هَلَكْتُ، لأَنِّي إِنْسَانٌ نَجِسُ الشَّفَتَيْنِ، وَأَنَا سَاكِنٌ بَيْنَ شَعْبٍ نَجِسِ الشَّفَتَيْنِ» (إش ٦: ٥).*

لقد توقع هلاكه، لكن العكس هو ما حدث، فقد أرسل الرب ملاكاً ليطهر شفتي إشعياء بجمرة من على المذبح. وحتى الآن لا زالت هذه الصورة والانطباع عند الكثيرين.

دعونا اليوم نفهم قداسة الله من منظار العهد الجديد، كما أعلنها لنا الرب يسوع، وسنرى روعة وجمال القداسة الإلهية، وأنها ليست مصدر رعب أو سبب هروب من محضره، بل العكس هي سبب الاقتراب والطمأنينة في علاقته معنا.

لقد ذكرنا في صفة الحب أنها مفتاح الشخصية الإلهية، والينبوع والنهر الرئيسي الذي تخرج منه روافد كثيرة. فإذا سألنا: لماذا يبغض الله الخطية والشر إلى هذا الحد؟ لماذا

- *«لَسْتُ أُطِيقُ الإِثْمَ وَالاعْتِكَافَ». (إش ١: ١٣).*

هل القداسة اختيار أدبي مختلف عن الحب، أم أنه مرتبط ارتباطاً وثيقاً وهو الوجه الآخر للمحبة الكاملة؟

ربما تكون الشواهد التالية عوامل ربط يجعلنا نفهم العلاقة الوثيقة بينهما:

- *«اَلْمَحَبَّةُ لاَ تَصْنَعُ شَرّاً لِلْقَرِيبِ، فَالْمَحَبَّةُ هِيَ تَكْمِيلُ النَّامُوسِ» (رو ١٣: ١٠)*
- *«يَا مُحِبِّي الرَّبِّ، أَبْغِضُوا الشَّرَّ» (مز ٩٧: ١٠)*

فإنك إن أحببت شخصاً ما فهذا يعني أنك تريد له الخير لا الشر، وتصنع معه الخير لا الشر، وتضحي من أجله للخير ليعيش ويحيا أروع حياة ممكنة.

دعوني أقولها بصورة أخرى:

إن كنت حقاً تُحب ابنك، فإذا أُصيب بمرض السرطان فبقدر حبك لابنك، تكون كراهيتك للمرض اللعين الذي يهدد حياة ابنك. ويَصدُق نفس الشيء إذا صار ابنك مدمناً للهيروين فإن سبب كراهيتك للهيروين ترجع إلى محبتك لابنك.

إن الله في كمال محبته لنا يبغض كل ما يؤذي ويدمر ويشوِّه ويستعبد ويفسد سعادة الإنسان، هنا في هذا العالم وهناك في الأبدية، كل ما يحرم الإنسان من العلاقة معه التي هي سر الحياة والسعادة الحقيقية. كل ما يدمر العلاقة الطاهرة النقية داخل الأسرة وخارجها، كل ما يفسد الخليقة الرائعة التي صنعها الله هدية المحبة الإلهية للإنسان تاج الخليقة.

وهذا ما رأيناه في شخص ربنا ومخلصنا يسوع المسيح، الذي جال يصنع خيراً ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب، الذي إذا شتم لم يكن يشتم عوضاً، والذي إذا لُعن بارك، ولم يصنع شراً ولم يوجد في فمه غش. وهو المكتوب عنه (قدوس بلا شر)

لقد رأيت فيه هذه المعادلة الرائعة:

- حبه للخطاة ←——— وكراهيته للخطية
- قَبِلَ الخطاة ولم يدنهم ←——— ودان الخطية في جسده حتى الموت

وهنا نرى الحب والقداسة معاً في نقطة واحدة.

قال للمرأة التي أُمسكت في ذات الفعل:

- «*وَلاَ أَنَا أَدِينُكِ. اذْهَبِي وَلاَ تُخْطِئِي أَيضًا*» (يو ٨: ١١)

هكذا استطاع المسيح أن يفصل بين الفعل والفاعل، فدان الفعل ورحم الفاعل.. دان الزنى ولم يدن الزانية بل أحبها.. ولأنه يحبك يكره خطيتك، ويحزن ويغضب عندما تفعلها لكنه لا يغضب منك أو عليك لكن منها وعليها.

- «*لأَنَّ غَضَبَ اللهِ مُعْلَنٌ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى جَمِيعِ فُجُورِ النَّاسِ وَإِثْمِهِمِ*» (رو ١: ١٨)

لو فهمنا هذه الحقيقة وأدركناها، لجرينا نحوه بآثامنا ومعاصينا، فهو الذي يخلع عنا ثوب النجاسة ويغسلنا من خطايانا ويُلبسنا رداء القداسة.

للأسف نحن في أحيان كثيرة نفعل العكس، نجري منه وليس نحوه.. نختبئ منه في زحام الحياة كما فعل آدم وحواء. قال آدم للرب

- *«سَمِعْتُ صَوْتَكَ فِي ٱلْجَنَّةِ فَخَشِيتُ، لأَنِّي عُرْيَانٌ فَاخْتَبَأْتُ»* (تك ٣: ١٠)

دعوني أشرح هذه الحقيقة بطريقة أخرى:

كتب يوحنا:

- *«لاَ تُحِبُّوا ٱلْعَالَمَ وَلاَ الأَشْيَاءَ ٱلَّتِي فِي ٱلْعَالَمِ. إِنْ أَحَبَّ أَحَدٌ ٱلْعَالَمَ فَلَيْسَتْ فِيهِ مَحَبَّةُ الآبِ»* ثم شرح محبة العالم فأضاف: *«لأَنَّ كُلَّ مَا فِي ٱلْعَالَمِ شَهْوَةَ ٱلْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ ٱلْعُيُونِ، وَتَعَظُّمَ ٱلْمَعِيشَةِ»* (١يو ٢: ١٥، ١٦)

وهنا نرى المفارقة بين محبة الله في جانب.. والشهوة والكبرياء في جانب آخر، وهما أصل الخطية والشر ومصدرهما. ونحن إما أن نكون على هذا الجانب أو على الجانب الآخر، فمحبة الآب كما وصفناها من قبل لا يمكن أن تتوافق مع الأنانية والكبرياء بل هي العكس تماماً، فالمحبة الحقيقية لا تطلب ما لنفسها لأنها عكس الأنانية.

والمحبة الحقيقية محبة متواضعة متنازلة لأنها مضحية لخير

من تحب وبذلك فهي عكس الكبرياء والتعالي. ومن هنا نرى أن القداسة التي ترفض الخطية وأصلها من أنانية وكبرياء نابعة من المحبة الكاملة.

عندما سُئل المسيح عن الوصية الأولى والعظمى قال:

- *«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ»* (متى ٢٢: ٣٧-٤٠).

لقد غيَّر الرب يسوع في العهد الجديد مفهومنا عن القداسة، وعلَّمنا أن الدخول إلى القداسة من باب المحبة في غاية السهولة.. هذا على عكس المفهوم القديم البالي عن القداسة والتي ظنَّ البعض أنها مطلب جديد أُضيف وأُثقل به كاهل الإنسان. وليس هذا فقط بل ستصبح كل الصفات الإلهية الأدبية أحجاراً تُعلَّق في عنق المؤمن الذي يريد أن يحيا مع الله، لتعطله بدلاً من أن تدفعه إلى الأمام في علاقة حية بالله. إن سبب كراهية الله للخطية – أي سبب كون الله قدوساً – ليس أن الخطية موجَّهة ضده، بالرغم من أن هذا صحيح؛ وليس لأن مشاعر الله تُجرح نتيجة لها.. بل السبب

الحقيقي هو أن الله يحب الإنسان، وما نرتكبه من خطايا في حق الله يدمرنا ويُنهي سعادتنا، وهذا ما يُحزن قلب الله. إذاً القداسة نابعة من أصل الحب، فإذا كانت المحبة نهراً متسعاً فاختيار القداسة وكراهية ارتكاب الشر واحدٌ من فروع هذه المحبة، وبالتالي فإن قداسة الله لا تخيفناً منه بل تُطمئننا، لأنه لن يفعل بنا شراً لأنه قدوس.

ثالثاً: قيمة قداسة الله بالنسبة لنا:

١. فهمي الصحيح عن قداسة الله النابعة من محبته الكاملة تجعلني لا أخاف من الله، بل أخاف الله والفارق بينهما هائل.

العبارة الأولى أخاف منه أي أهرب وأختبئ

العبارة الثانية تعني المهابة والإجلال والانبهار بشخصه

فهو الكامل في محبته، لذلك فهو لا يخطط لشرٍّ أو يرتكبه، فكيف أخاف من شخص لا يمكن أن يسيء إليَّ بل هو يكره كل خطية وإثم يمكن أن يشوِّه حياتي أو يدمر سعادتي؟

- ***«لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللَّهِ، لأَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا» (يعقوب ١: ١٣)***

نعم هو لا يصنع بي شراً بل هو مصدر كل عطية صالحة وموهبة تامة.

٢. هو يدعوني للقداسة في.

- *«كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضًا قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: «كُونُوا قِدِّيسِينَ لأَنِّي أَنَا قُدُّوسٌ»* *(١بط ١: ١٤-١٦).*

هو يدعوني للقداسة، ويريد أن يراني بلا دنس أو شر، بل صحيحاً بلا مرض. لكنه أراني الطريق إلى القداسة من خلال محبته. فعندما أستقبل محبة الله في قلبي وبحبه أحبه من كل القلب، وأحب قريبي كنفسي.. فإن هذه المحبة تطهر قلبي من كل أنانية وكبرياء تصيبني من محبة العالم والأشياء التي في العالم، وتعلمني أن أحب الناس وليس الأشياء، فهي محبة تجعلني بحق أبغض الشر والإثم.

في مرات كثيرة نقاوم الخطية بينما نحن نحبها. فكيف تستطيع أن تهزم عدواً تحبه وترغب فيه؟

الإجابة هي: المحبة الحقيقية تجعلني أبغض الخطية لأنها مصدر حزن وتعاسة وشقاء للآخرين ولنفسي. والمحبة هي الرغبة الصادقة لسعادة كل من أحب.

- *«يَا مُحِبِّي الرَّبِّ، أَبْغِضُوا الشَّرَّ» (مز ٩٧: ١٠).*

٣. أن أتعلم هذا الدرس الهام، وهو الفصل بين الفعل والفاعل

فأستطيع أن أحب شخصاً ولا أحب أفعاله، وأن أدين الخطية دون أن أدين الخاطئ

- «*وَلاَ تَدِينُوا فَلاَ تُدَانُوا*» *(لوقا ٦: ٣٧)*

أن أفصل في أعماقي بين الإنسان والرداء الذي يلبسه، فمهما كان الرداء قذراً ومتسخاً، هناك فرصة لهذا الإنسان أن يبدل ثيابه وأن يغتسل من خطاياه، فيتغيَّر من زكا العشار محب المال إلى زكا المعطاء محب الفقراء.

وتصير مريمُ المجدلية التي كان بها سبعة أرواح شريرة مريمَ المجدلية المبشرة بقيامة المسيح.

ويتغير شاول الطرسوسي من مضطهدٍ للكنيسة إلى بولس رسول الأمم الذي تألم من أجل الكرازة بالمسيح.

ما أروع هذا الدرس العظيم الذي رأيناه في شخص الله في وجه يسوع المسيح.

(٣) رحمة الله

ما أروع وأعظم الحديث عن مراحم الرب، فأبعادها عميقة كما قال بولس الرسول

- *«الله الذي هو غني في الرحمة» (أفسس ٢: ٣).*

وهو ليس مجرد رحيم لكنه أيضاً حنان ورؤوف وطويل الروح وكثير الرحمة، بل إلى الأبد رحمته.

ما أصعب وصف مراحمه التي لا تزول، فالكلمات التي استُخدمت في الكتاب المقدس لوصف هذا البُعد في شخصية الله متعددة، ولها استخدامات مختلفة في العهدين القديم والجديد، وكذلك فإن مظاهر الرحمة ومجالات عملها كثيرة. فما أحوجنا كبشر لرحمة الله فهي الباب المفتوح لنا في كل حين، ولن يستطيع أحد أن يغلقه في وجوهنا.

أولاً: معنى الرحمة

وإذا أردنا أن نفهم معنى هذه الكلمة والتي ترددت في الترجمات العربية التي بين أيدينا مرات عديدة، علينا أن نرجع إلى أصلها العبري في العهد القديم واليوناني في الجديد، وسنكتشف الغنى العظيم لهذه الصفة الإلهية.

في العهد القديم:

هناك ثلاث كلمات عبرية تُرجمت «رحمة» باللغة العربية (ترجمة فان دايك وترجمات أخرى)

١. الكلمة الأولى Chesed وتعني:

Goodness صلاح

Kindness طيبة (رِقّة)

Faithfulness أمانة

وردت هذه الكلمة في سفر المزامير نحو ١٢٥ مرة، وتُرجمت في العربية «رحمة» وفي كثير من الترجمات الإنجليزية إلى loving Kindness أي المحبة الرقيقة، أو المحبة الحانية، وقد أشرنا إليها عند الحديث

عن صفة المحبة في الله. لكن هذه الكلمة تربط بين المحبة والصلاح والحنان والعطف. وأذكر هنا بعض هذه الشواهد الرائعة التي تتغنى برحمة الله الحانية الرقيقة. استمتع بها معي عزيزي القارئ:

- *«أَما أَنا فَبِكَثْرةِ رَحْمَتِكَ أَدْخُلُ بَيْتَكَ. أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدسِكَ بِخَوْفِكَ» (مز ٥: ٧)*
- *«أَما أَنا فَعَلى رَحْمَتِكَ تَوَكَّلْتُ. يَبْتَهِجُ قَلْبِي بِخَلَاصِكَ» (مز١٣: ٥)*
- *«كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحافِظِي عَهْدِهِ وَشَهاداتِهِ» (مز٢٥: ١٠)*
- *«أَبْتَهِجُ وَأَفْرَحُ بِرَحْمَتِكَ، لأَنَكَ نَظَرْتَ إِلى مَذَلَّتِي، وَعَرَفْتَ فِي الشَّدائِدِ نَفْسِي» (مز ٣١: ٧)*
- *«أَضِئْ بِوَجْهِكَ عَلى عَبْدِكَ. خَلِّصْنِي بِرَحْمَتِكَ» (مز ٣١: ١٦)*
- *«يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ» (مز٣٣: ٥)*
- *«هُوَذا عَيْنُ الرَّبِّ عَلى خائِفِيهِ الرَّاجِينَ رَحْمَتَهُ» (مز٣٣: ١٨)*
- *«لِتَكُنْ يا رَبُّ رَحْمَتُكَ عَلَيْنا حَسْبَما انْتَظَرْناكَ» (مز٣٣: ٢٢)*
- *«ما أَكْرَمَ رَحْمَتَكَ يا اللهُ، فَبَنُو الْبَشَرِ فِي ظِلِّ جَناحَيْكَ يَحْتَمُونَ» (مز ٣٦: ٧)*

- «ارحمني يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امح معاصيّ» (مز ٥١: ١)
- «لأن رحمتك قد عظمت إلى السماوات، وإلى الغمام حقك» (مز ٥٧: ١٠)
- «أما أنا فأغني بقوتك، وأرنم بالغداة برحمتك، لأنك كنت ملجأ لي ومناصًا في يوم ضيقي». (مز ٥٩: ١٦)
- «يا قوتي، لك أرنم، لأن الله ملجإي إله رحمتي». (مز ٥٩: ١٧)
- «لأن رحمتك أفضل من الحياة. شفتاي تسبحانك». (مز ٦٣: ٣)
- «لأنك أنت يا رب صالح وغفور وكثير الرحمة لكل الداعين إليك» (مز ٨٦: ٥)
- «أما أنت يا رب فإله رحيم ورؤوف، طويل الروح وكثير الرحمة والحق» (مز ٨٦: ١٥)
- «بمراحم الرب أغني إلى الدهر. لدور فدور أخبر عن حقك بفمي» (مز ٨٩: ١)
- «إذ قلت: «قد زلت قدمي» فرحمتك يا رب تعضدني» (مز ٩٤: ١٨)
- «لأن الرب صالح. إلى الأبد رحمته، وإلى دور فدور أمانته» (مز ١٠٠: ٥)

- «اَلذِي يَفْدِي مِنَ الْحُفْرَةِ حَيَاتَكِ. اَلذِي يُكَلِّلُكِ بِالرَّحْمَةِ وَالرَّأْفَةِ» (مز ١٠٣: ٤)
- «اَلرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مز ١٠٣: ٨)
- «لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ». (مز ١٠٣: ١١)
- «أَمَّا رَحْمَةُ الرَّبِّ فَإِلَى الدَّهْرِ وَالأَبَدِ عَلَى خَائِفِيهِ» (مز ١٠٣: ١٧)
- «فَلْيَحْمَدُوا الرَّبَّ عَلَى رَحْمَتِهِ وَعَجَائِبِهِ لِبَنِي آدَمَ» (مز ١٠٧: ٢١)
- «لَيْسَ لَنَا يَا رَبُّ لَيْسَ لَنَا، لكِنْ لاسْمِكَ أَعْطِ مَجْدًا، مِنْ أَجْلِ رَحْمَتِكَ، مِنْ أَجْلِ أَمَانَتِكَ» (مز ١١٥: ١)
- «لأَنَّ رَحْمَتَهُ قَدْ قَوِيَتْ عَلَيْنَا، وَأَمَانَةُ الرَّبِّ إِلَى الدَّهْرِ. هَلِّلُويَا!» (مز ١١٧: ٢)
- «احْمَدُوا إِلهَ الآلِهَةِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ. احْمَدُوا رَبَّ الأَرْبَابِ، لأَنَّ إِلَى الأَبَدِ رَحْمَتَهُ» (مز ١٣٦: ٢، ٣)
- «أَسْجُدُ فِي هَيْكَلِ قُدْسِكَ، وَأَحْمَدُ اسْمَكَ عَلَى رَحْمَتِكَ وَحَقِّكَ، لأَنَّكَ قَدْ عَظَّمْتَ كَلِمَتَكَ عَلَى كُلِّ اسْمِكَ» (مز ١٣٨: ٢)

٢. الكلمة الثانية هي chanan وتعني:

pity	show favour	be gracious

ومعناها

شفقة/ رأفة	فضل	كن منعماً

(وقد وردت ٣٠ مرة في سفر المزامير وحده، وترجمت في العربية إلى طلب الرحمة والرافة أو فعل الرحمة أو الرأفة كما سنرى في بعض الشواهد التالية:

- «تَراءَفْ عَلَيَّ وَاسْمَعْ صَلاتِي» (مز ٤: ١)
- «ارْحَمْنِي يَا رَبُّ لأَنِّي ضَعِيفٌ» (مز ٦: ٢)
- «ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ» (مز ٢٥: ١)
- «ارْحَمْنِي يَا اللهُ حَسَبَ رَحْمَتِكَ» (مز ٥١: ١)
- «لِيَتَحَنَّنِ اللهُ عَلَيْنَا وَلْيُبَارِكْنَا» (مز ٦٧: ١)
- «الْتَفِتْ إِلَيَّ وَارْحَمْنِي» (مز ٨٦: ١٦)
- «ارْحَمْنَا يَا رَبُّ ارْحَمْنَا» (مز ١٢٣: ٣)

٣. الكلمة الثالثة وهي racham وتعني:

التعاطف	have compassion
المشاعر الرقيقة	tender affection
يرحم	have mercy
المحبة العميقة	deep love

- «أَمَّا هُوَ فَرَؤُوفٌ يَغْفِرُ الإِثْمَ وَلاَ يُهْلِكُ، وَكَثِيرًا مَا رَدَّ غَضَبَهُ وَلَمْ يُشْعِلْ كُلَّ سَخَطِهِ» (مز ٧٨: ٣٨)
- «أَنْتَ تَقُومُ وَتَرْحَمُ صِهْيَوْنَ، لأَنَّهُ وَقْتُ الرَّأْفَةِ، لأَنَّهُ جَاءَ الْمِيعَادُ» (مز ١٠٢: ١٣)
- «كَمَا يَتَرَأَّفُ الأَبُ عَلَى الْبَنِينَ يَتَرَأَّفُ الرَّبُّ عَلَى خَائِفِيهِ» (مز ١٠٣: ١٣)
- «الرَّبُّ حَنَّانٌ وَصِدِّيقٌ، وَإِلهُنَا رَحِيمٌ» (مز ١١٦: ٥)

هذا، وسنجد الثلاث كلمات بجوار بعضهم البعض في مزموري (٨٦: ١٥، ١٠٣: ٨)

- «أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلهٌ رَحِيمٌ (racham) وَرَؤُوفٌ (chanan)، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ (Chesed) وَالْحَقِّ»

أما في العهد الجديد:

فهناك أيضاً ثلاث كلمات رئيسية ترجمت إلى العربية وفي أغلب الترجمات الأخرى: رحمة، رأفة

١ . المحبة المتحننة: eleos ٢٨ مرة

- ***«فَلَوْ عَلِمْتُمْ مَا هُوَ: إِنِّي أُرِيدُ رَحْمَةً لاَ ذَبِيحَةً لَمَا حَكَمْتُمْ عَلَى الأَبْرِيَاءِ!» (مت ١٢: ٧)***
- ***«وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ» (لو ١: ٥٠)***
- ***«أَنَّ الرَّبَّ عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا فَفَرِحُوا مَعَهَا» (لو ١: ٥٨)***
- ***«بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ» (لو ١: ٧٨)***
- ***«اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا» (أف ٢: ٤)***
- ***«لاَ بِأَعْمَالٍ فِي بِرٍّ عَمِلْنَاهَا نَحْنُ، بَلْ بِمُقْتَضَى رَحْمَتِهِ» (تي ٣: ٥)***
- ***«مُبَارَكٌ اللهُ أَبُو رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي حَسَبَ رَحْمَتِهِ الْكَثِيرَةِ وَلَدَنَا ثَانِيَةً لِرَجَاءٍ حَيٍّ، بِقِيَامَةِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ مِنَ الأَمْوَاتِ» (١بط ١: ٣)***

٢. رأفة، شفقة Oiktiromos (يوناني) - oiktipuos (إنجليزي)

٥ مرات

- «فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيها الإِخْوَة بِرَأْفة الله» (رو ١٢: ١)
- «مُبارَكٌ الله أَبو رَبِّنا يَسوعَ الْمسيحِ، أَبو الرَّأْفةِ» (٢كو ١: ٣)

Oiktipuwv (يوناني) - oilctirmon (إنجليزي)

ومعناها كثير الرحمة ورؤوف

- «فَكُونوا رُحَماءَ كَما أَنَّ أَباكُمْ أَيضًا رحيمٌ» (لو ٦: ٣٦)
- «لأَنَّ الرَّبَّ كَثيرُ الرَّحْمَةِ وَرؤُوفٌ». (يعقوب ٥: ١١)

٣. ارحمني أو يرحم Eleeo - EYEEW ٣٢ مرة

- «طوبى لِلرُّحَماءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمونَ» (مت ٥: ٧)
- «أَفَما كانَ يَنْبغي أَنك أَنتَ أَيضًا تَرحَمُ الْعَبْدَ رفيقَك كَما رحِمْتُك أَنا؟» (مت ١٨: ٣٣)
- «إِنِّي أَرحَمُ مَنْ أَرحَمُ وَأَتراءَفُ عَلى مَنْ أَتَراءَف». (رو ٩: ١٥)
- «فَإِذًا لَيس لِمَنْ يَشاءُ وَلا لِمَنْ يَسْعى، بَلْ للهِ الَّذي يَرحَمُ» (رو ٩: ١٦)
- «لكِنَّ اللهَ رحِمَهُ» (في ٢: ٢٧)

من كل الشواهد السابقة (وهي بعض ما ذكر عن رحمة وحنان ورأفة الرب) نرى أن معنى هذه الصفة الرائعة:

- هو الميل للتعاطف والتحنن ومنح الآخر ما لا يستحق من هبات ومشاعر.

- هي أيضاً عدم الميل للانتقام عندما يخطئ الآخر في حقك بل الاستمرار في البحث عن خيره والأفضل له بقلب غافر ومتسامح.

إذاً، الرحمة هي أعمق تعبير عن المحبة الصادقة المتحننة والمترفقة والتي لا تتغير بمواقف الآخر معها، فهي بذل تضحية حنان لشخص غير مستحق.

وعلاقة المحبة بالرحمة واضحة وضوح الشمس في معناها، بل في هذه الآيات التي تشرح كيف أن الرحمة نابعة من الحب وأحد روافد هذا النهر العظيم:

- *«تَراءى لي الرَّبُّ مِنْ بَعيدٍ: «وَمَحَبَّة أَبدِيَّة أَحْبَبْتُكِ مِنْ أَجلِ ذلكَ أَدَمْتُ لكِ الرَّحْمَة»* (إر ٣١: ٣)

- *«اَللهُ الَّذِي هُوَ غَنِيٌّ فِي الرَّحْمَةِ، مِنْ أَجْلِ مَحَبَّتِهِ الْكَثِيرَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا بِهَا»*. (أف ٢: ٤)

أي أنه بسبب الحب غير المحدود، رحمته لنا دائمة ولا تزول. وسبب غِنى رحمته علينا هي محبته الكثيرة التي أحبنا بها، فكما أن محبة الله غير محدودة وأبدية ولا تتغير، كذلك رحمته هي إلى الأبد.. جديدة في كل صباح .. غنية ومتدفقة ورقيقة وحانية .. مليئة بالمشاعر والعطف.

نعم (رحمتك أفضل من الحياة شفتاي تسبحانك)

بمعنى آخر الرحمة هي:

أن الله يحبك وعندما تخطئ في حقه وترفض محبته فإنه لا يميل إلى الانتقام منك بسبب محبته الرحيمة، بل بالعكس يبحث عنك وعن خيرك ويطلب ما هو لسعادتك، ويضحي ويبذل من أجلك بقلب غافر ومتحنن لينقذك من الشر الذي فعلته بنفسك وبغيرك. وسنتأمل مظاهر رحمة الله المتنوعة والتي تصور هذا المعنى بوضوح، وتشرح أبعاده المختلفة.

ثانياً: مظاهر رحمة الله

نتأمل هنا أربعة مظاهر توضح رحمة الله ولطفه وحنان قلبه:

١. غفران الله

غفران الله لنا هو تعبير عن صدق وغنى رحمته علينا، فالرحمة تود وتشتاق طوال الوقت أن تغفر لمن يسيء إليها. في هذه الآيات نرى العلاقة بين الرحمة والغفران:

- *«لأَنَّهُ مِثْلُ ارْتِفَاعِ السَّمَاوَاتِ فَوْقَ الأَرْضِ قَوِيَتْ رَحْمَتُهُ عَلَى خَائِفِيهِ. كَبُعْدِ الْمَشْرِقِ مِنَ الْمَغْرِبِ أَبْعَدَ عَنَّا مَعَاصِيَنَا». (مز١٣: ١١، ١٢)*

يورد هذا النص بُعدين: البعد الرأسي لارتفاع السماوات فوق الأرض ويخص هذا البعد بالرحمة، والبعد الأفقي «كبعد المشرق عن المغرب» ويخصه بالغفران، فالرحمة التي هي بلا حدود تبعد عنا معاصينا إلى اللامحدود. ما أروع هذه الصورة الجميلة.

- *«مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ، غَافِرٌ الإِثْمَ، وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا. يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ». (ميخا٧: ١٨، ١٩)*

لاحظ هنا العلاقة بين الغفران والصفح وأنه يُسر بالرأفة لذلك يرحمنا. والرحمة تدوس الإثم وتطرح الخطايا في أعماق البحر. نعم هي الرحمة والرأفة التي تُسر بالغفران والصفح.

- *«لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ ٱلْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ، بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا ٱلَّتِي بِهَا ٱفْتَقَدَنَا ٱلْمُشْرَقُ مِنَ ٱلْعَلاَءِ» (لو ١: ٧٧، ٧٨).*

وهنا نرى الربط واضحاً بين مغفرة الخطايا وأحشاء الرحمة.

ملامح الغفران الإلهي

في الآيات التالية نرى ملامح وصفات الغفران الإلهي العجيب:

- *«هَلُمَّ نَتَحَاجَجْ يَقُولُ ٱلرَّبُّ، إِنْ كَانَتْ خَطَايَاكُمْ كَٱلْقِرْمِزِ تَبْيَضُّ كَٱلثَّلْجِ. إِنْ كَانَتْ حَمْرَاءَ كَٱلدُّودِيِّ تَصِيرُ كَٱلصُّوفِ» (إش ١: ١٨)*

- *«لَكِنِ ٱسْتَخْدَمْتَنِي بِخَطَايَاكَ وَأَتْعَبْتَنِي بِآثَامِكَ. أَنَا أَنَا هُوَ ٱلْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي، وَخَطَايَاكَ لاَ أَذْكُرُهَا» (إش ٤٣: ٢٤، ٢٥)*

- *«قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ. ارْجِعْ إِلَيَّ لأَنِّي فَدَيْتُكَ» (إش ٤٤: ٢٢)*

- *«ٱلَّذِي يَغْفِرُ جَمِيعَ ذُنُوبِكِ. ٱلَّذِي يَشْفِي كُلَّ أَمْرَاضِكِ» (مز ١٠٣: ٣)*

- *«إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل، حتى يغفر لنا خطايانا ويطهرنا من كل إثم» (١يو ١: ٩)*

من هذه الآيات الرائعة نرى ملامح هامة لغفران الله الذي يختلف كثيراً عن الطريقة التي أحياناً نحن كبشر نغفر بها بعضنا لبعض:

أ. *رحمة الله تغفر جميع الذنوب*

«يغفر جميع ذنوبك.. يطهرنا من كل إثم.. »

«إن كانت كالقرمز تبيض كالثلج»

«تطرح في أعماق البحر جميع خطاياهم»

عندما نظر الرب يسوع للمرأة الخاطئة قال لها

- *«مغفورة لك خطاياك» (لوقا ٧: ٤٨)*

أي كل خطاياك. وهذا ما قاله للمفلوج أيضاً

- *«مغفورة لك خطاياك» (لوقا ٥: ٢٠).*

فغفران الله كامل، لا يغفر بعض الخطايا ويترك البعض الآخر لكنه يحول اللون القرمزي الداكن إلى الأبيض الناصع كالثلج.

ب. هذا الغفران الإلهي يمحو الخطية من الوجود

تكررت عبارة «الماحي ذنوبك، محوت كغيم ذنوبك». ويصف هذه الحقيقة بعدة تعبيرات أخرى مثل «كبعد المشرق عن المغرب أبعد عنا معاصينا.. ويطرحها في أعماق البحر» وبعبارة واضحة يقول «**لا أعود أذكرها**».

وهذا فارق هائل بين غفران الله وغفران البشر، فصفحتي أمام الله تكون بيضاء تماماً، فهو لا يشطب على الخطية بل يمحوها ولا يذكرها أو يذكّرني بها، فإن رحمة الله لا تيأس ولا تفشل.

ولأننا كبشر نذكر للآخرين أخطاءهم في حقنا، نظن أن الله يفعل نفس الشيء معنا، ولكن هذا غير صحيح، فما أروع هذا الغفران العجيب!

ج. هذا الغفران نابع من الله نفسه، وبسبب طبيعته، وما فعله من أجلنا

يشرح الكتاب كيف أن الشعب استخدم الله بخطاياه وأتعبه بآثامه، ثم يقول بعدها:

- «أَنا أَنا هُوَ الْمَاحِي ذُنُوبَكَ لأَجْلِ نَفْسِي» (أش ٤٣: ٢٥)

for my own sake

ويقول:

- «قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ.. لأَنِّي فَدَيْتُكَ». في (أش ٤٤: ٢٢)

فكأنه يقول: أنا حملت عنك خطاياك، وفديتك من شرِّك، فمن حقي أن أغفر لك لا بسبب توبتك بل بسبب فدائي لك، فالتوبة لا تدفع أجرة الخطية، ولا تتحمل نتائجها، ولا تجني ثمرتها. فدموع توبتنا لا تحنن قلب الله المتحنن ليغفر لنا، بل قلب الله المتحنن هو الذي يغفر لنا لأنه رحيم.

بالتوبة نستمتع بغفران الله ورحمته، فيقول لنا «محوت كغيمة ذنوبك.. ارجع إليَّ». لقد غفر الله لنا بسبب الفداء، لكن علينا أن نرجع إليه بالتوبة لنتمتع بغفرانه وإلا سنموت جوعاً وعطشاً بعيداً عن بيت أبينا السماوي.

وهذا ما شرحه السيد المسيح في قصة الابن الضال (لوقا ١٥) التي تري قلب الآب المحب المتحنن الغافر لابنه المتمرد الذي أهانه وبدد ثروته.

في هذه القصة نرى كيف أن الغفران غير مشروط كما أن المحبة غير مشروطة، لكن استعادة العلاقة والاستمتاع بنعمة الغفران مشروطة بالتوبة والرجوع، فالأب غفر للضال كل ما ارتكبه من قبل رجوعه تائباً إلى بيت والده، وقبل أن يقدم اعتذاره وتوبته أمامه. وعندما حاول أن يعتذر منعه أبوه من أن يكمل ما قد شرع في قوله لئلا يظن أن اعتذاره عن الخطأ هو الذي سيجعل الأب يسامحه. وكأن الأب لا ينتظر اعتذار الابن لكي يهدأ ويفكر في أن يغفر له، لكن الأب كان قد سامحه حتى قبل أن يفكر في الرجوع إليه، فالغفران غير مشروط مثل محبة الله التي هي غير مشروطة. التوبة تتيح لنا أن نستقبل هذا الغفران لنستمتع به، وهذا

ما فعله الابن الضال برجوعه إلى بيت أبيه.. ولكن لو أن الابن الضال ظل في الكورة البعيدة في نفس الوقت الذي فيه الأب قد أطلق له الغفران فإنه لن يستطيع أن يستمتع بهذا الغفران وسيموت في خطاياه.

نحن نعامل بعضنا البعض بهذه الطريقة، فلا نغفر زلات وأخطاء الآخرين إلا عندما يأتون ويتأسفون نادمين على ما ارتكبوه في حقنا، وعنده نفكر أن نغفر لهم أخطاءهم، ونظن أن الله يعاملنا بنفس الطريقة، فهو ينتظرنا أن نأتي راكعين متوسلين باكين طالبين غفران خطايانا. وإذا رضي الله عنا وحازت دموعنا وتوسلاتنا رضاه، فإنه يعلن لنا غفران عن خطايانا وآثامنا. لكن ليس هذا هو الله الذي نعبده ونحبه.. فهذا إله مزيَّف خلقناه بأنفسنا على صورتنا المشوهة كشبهنا في طريقة تفكيرنا المضطربة. ليس الله كذلك، فهوالآب المحب الذي يغفر لنا خطايانا ونحن في الكورة البعيدة، وحتى دون أن نطلب غفرانه. وأشد ما يحزنه هو أننا نعاني من مرارة الخطية ونئن تحت وطأتها ونرزح تحت ثقلها، بينما هو مشتاقٌ أن نُقبل إليه ليُمتعنا بحلاوة غفرانه ويعلن لنا قبوله الغير مشروط وحبه غير المحدود.

هذا هو إلهنا الذي يدعونا أن نكون مثله كما كان قد خلقنا على صورته وكشبهه ولكن تسرب الخطية إلى هذه الصورة أفسدها وشوهها فلم يعد الإنسان قادراً على التمييز بين الأصل الحقيقي والصورة المشوهة.

- *«مَنْ هُوَ إِلَهٌ مِثْلُكَ، غَافِرٌ الإِثْمَ، وَصَافِحٌ عَنِ الذَّنْبِ لِبَقِيَّةِ مِيرَاثِهِ! لاَ يَحْفَظُ إِلَى الأَبَدِ غَضَبَهُ، فَإِنَّهُ يُسَرُّ بِالرَّأْفَةِ. يَعُودُ يَرْحَمُنَا. يَدُوسُ آثَامَنَا، وَتُطْرَحُ فِي أَعْمَاقِ الْبَحْرِ جَمِيعُ خَطَايَاهُمْ»* (ميخا ٧: ١٨).

٢. طول أناته:

رأينا مما سبق علاقة الرحمة والرأفة بالغفران.. في الآيات الآتية سنرى علاقة الرحمة والرأفة والحنان بطول الأناة أو ما يُسمى (طويل الروح) والصبر والانتظار:

- *«وَلكِنْ لأَجْلِ مَرَاحِمِكَ الْكَثِيرَةِ لَمْ تُفْنِهِمْ وَلَمْ تَتْرُكْهُمْ، لأَنَّكَ إِلهٌ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ» (نحميا ٩: ٣١)*
- *«أَمَّا أَنْتَ يَا رَبُّ فَإِلهٌ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ وَالْحَقِّ» (مزمور ٨٦: ١٥)*
- *«الرَّبُّ رَحِيمٌ وَرَؤُوفٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مزمور١٠٣: ٨)*
- *«الرَّبُّ حَنَّانٌ وَرَحِيمٌ، طَوِيلُ الرُّوحِ وَكَثِيرُ الرَّحْمَةِ» (مزمور١٤٥: ٨)*
- *«إِنَّهُ مِنْ إِحْسَانَاتِ الرَّبِّ أَنَّنَا لَمْ نَفْنَ، لأَنَّ مَرَاحِمَهُ لاَ تَزُولُ. هِيَ جَدِيدَةٌ فِي كُلِّ صَبَاحٍ. كَثِيرَةٌ أَمَانَتُكَ» (مراثي ٣: ٢٢، ٢٣)*

الله في رحمته الكثيرة لا ييأس منا، لكنه في محبته يصبر علينا ويحتمل ضعفاتنا وعناد قلوبنا.. إنه يتأنى ويرفق بنا، ومع إشراقة شمس كل يوم جديد هناك رحمة جديدة وفرص متجددة مدفوعة لحياتنا من قلب إله رحيم وطويل الروح. قد نيأس من أنفسنا ونُصاب

بالفشل والإحباط من محاولاتنا، ولكن رحمة الله وطول أناته علينا أقوى من خطايانا وضعفاتنا. ليس هذا ما نفعله مع الآخرين أو حتى مع أنفسنا.. فعندما نخطئ ونكرر خطأنا مرات ومرات، نظن أن الله قد يئس منا وضجر من محاولاتنا الفاشلة.. لكن طول أناة الله علينا وصبره واحتماله لنا يفوق الحدود – ليس له نهاية.

إن الرب يسوع وهو يقدم للجموع مثل الابن الضال، كان في الحقيقة يعلن عن طول أناته وتمهل قلبه الرحيم وانتظاره لكل ابن يضل عنه باختياره.. إنه لا ينتهره بالتوبيخ واللوم بل بالرحمة والحب.

إن محاولات إبليس لكي يفسد أذهاننا وقلوبنا عن من هو الله، هي محاولات تشويه لصورة شخص الله، فيشوه رحمة الله في أعيننا، فبدلاً من طول أناته علينا يُشعرنا بالإحباط لسبب خطايانا، وبدلاً من الإرتماء في أحضان إله ينتظرنا نهرب من إله صنعه إبليس في أذهاننا ممتلئ باليأس والغضب منا.

٣. بحثه عنا في وسط خطايانا:

الله في مراحمه ليس فقط إله غافر الإثم وصافح عن الذنب ولا هو فقط طويل الروح يصبر علينا وينتظر بشغف عودتنا بل أكثر من هذا، هو إله يبحث عنا وسط بعدنا وعنادنا، ينادي علينا في وسط ذنوبنا مذكراً إيانا بغفرانه وفداؤه الذي صنعه من أجلنا. اسمع مرة ثانية ما قاله.

- *«قَدْ مَحَوْتُ كَغَيْمٍ ذُنُوبَكَ وَكَسَحَابَةٍ خَطَايَاكَ. ارْجِعْ إِلَيَّ لأَنِّي فَدَيْتُكَ» (إش ٤٤: ٢٢)*

وفي إنجيل لوقا (١٥) يحكي لنا الإنجيل أنه عندما تذمر الكتبة والفريسيين (أي رجال الدين اليهودي) على السيد المسيح أنه يقبل العشارين والخطاة والزناة والأثمة والفجار ويأكل معهم، حكى لهم هذا المثل المكون من ثلاث قصص قصيرة تصوِّر المشهد بصورة رائعة.. القصة الأولى عن راعٍ له مئة خروف وأضاع واحداً منها، فترك التسعة والتسعين وذهب ليبحث عن الضال حتى يجده.

وفي الثانية كيف أن أرملة أضاعت درهماً من عشرة دراهم، وهي تفتش البيت كله ولا تستريح حتى تجد درهمها المفقود. هكذا الآب السماوي.

وفي- القصة الثالثة - ينتظر عودة ابن ضال مفقود من أولاده من بني البشر جميعاً. وهو لا يلغي حريتنا في العودة لكنه يعطينا حق الاختيار.

إن تجسد الابن ومجيئه إلى العالم لكي يطلب ويخلص ما قد هلك هو أعظم تعبير إلهي مجيد عن هذه الرحمة العجيبة.

- *«بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلَهِنَا ٱلَّتِي بِهَا ٱفْتَقَدَنَا ٱلْمُشْرَقُ مِنَ ٱلْعَلاَءِ»* *(لوقا ١: ٧٨)*

عجباً نحن البشر ما أبعدنا عن هذا المقياس من المحبة الرحيمة المتحننة التي هي في قلب الله من نحونا.

٤ . الصليب

ليس الصليب فقط هو التعبير عن المحبة الإلهية العجيبة:

- «وَلكِنَّ اللهَ بَيَّنَ مَحَبَّتَهُ لَنَا لأَنَّهُ وَنَحْنُ بَعْدُ خُطَاةٌ مَاتَ الْمَسِيحُ لأَجْلِنَا» (رو ٥: ٨)
- «لَيْسَ لأَحَدٍ حُبٌّ أَعْظَمُ مِنْ هذَا أَنْ يَضَعَ أَحَدٌ نَفْسَهُ لأَجْلِ أَحِبَّائِهِ» (يو ١٥: ١٣)

- لكنه أيضاً تعبير عن المحبة الرحيمة المتحننة، بل ويجسدها في أعظم صورها على الإطلاق.

فها نحن نسمعه وهو معلق على الصليب يقول:

- «يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ لأَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ مَاذَا يَفْعَلُونَ» (لو ٢٣: ٣٤).

لقد كان وهو معلق على الصليب يبحث عن سبب يبرئ به ساحة الذين صلبوه ويجد لهم العذر في ما فعلوه، وهو إنهم لا يعلمون ماذا يفعلون، مع أنهم صنعوا كل ما صنعوه به بتدبير متقن وعن قصد واعٍ. لكنه على الصليب غفر لهم خطيتهم حتى دون أن يتوبوا أو يندموا على فعلتهم الشنعاء.

- كما أننا في الصليب نرى ما كتبه إشعياء:

- *«كُلُّنا كَغَنمٍ ضَلَلْنَا. مِلْنَا كُلُّ واحدٍ إِلى طريقهِ، والرَّبُ وضَعَ عليهِ إِثْمَ جميعِنَا»* (إشعياء ٥٣: ٦)

نرى حقاً ضلال البشرية وقسوتها وظلمها وشرها دون استحياء.

نرى الخيانة والغدر، نرى الحقد والمرارة ونكران الجميل.. وفي ذات الوقت نرى الرحمة الإلهية التي تختار أن تحمل بنفسها خطايانا في حقه.

أن تأخذ على نفسها كل شرورنا ومعاصينا لتكون بديلاً لتمنحنا ليس فقط الغفران والنجاة لكن الحياة الأبدية، حياة القوة والشركة، حياة الحب والقداسة.

لقد جمع الصليب كل العناصر التي يبدو وكأنها لا يمكن أن تجتمع معاً.

جمع بين رحمة الله الكثيرة وقساوتنا الشديدة.. بين الحب العظيم والخيانة النكراء، فبدل الرغبة في الانتقام... التضحية وبذل الذات.

وبدل الرغبة في المرارة والكراهية... الرغبة في الغفران وطلب الرحمة.

- *«لأَنَّه مِثْلُ ارتفاعِ السَّماوات فوقَ الأرضِ قوِيَتْ رحمَتُه على خائفِيه»* (مزمور ١٠٣: ١١).

ثالثاً: قيمة الرحمة الإلهية

فهمنا وإدراكنا لغنى رحمة الله العجيبة تعطينا وتعلمنا الكثير.. وفيما يلي نوجز بعض هذ التطبيقات العملية الرائعة في مختلف نواحي الحياة:

١. هي باب الله المفتوح:

- وهذا ما قيل «*هَئَنَذا قد جعلت أمامك باباً مفتوحاً ولا يستطيع أحد أن يغلقه*» (رؤ ٣: ٨).
  - فكما أن محبته تجتذبنا إليه وقداسته لا تخيفنا منه، فالرحمة ترحب بنا مهما كانت حالتنا.
  - إنها الباب المفتوح لنا للعودة والارتماء عند قدميه، باب لا يستطيع أحد أن يغلقه لأنها تقبل كل من لا يستحق.
  - رحمة غافرة حانية تفتح ذراعيها لكل من يُقبل إليها ولا تخرجه خارجاً.

عزيزي القارئ:

إذا أردت أن تدخل إليه لتجد نعمة ورحمة وعوناً ادخل من هذا الباب المفتوح.. باب الرحمة والرأفة، باب الحنان واللطف، ولا تقرع باب الاستحقاق فليس من السهل أن يُفتح لك. هذا ما حاول الفريسي الذي صعد إلى الهيكل ليصلي أن يفعله.

٢. الرحمة تقودنا إلى التوبة:

رحمة الله تملؤنا مهابة لله وخشوعاً أمامه حسب المكتوب:

- *«لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ» (مزمور ١٣٠: ٤)*

وهذا عكس المتوقع ومنطق البشر الذي يقول: «إن كان الله سيغفر لي مهما فعلت إن رجعت بالتوبة، فلماذا لا أستهين بالخطية وأستبيحها إذاً؟»

عزيزي القارئ:

إن من يقول هذا لم يفهم ولم يدرك رحمة الله وغفرانه المبني على الفداء والكفارة. إن هذا الغفران المكلف والثمين يملأني مهابة وإجلالاً لله، فلا يمكنني أبداً أن أستهين بالخطية والشر.

يقول بولس:

- *«فَمَاذَا نَقُولُ؟ أَنَبْقَى فِي الْخَطِيَّةِ لِكَيْ تَكْثُرَ النِّعْمَةُ؟ حَاشَا! نَحْنُ الَّذِينَ مُتْنَا عَنِ الْخَطِيَّةِ كَيْفَ نَعِيشُ بَعْدُ فِيهَا؟» (رومية ٦: ١، ٢)*

ولأن الرحمة لا توجه إلينا أصابع الاتهام، لهذا فهي ترفع عنا دروع الدفاع عن النفس، وتساعدنا لمواجهة أنفسنا بالحقيقة، فنرجع

إلى نفوسنا كما فعل الابن الضال في (لوقا ١٥)، مكتوب «فرجع إلى نفسه» وواجه نفسه بالحقيقة المرة فاستطاع أن يأخذ القرار الصحيح بالتوبة والرجوع إلى حضن أبيه.

بصورة أخرى أو بكلمات أخرى:

الرحمة الإلهية تكسر كبرياء الإنسان وتعاليه وتأتي به على ركبتيه معترفاً بخطاياه.

عندما أرفع عيني إلى الصليب وأسمع السيد المسيح يقول: «اغفر لهم يا ابتاه لأنهم لا يعلمون ماذا يفعلون». عندما أرى هذه المحبة الحانية المترفقة المتواضعة يذوب في قلبي كبريائي وتشامخي، وأخرّ عند قدميه معترفاً بقساوة قلبي وشري العظيم الذي فعلته.

لهذا يكتب بولس الرسول فيقول:

- *«أَمْ تَسْتَهِينَ بِغِنَى لُطْفِهِ وَإِمْهَالِهِ وَطُولِ أَنَاتِهِ، غَيْرَ عَالِمٍ أَنَّ لُطْفَ اللهِ إِنَّمَا يَقْتَادُكَ إِلَى التَّوْبَةِ؟» (رومية ٢: ٤)*

نعم هذه هي الحقيقة أن لطف الله يقتادك إلى العودة إليه بكل قلبك متواضعاً معترفاً بحاجتك واحتياجك له، نادماً على كل يوم أو فعل عشته بعيداً عن هذا الإله العجيب.

٣. تعطينا أن نرحم الآخرين:

من القوانين الإلهية الرائعة أنك لا تستطيع أن تكيل بمكيالين (المكيال هو وحده قياس للحجم).

لا تستطيع في معادلة واحدة أن تستخدم وحدتين للقياس إما المتر أو القدم، إما بالكيلو متر أو الميل، إما بالكيلو جرام أو الأوقية.

وهذا ما قاله يسوع في موعظته الشهيرة:

- *«لأَنَّكُمْ بِالدَّيْنُونَةِ الَّتِي بِهَا تَدِينُونَ تُدَانُونَ، وبِالْكَيْلِ الَّذِي بِهِ تَكِيلُونَ يُكَالُ لَكُمْ». (مت ٧: ٢)*

فليس من حقي أن أطالب الله أن يعاملني بطريقة معينة وأختار أن أعامل الآخرين بطريقة مختلفة، أي عليَّ أن أختار مكيالاً واحداً وطريقة واحدة للتعامل وفلسفة واحدة وطريقاً واحداً أسلكه مع الله والناس.

لهذا قال أيضاً يسوع في نفس الموعظة:

- *«طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ، لأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ». (مت ٥: ٧)*

ففي واقع الأمر هم رُحموا أولاً برحمة الله فتعلموا أن يرحموا الآخرين، واستطاعوا أن يستمتعوا ويعيشوا في رحمة الله.. والعكس صحيح. فالذين لم يشربوا من كأس الرحمة الإلهية مستحيل عليهم أن يرحموا الآخرين، لكن البعض طلب رحمة الله وعندما نالها رفض أن يستخدم نفس المكيال مع الآخرين فسقط منها. وهذا ما قاله السيد المسيح في أحد أمثاله

- *«...أيها العبد الشرير، كل ذلك الدين تركته لك لأنك طلبت إلي. أفما كان ينبغي أنك أنت أيضاً ترحم العبد رفيقك كما رحمتك أنا؟»* (متى ١٨: ٢٣-٣٥).

إذاً، فرحمة الله تحصرنا وتعطينا ليس فقط أن نستمتع برحمته الغنية بل أيضاً نعيش بها مع الآخرين، فتصالحنا مع أنفسنا ومع الآخرين.

حين نستقبل غفران الله لنا نستطيع بغفران الله أن نغفر لأنفسنا ونتصالح معها.. وعدم غفراننا لأنفسنا سيفقدنا الاستمتاع الحقيقي بغفران الله لنا وهذا ما يحدث مع كثيرين. ربما يصدق أن الله قد غفر له لكنه لا يرضى أبداً أن يغفر لنفسه بل يظل يؤنب

نفسه ويعذبها ويحتقرها.. وهذا ما سمعته من الكثيرين في جلسات المشورة الشخصية «أنا مصدق إن ربنا سامحني لكن مش ممكن أسامح نفسي».

ربما يكون عدم فهمك لغفران الله هو السبب وربما يكون كبرياءك هو السبب في عدم غفرانك لنفسك، لكن رحمة الله الغافرة تقودك إلى الغفران الحقيقي لنفسك، فترى ثوبك أبيض كالثلج وترى نفسك في عين الله بلا لوم. وهذا ما أعلنه الرب يسوع حينما علمنا أن نصلي

- *«وَاغْفِرِ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا»* *(مت ٦: ١٢).*

ولم يعلق السيد على أي من فقرات الصلاة الربانية سوى هذه الفقرة حين قال بعد نهاية الصلاة.

- *«فَإِنَّه إِنْ غَفَرْتُم لِلنَّاسِ زلاتِهِمْ يَغفِرْ لَكُمْ أَيضًا أبوكم السَّمَاوِيُّ، وَإِنْ لَم تَغْفِرُوا لِلنَّاسِ زلاتِهِمْ لا يَغْفِرْ لَكُم أَبُوكُمْ أَيضًا زلاتِكُمْ»* *(متى ٦: ١٤، ١٥).*

مرة أخرى، نجد أنفسنا أمام قضية المكيال، وهذا بكل تأكيد لخيرنا لأننا إن لم نغفر للآخرين فسنحتفظ في قلوبنا بالغضب والمرارة وربما أيضاً الكراهية والرغبة في الانتقام، وهذه المشاعر كلها سلبية ومدمرة لنا قبل أن تكون لمن حولنا، وستحرمنا هذه المشاعر من السلام مع الله ومع النفس. قبل أن تحرمنا من المصالحة مع الآخرين الذين أخطأوا في حقنا. لكن الغفران للآخرين هو في حقيقة الأمر لخيرنا قبل أن يكون لخيرهم، لأنه يشفي قلوبنا من كل هذه المشاعر السلبية، ويعطينا بحق أن نستمتع بغفران الله لنا وسلامه العجيب الذي يفوق كل عقل

- *«مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ» (كولوسي ٣: ١٣-١٥).*

فكما غفر لنا المسيح نغفر نحن للآخرين، أي بغفرانه لنا نغفر نحن للمذنبين في حقنا.

عزيزي القارئ:

تخيل حياتك بدون نعمة الغفران! لن تكون إلا الجحيم بعينه.

في كل أنواع العلاقات الإنسانية وأهمها على الإطلاق العلاقة الزوجية تخيلها بدون الغفران.

كيف ستكون مع إخوتك، ومع أصدقائك ، ومع زملائك..

«طوبى للرحماء لأنهم يرحمون..»

إن أردت أن تعرف المزيد عن موضوع الغفران، من فضلك ارجع إلى مدرسة المسيح ، فصل شفاء النفس .

(٤) البر

يصف الكتاب المقدس الله في مرات عديدة أنه بار:

- *«الرَّبُّ بَارٌّ فِي كُلِّ طُرُقِهِ، وَرحِيمٌ فِي كُلِّ أَعمالِهِ» (مزمور ١٤٥: ١٧)*

وارتبط البر بكلمة أخرى وهي العدل:

- *«يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ» (مزمور ٣٣: ٥)*

ولقد ذُكر عن الله أنه عادل، كما في رسالة يوحنا الأولى:

- *«إِنِ اعْتَرَفْنا بِخَطَايَانا فَهُوَ أَمِينٌ وَعادِلٌ، حَتَّى يَغفِرَ لَنا خَطَايَانا وَيُطَهِّرَنا مِنْ كُلِّ إِثمٍ» (١يو ١: ٩)*

فيا ترى هل البر والعدل مرادفين أم أنهما ليسا كذلك؟ وإن لم يكونا كذلك، فما العلاقة بينهما؟ وهل هما صفتين مختلفتين لله أم أنهما مرتبطتين؟ هذا ما سنحاول شرحه في هذا الجزء الرائع عن صفات الله الأدبية وعن مدى ارتباط هذه الصفة بالمحبة التي ذكرنا أنها الاختيار الأعظم ومجرى النهر الرئيسي الذي من خلاله نفهم ونعي من هو الله على حقيقته. دعونا أولاً نضع تعريفاً للبر، ومن هو البار؟

أولاً: تعريف البر

تشرح لنا الكلمة المقدسة معنى البر وتضع تعريفاً محدداً:

- *«وَالإِنسَانُ ٱلذِي كَانَ بَارًا وَفَعَلَ حَقًا وَعَدلًا» (حز ١٨: ٥).*

كلمة حق هنا هي (الذي يصح) أن يفعل ما ينبغي أن يكون. إذاً البار هو الذي يصنع ويفعل ويسلك بما يصح. أما صفة العدل فتتعلق بالحكم العادل وعدالة القضاء.

العلاقة بين العدل والبر:

البر أشمل وأعم من العدل، فالعدل هو في داخل البر، لذلك اخترنا كلمة البر كصفة من صفات الله لأنها أكثر شمولاً.

العدل هو القضاء بالعدالة، مثل قاضي يحكم بين الناس أو أب يحكم بين أبنائه، فهو يصدر حكماً في موقف محدد. أما البر فهو السلوك بالحق، مثل أب يسلك بالبر في علاقته بأولاده أي لا يظلم أحداً على حساب الآخر. ويعطي كل واحد حقه، فالبار هو الذي «يصنع حقاً وعدلاً» أي أن سلوكه بالحق، حكمه بالعدل.

إذاً، البر هو السلوك بالحق والاستقامة والحكم بالعدل معاً، فهو التصرف والقضاء. أما العدل فهو فقط الحكم بالعدل، فالعدل هو جزء من البر.

فالله بار في كل طرقه وليس في القضايا التي تعرض أمامه فقط، فهو بار في اتجاهات قلبه، وفي مبادراته ناحية الإنسان، وفي علاقته بالخليقة، وردود أفعاله تجاه مواقف الناس.

ولأن الله ليس مجرد قاضٍ بل هو أب وراعٍ يتعامل معنا يسلك ويتدخل يسمع ويصنع، وفي هذا كله هو يسلك بالاستقامة وبدون محاباة أو تحيز.. فيعطي لكل ذي حقٍ حقه.

أما العدل فهو الحكم بدون محاباة كما يقول الكتاب

- *«اَلَّذِي يَحْكُم بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ، فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ» (١بط ١: ١٧)*

وكما هو مكتوب:

- *«اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ» (مزمور ٧: ١١)*

ولهذا فإن العدل هو جزء من صفة البر.

✱ والآن دعونا نستمتع معاً بقراءة هذه الشواهد التي تتحدث عن برّ الله وعدله:

- *«الرَّبُّ هُوَ الْبَارُّ وَأَنَا وَشَعْبِي الأَشْرَارُ» (خر ٩: ٢٧)*
- *«فَاحِصَ الْقُلُوبِ وَالْكُلَى اللهُ الْبَارُّ» (مز ٧: ٩)*

- «اَللهُ قَاضٍ عَادِلٌ» (مز ٧: ١١)
- «أَحْمَدُ الرَّبَّ حَسَبَ بِرِّهِ» (مز ٧: ١٧)
- «يَأْتُونَ وَيُخْبِرُونَ بِبِرِّهِ» (مز ٢٢: ٣١)
- «يَمِينُكَ مَلآنَةٌ بِرًّا» (مز ٤٨: ١٠)
- «وَأَيْضًا إِلَى الشَّيْخُوخَةِ وَالشَّيْبِ يَا اللهُ لاَ تَتْرُكْنِي، حَتَّى أُخْبِرَ بِذِرَاعِكَ الْجِيلَ الْمُقْبِلَ، وَبِقُوَّتِكَ كُلَّ آتٍ. وَبِرُّكَ إِلَى الْعَلْيَاءِ يَا اللهُ الَّذِي صَنَعْتَ الْعَظَائِمَ. يَا اللهُ مَنْ مِثْلُكَ! وَلِسَانِي أَيْضًا الْيَوْمَ كُلَّهُ يَلْهَجُ بِبِرِّكَ. لأَنَّهُ قَدْ خَزِيَ لأَنَّهُ قَدْ خَجِلَ الْمُلْتَمِسُونَ لِي شَرًّا» (مز ٧١: ١٨، ١٩، ٢٤)
- «مِنْ تَعَبِ نَفْسِهِ يَرَى وَيَشْبَعُ، وَعَبْدِي الْبَارُّ بِمَعْرِفَتِهِ يُبَرِّرُ كَثِيرِينَ (إش ٥٣: ١١)
- «لَكَ يَا سَيِّدُ الْبِرُّ، أَمَّا لَنَا فَخِزْيُ الْوُجُوهِ» (دا ٩: ٧)
- «الرَّبَّ إِلهَنَا بَارٌّ فِي كُلِّ أَعْمَالِهِ الَّتِي عَمِلَهَا إِذْ لَمْ نَسْمَعْ صَوْتَهُ» (دا ٩: ١٤)
- «أَيُّهَا الآبُ الْبَارُّ، إِنَّ الْعَالَمَ لَمْ يَعْرِفْكَ، أَمَّا أَنَا فَعَرَفْتُكَ، وَهؤُلاَءِ عَرَفُوا أَنَّكَ أَنْتَ أَرْسَلْتَنِي» (يو ١٧: ٢٥)

- «وَلكِنْ أَنْتُمْ أَنكَرْتُمُ ٱلْقُدوسَ ٱلْبَارَ» (أع ٣: ١٤)
- «يَا أَولادِي، أَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هَذا لِكَي لاَ تُخطِئوا. وَإِنْ أَخْطأَ أَحَدٌ فَلَنا شَفيعٌ عِنْدَ الآبِ، يَسُوعُ ٱلْمَسِيحُ ٱلْبَارُ» (١يو ٢: ١)
- «إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌ هُوَ» (١يو ٢: ٢٩)

والآن دعونا نضيف هنا لتعريف البر شيئاً آخر، حيث أن الكتاب أوضح لنا أن عكس البر هو فعل الإثم، كما في

- «أَحْبَبْتَ ٱلْبِرَّ وَأَبْغَضْتَ الإِثْمَ». (عب ١: ٩)

لكن السؤال هنا: لماذا؟ لماذا يكون الإثم عكس البر؟

لأن الإثم هو ذلك النوع من الخطايا التي تتعلق بالسلوك نحو الآخرين أي إيذاء الآخرين مثل الكذب وشهادة الزور والسرقة والاعتداء على الآخرين.

والبر هو السلوك بالحق والعدل مع الآخرين، وعدم المحاباة. يقول الكتاب إن كل إثم هو خطية وليس العكس، لأننا ونحن نخطئ في حق الآخرين فنحن نخطئ في حق الله. لكننا ونحن نخطئ في حق الله وحده دون إيذاء للآخرين فهذا ليس إثم لكنه خطية.

- «كُلُّ إِثْمٍ هُوَ خَطِيَّةٌ» (١يو ٥: ١٧)

العلاقة بين المحبة والبر

رأينا في دراستنا عن المحبة أنها هي الصفة المفتاحية في شخصية الله فهي مثل النهر المتدفق الممتلئ بالمياه والذي تخرج منه القداسة وهي رفض الشر وكراهية الخطية، وتخرج منه الرحمة التي هي التعبير المتحنن للحب رغم خطايانا وآثامنا، وهي الاستعداد للتضحية من أجل الآخر، وتخرج منه أيضاً البر الذي هو عدم التمييز والمحاباة بين الإخوة، أو بين الأبناء وغيرهم من الغرباء. فالمحبة الكاملة محبة متساوية ولهذا فهي محبة عادلة.

هناك من الآباء من يحب أولاده محبة مشروطة مبنية على معاييره الشخصية، لذا هو لا يحب أولاده بالتساوي ويفرِّق في معاملتهم. لكن محبة الله الكاملة غير المشروطة تحب بالتساوي وتسلك من نحونا بالحق والعدل، فكل واحد منا محبوب بلا حدود وبلا شروط، وعندما يقول الكتاب «الرب قد ميَّز تقيه» فهذا تمييز العدالة وليس المحاباة كما سنرى في مظاهر بر الله.. فالمحبة غير مشروطة لكن العلاقة مشروطة بقبولنا واقترابنا منه.

ولأن محبة الله الغير محدودة والغير مشروطة هي متاحة لكل الإنسانية (أي أن الله يحبنا جميعاً بالتساوي) فهو يوزع بركاته وهباته بالعدل والحق، بدون محاباة.. هذا هو البر وسنرى هذا في مظاهر بر الله.

ثانياً: مظاهر بر الله

نستعرض هنا بعض المواقف الكتابية العملية التي نرى فيها بر الله عملياً والتي تشرح وتوضح المعاني التي ذكرناها في تعريف البر.

١ . الله يتفاعل مع الإنسان طبقاً لمواقف الإنسان دون محاباة:

يقول الوحي المقدس

- *«اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم. نقوا أيديكم أيها الخطاة، وطهروا قلوبكم يا ذوي الرأيين» (يعقوب ٤: ٨).*

إذاً فقرب الله مني يتوقف على قربي منه. الله لا يفرض نفسه عليّ والمسافة بيني وبينه أنا الذي أحددها.

- في ساعة العشاء الأخير جلس المسيح مع التلاميذ الاثني عشر، لكن واحداً منهم اتكأ على صدره فكان أقربهم إليه. لم يختر المسيح هذا، بل يوحنا هو الذي اختار، ورحب المسيح بهذه العلاقة المميزة وهو يرحب بكل من يتكئ على صدره لهذا قيل عنه «التلميذ الذي كان يسوع يحبه» وهذا ما يمكن أن يقال عن أي شخص يختار أن يكون قريباً جداً من قلبه.

- مثال آخر
- *«يَقاوِمِ اللهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ، وَأَما الْمُتَوَاضِعُونَ فَيُعْطِيهِمْ نِعْمَةً»* (يع ٤: ٦)

وهذا منطقي وعادل جداً، فالله يقاوم كل المستكبرين وليس بعضهم، ويعطي كل المتواضعين نعمة وليس بعضهم. والسبب أن الكبرياء هي أصل الخطية وضد طبيعة الله المتواضعة كما شرحنا من قبل.

لهذا، أنا الذي أختار أن أكون مقاوماً لله، أو أن أنال نعمة منه بحسب موقف قلبي المتكبر أو المتواضع.

٢. الله يبرر المؤمنين بالرب يسوع المسيح

من مظاهر برّ الله أنه يبرر أي يحكم بالبراءة، فيرفع كل الإثم والخطية التي فعلها هذا الإنسان عندما يؤمن بالمسيح يسوع رباً ومخلصاً.

- *«مُتَبَرِّرِينَ مَجَّانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي قَدَّمَهُ اللهُ كَفَّارَةً بِالإِيمَانِ بِدَمِهِ، لإِظْهَارِ بِرِّهِ، مِنْ أَجْلِ الصَّفْحِ عَنِ الْخَطَايَا السَّالِفَةِ بِإِمْهَالِ اللهِ. لإِظْهَارِ بِرِّهِ فِي الزَّمَانِ الْحَاضِرِ، لِيَكُونَ بَارًّا وَيُبَرِّرَ مَنْ هُوَ مِنَ الإِيمَانِ بِيَسُوعَ»*. (رومية ٣: ٢٤-٢٦)

ما أروع هذا الشاهد وأعمقه، بسبب الفداء الذي قدمه الله كفارة، فكل من يحتمي بالإيمان تحت هذه الكفارة ترفع خطاياه عنه لأنها وُضعت على المسيح، ولهذا فإن بر الله وعدله يجعله يبرر الذين يحتمون في فداء المسيح وهذا ما يؤكده يوحنا في

- *«إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يو ١: ٩)*

إن أمانة الله وعدله تغفران لكل من يتوب ويؤمن، كما هو مكتوب أيضاً:

- *«تُوبُوا، وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». (أع ٢: ٣٨)*
- *«لكِنْ بِنِعْمَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ الْمَسِيحِ نُؤْمِنُ أَنْ نَخْلُصَ كَمَا أُولئِكَ أَيْضًا» (أع ١٥: ١١)*

(وهذا ما شرحناه بالتفصيل في مدرسة المسيح والجزء الخاص بشخصية المسيح.)

٣. التأديب في الحاضر للمؤمنين

هل من حق الذين تبرروا بالإيمان وصاروا أولاد الله أن يعيشوا أي نوع من الحياة ويستبيحوا الخطية والإثم؟ يقول بولس الرسول حاشا، وهذا ما نقرأه في (رومية من ٥: ٢٠ – ٦: ٢) لأنهم صاروا خليقة جديدة يحبون الله ويبغضون الشر، فإنهم مع المسيح ماتوا عن الخطية ليعيشوا للبر.

وهل لأنهم لن يدانوا مع العالم كما يقول الكتاب:

- *«إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَدِ بَلْ حَسَبَ الرُّوحِ» (رو ٨: ١).*

فهل هذا تصريح بالمعصية؟ أبداً، فيقول الكتاب:

- *«وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ» (١كو ١١: ٣٢).*

وهذا مبدأ هام جداً.. فبما أننا صرنا بالإيمان أبناء لله، فالله في بره ومحبته يؤدب أولاده لأنه يحبهم ويريدهم أن يكونوا مشابهين صورة ابنه يسوع، فيقول:

- *«لأَنَّ الَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ، وَيَجْلِدُ كُلَّ ابْنٍ يَقْبَلُهُ. إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟ وَلكِنْ إِنْ كُنْتُمْ بِلاَ تَأْدِيبٍ، قَدْ صَارَ الْجَمِيعُ شُرَكَاءَ فِيهِ، فَأَنْتُمْ نُغُولٌ لاَ بَنُونَ. ثُمَّ قَدْ كَانَ لَنَا آبَاءُ أَجْسَادِنَا مُؤَدِّبِينَ، وَكُنَّا نَهَابُهُمْ. أَفَلاَ نَخْضَعُ بِالأَوْلَى جِدًّا لأَبِي الأَرْوَاحِ، فَنَحْيَا؟ لأَنَّ أُولئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ. وَلكِنَّ كُلَّ تَأْدِيبٍ فِي الْحَاضِرِ لاَ يُرَى أَنَّهُ لِلْفَرَحِ بَلْ لِلْحَزَنِ. وَأَمَّا أَخِيرًا فَيُعْطِي الَّذِينَ يَتَدَرَّبُونَ بِهِ ثَمَرَ بِرٍّ لِلسَّلاَمِ» (عب ١٢: ٦-١١)*

الله في بره يؤدب أولاده، ولأنهم لن يدانوا مع العالم وهو لا يحابي أحداً بمن فيهم أولاده لأنه بار في كل طرقه، لهذا فهو ملتزم أن يؤدبهم هنا في العالم ليعيشوا كما يليق بإنجيل المسيح كما جاء

- *«وَإِنْ كُنْتُمْ تَدْعُونَ أَبًا الَّذِي يَحْكُمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلِ كُلِّ وَاحِدٍ، فَسِيرُوا زَمَانَ غُرْبَتِكُمْ بِخَوْفٍ (بمهابة)» (١ بط ١: ١٧)*

أوضح هذه الفكرة بمثل:

لو أني أنا أب محب وبار وحدث أن ابني أساء إلى ابن الجيران، فماذا يجب علي أن أفعل؟

أن أدافع عنه وأحميه وأبرر خطأه!!

أم أن أقنعه أن يعتذر ويرد كل ما أخذه منه مادياً ومعنوياً، وأقول له إني

مستعد أن أذهب معه للاعتذار له ولوالده، وأن أدفع له من جيبي الخاص أي غرامة مطلوبة، وإذا أصر ابني على الخطأ أؤدبه وأقومه؟ لماذا؟ لأني أحب ابني وأريده أن يكون إنساناً مستقيماً، ولأني أحب ابن الجيران الذي ليس هو ابني (لأني أحب الكل) وأريد أن يأخذ حقه ولا ينتقص أحد منه شيئاً.. هكذا يفعل أبونا السماوي في كمال محبته وبره بنا.

٤. الانفصال الأبدي للرافضين:

ينقسم الناس بخصوص موقفهم من الله إلى قسمين:

القسم الأول هو من قَبِل الدعوة، والقسم الثاني هو من رفض الدعوة. وهذا واضح جداً في أمثلة السيد المسيح الخاصة بملكوت السموات خاصة مثال العُرس (متى ٢٢: ١–١٤) والوليمة (لوقا ١: ١٥–٢٤)

فالله عبر كل العصور يدعو الناس إليه. ومجيء المسيح إلى العالم ومناداته ببشارة الملكوت هي أعظم دعوة إلهية يستجيب لها البشر بموقف من اثنين: إما أن يقبلوها ويفتحوا قلوبهم للمسيح رباً ومخلّصا.. أو أن يرفضوها ويخسروا خلاص الرب. ولقد أخطأ اليهود وخسروا قبول أعظم دعوة فتمَّ فيهم قول الكتاب:

- ***«إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ، وَخَاصَّتُهُ لَمْ تَقْبَلْهُ. وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ» (يوحنا ١: ١٢).***

إن قبول النعمة (العلاقة الحية الحقيقية مع الله) أو رفضها هي أعظم وأهم اختيار روحي في حياة الإنسان، وبناءً عليه يتحدد مصير الإنسان الأبدي وهذا ما نراه جلياً في الشواهد التالية:

- *«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُدَانُ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ قَدْ دِينَ، لأَنَّهُ لَمْ يُؤْمِنْ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ الْوَحِيدِ. وَهذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ، لأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ شِرِّيرَةً» (يو ٣: ١٨، ١٩)*
- *«اَلَّذِي يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ، وَالَّذِي لاَ يُؤْمِنُ بِالابْنِ لَنْ يَرَى حَيَاةً، بَلْ يَمْكُثُ عَلَيْهِ غَضَبُ اللهِ». (يو ٣: ٣٦)*
- *«وَمَتَى جَاءَ ابْنُ الإِنْسَانِ فِي مَجْدِهِ وَجَمِيعُ الْمَلاَئِكَةِ الْقِدِّيسِينَ مَعَهُ، فَحِينَئِذٍ يَجْلِسُ عَلَى كُرْسِيِّ مَجْدِهِ. وَيَجْتَمِعُ أَمَامَهُ جَمِيعُ الشُّعُوبِ، فَيُمَيِّزُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ كَمَا يُمَيِّزُ الرَّاعِي الْخِرَافَ مِنَ الْجِدَاءِ، فَيُقِيمُ الْخِرَافَ عَنْ يَمِينِهِ وَالْجِدَاءَ عَنِ الْيَسَارِ» (متى ٢٥: ٣١-٣٣)*

وإذا بسطنا الأمر سنجد أن هذا منتهى البر والعدل، فالذي اختار أن يعيش مع الله هنا، عندما يفارق هذا العالم يذهب إلى حيث الله ليبقى معه في علاقة تدوم إلى الأبد، فالحياة الأبدية تبدأ هنا وتستمر في محضره بعد فراق العالم، وهذا ما قاله السيد المسيح

- «وَهذهِ هِيَ ٱلْحَيَاةُ الأَبدِّيَةُ: أَنْ يَعرِفوكَ أَنتَ الإِلَهَ ٱلْحقيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسوعَ ٱلْمَسيحَ ٱلَّذي أَرْسَلْتَهُ».(يوحنا ١٧: ٣)

والعكس صحيح، فالذي اختار أن لا يعيش مع الله هنا في شركة محبة، ورفض هنا دعوة العرس والاتحاد بالله، لا يجبره الله أن يعيش معه الأبدية هناك، وهذا هو الجحيم بعينه الانفصال الأبدي عن الله كنتيجة مباشرة لاختياري الحر بالاستقلال عن الله هنا.

- «فَيَمْضِي هَؤُلاَءِ إِلَى عَذَابٍ أَبَدِيٍّ، وَالأَبْرَارُ إِلَى حَيَاةٍ أَبَدِيَّةٍ» (مت٢٥:٤٦)

- «وَكَثِيرُونَ مِنَ الرَّاقِدِينَ فِي تُرَابِ الأَرْضِ يَسْتَيْقِظُونَ، هَؤُلاَءِ إِلَى الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ وَهَؤُلاَءِ إِلَى الْعَارِ لِلاِزْدِرَاءِ الأَبَدِيِّ» (دانيال ١٢: ٢)

وتم وصف الجحيم بعدة صور مختلفة في الكتاب مثل:

– «الظلمة الخارجية»

- «حِينَئِذٍ قَالَ الْمَلِكُ لِلْخُدَّامِ: ارْبُطُوا رِجْلَيْهِ وَيَدَيْهِ وَخُذُوهُ وَاطْرَحُوهُ فِي الظُّلْمَةِ الْخَارِجِيَّةِ. هُنَاكَ يَكُونُ الْبُكَاءُ وَصَرِيرُ الأَسْنَانِ» (متى ٢٢: ١٣)

– أو دود ونار

- «لأَنَّ دُودَهُمْ لاَ يَمُوتُ وَنَارَهُمْ لاَ تُطْفَأُ» (إش ٦٦: ٢٤)

- أو "بحيرة من نار وكبريت"
- «*اَلْبُحَيْرَةِ اَلْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، اَلَّذِي هُوَ اَلْمَوْتُ الثَّانِي*». *(رؤ ٢١: ٨)*

وقد يرى البعض في هذه الصور القسوة الإلهية أو انتقام الله من الذين رفضوه، وهذا غير صحيح على الإطلاق. فالله لا ينتقم لنفسه لأنه إله الحب والرحمة كما ذكرنا وعندما يقول: «لي النقمة أنا أجازي يقول الرب» فالحديث هنا عن لا تنتقموا لأنفسكم، أي الله قاضٍ عادل يقضي بالعدل بيننا، لكن فيما يخصه من اختيار الناس من نحوه، هو لا ينتقم لنفسه والدليل على ذلك لو راجعنا التشبيهات التي ذكرناها لوجدناها متناقضة في صورتها فواحدة تصف الجحيم بحيرة نار والأخرى ظلمة وبرودة شديدة (صرير الأسنان).

كما أننا لن نكون لحماً ودماً أصلاً كما ذكر السيد المسيح في:

- «*وَلكِنَّ اَلَّذِينَ حُسِبُوا أَهْلاً لِلْحُصُولِ عَلَى ذلِكَ الدَّهْرِ وَالْقِيَامَةِ مِنَ الأَمْوَاتِ لاَ يُزَوِّجُونَ وَلاَ يُزَوَّجُونَ*» *(لوقا ٢٠: ٣٥)*

وكقول بولس الرسول

- «*وَكَمَا لَبِسْنَا صُورَةَ التُّرَابِيِّ سَنَلْبَسُ أَيْضًا صُورَةَ السَّمَاوِيِّ. فَأَقُولُ هذَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ: إِنَّ لَحْمًا وَدَمًا لاَ يَقْدِرَانِ أَنْ يَرِثَا مَلَكُوتَ اللهِ، وَلاَ يَرِثُ اَلْفَسَادُ عَدَمَ اَلْفَسَادِ*» *(١كورنثوس ١٥: ٤٩، ٥٠)*

تعبّر هذه الآيات عن العذاب الحقيقي الذي ينتجه الانفصال الأبدي عن الله. وكما يحيا الذين مع المسيح في نور وفرح أبديين، لا يبقى للذين هم في ظلمة سوى الحزن والندم والذكريات الأليمة النجسة والدنسة لخطاياهم التي فعلوها وهذا هو الجحيم. كما هو مكتوب في دانيال العار والازدراء الأبدي.

وكما ذكرنا من قبل أن القوانين التي وضعها الله هي قوانين مطلقة تحقق نفسها بنفسها الطبيعية منها أو الأدبية. فالله ليس بحاجة إلى أن يرسل ملائكته لكي ينفذ قوانينه، ولا أن يتدخل لينفذ العذاب الأبدي، بل إن الخطية نفسها هي التي تميت، كما يقول الكتاب

- *«الشَّرُّ يمِيتُ الشِّرِّيرَ» (مزمور ٣٤: ٢١)*
- *و«لأَنَّ أُجْرَةَ الْخَطِيَّةِ هِيَ مَوْتٌ، وَأَمَّا هِبَةُ اللهِ فَهِيَ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا». (رومية ٦: ٢٣)*

وأجرة الخطية هنا تعني نتيجة وليس عقاب. ومع أن الكتاب يقول

- *«لأَنَّ الآبَ لاَ يَدِينُ أَحَدًا، بَلْ قَدْ أَعْطَى كُلَّ الدَّيْنُونَةِ لِلابْنِ» (يوحنا ٥: ٢٢)*

نجد أن المسيح يقول صراحة

- *«وَإِنْ سَمِعَ أَحَدٌ كَلاَمِي وَلَمْ يُؤْمِنْ فَأَنَا لاَ أَدِينُهُ، لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ بَلْ لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ. مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يَدِينُهُ. الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَوْمِ الأَخِيرِ (يو ١٢: ٤٧، ٤٨).*

والمعنى هنا واضح أن الحق أو القانون هو الذي يدين.

وهنا نرى روعة وكمال بر الله وعدله الذي لا يتناقض أبداً مع محبته ورحمته.

٥. أقام يوماً للحساب

يقول الكتاب في هذا الشأن:

- *«لأَنَّهُ أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزْمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُل قَدْ عَيَّنَهُ، مُقَدِّمًا لِلْجَمِيعِ إِيمَانًا إِذْ أَقَامَهُ مِنَ الأَمْوَاتِ». (أع ١٧: ٣١)*

- *«فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا للهِ» (رو ١٤: ١٢)*

- *«لأَنَّهُ لاَ بُدَّ أَنَّنَا جَمِيعًا نُظْهَرُ أَمَامَ كُرْسِيِّ الْمَسِيحِ، لِيَنَالَ كُلُّ وَاحِدٍ مَا كَانَ بِالْجَسَدِ بِحَسَبِ مَا صَنَعَ، خَيْرًا كَانَ أَمْ شَرًّا» (٢كو ٥: ١٠)*

- *«وَكَمَا وُضِعَ لِلنَّاسِ أَنْ يَمُوتُوا مَرَّةً ثُمَّ بَعْدَ ذلِكَ الدَّيْنُونَةُ(عب ٩: ٢٧)*

- «*ٱلَّذِينَ سَوْفَ يُعْطُونَ حِسَابًا لِلَّذِي هُوَ عَلَى ٱسْتِعْدَادٍ أَنْ يَدِينَ ٱلْأَحْيَاءَ وَٱلْأَمْوَاتَ*» (١بط ٤: ٥)

هناك خلط شديد بين الدينونة وانفصال الأبرار عن الأشرار... انفصال الذين قبلوا عن الذين رفضوا... الذي يحدد مصيرهم الأبدي كما ذكرنا في النقطة السابقة وبين يوم الحساب والقضاء، وهذا ما نود أن نشرحه الآن:

دعوني أعبر عنه بكلمات مختلفة، فعندما نفارق الحياة الأرضية نذهب مباشرة إلى حالة أو وضع من اثنين: إما مع المسيح في الفردوس كما قال وهو على الصليب للص التائب

- «*إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي ٱلْفِرْدَوْسِ*» (لو ٢٣: ٤٣)

أو إلى موضع العذاب كما ذكر السيد المسيح في مثل الغني ولعازر «ومات الغني أيضاً ودفن»

- «*فَمَاتَ ٱلْمِسْكِينُ وَحَمَلَتْهُ ٱلْمَلَائِكَةُ إِلَى حِضْنِ إِبْرَاهِيمَ. وَمَاتَ ٱلْغَنِيُّ أَيْضًا وَدُفِنَ. فَرَفَعَ عَيْنَيْهِ فِي ٱلْهَاوِيَةِ وَهُوَ فِي ٱلْعَذَابِ، وَرَأَى إِبْرَاهِيمَ مِنْ بَعِيدٍ وَلِعَازَرَ فِي حِضْنِهِ*» (لو ١٦: ٢٢، ٢٣)

وهذا يختلف عن يوم الحساب (اليوم الأخير) الذي لابد لنا جميعاً أن نقف أمام كرسي المسيح ليدين الأحياء والأموات بحسب ما فعلوا وليس بحسب اختيارهم.

- وهنا أيضاً سنجد فرق بين أولئك الذين في الفردوس عن الذين في موضع العذاب:

١. الذين تبرروا بدم المسيح وصاروا أبراراً سيقفون أمام كرسي المسيح لا للدينونة بل للمكافأة.

- «إِذًا لاَ شَيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (رو ٨: ١).

ففي عدالة الله وبره أن يكافئ الأبرار بحسب تعب محبتهم وصبر رجائهم، كما هو مكتوب في الشواهد الآتية:

- «وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَبْنِي عَلَى هذَا الأَسَاسِ ذَهَبًا فِضَّةً حِجَارَةً كَرِيمَةً خَشَبًا عُشْبًا قَشًّا فَعَمَلُ كُلِّ وَاحِدٍ سَيَصِيرُ ظَاهِرًا لأَنَّ الْيَوْمَ سَيُبَيِّنُهُ. لأَنَّهُ بِنَارٍ يُسْتَعْلَنُ وَسَتَمْتَحِنُ النَّارُ عَمَلَ كُلِّ وَاحِدٍ مَا هُوَ إِنْ بَقِيَ عَمَلُ أَحَدٍ قَدْ بَنَاهُ عَلَيْهِ فَسَيَأْخُذُ أُجْرَةً. إِنِ احْتَرَقَ عَمَلُ أَحَدٍ فَسَيَخْسَرُ وَأَمَّا هُوَ فَسَيَخْلُصُ وَلكِنْ كَمَا بِنَارٍ». (١كو ٣: ١٢-١٥)

- «مَجْدُ الشَّمْسِ شَيْءٌ وَمَجْدُ الْقَمَرِ آخَرُ، وَمَجْدُ النُّجُومِ آخَرُ. لأَنَّ نَجْمًا يَمْتَازُ عَنْ نَجْمٍ فِي الْمَجْدِ» (١كو ١٥: ٤١)

- *«إذًا يا إخوتي الأحباء كونوا راسخين غير متزعزعين مكثرين في عمل الرب كل حين عالمين أن تعبكم ليس باطلاً في الرب»* (اكو ١٥: ٥٨)

وهذا ما نسميه أحياناً أكاليل من الله «أكاليل المجد». وهذا يظهر ويبرهن على بر الله وعدله، فالحياة الأبدية هبة مجانية نقبلها بالإيمان، لكن عمل الإيمان وتعب المحبة وصبر الرجاء له مكافأة خاصة لا يمكننا وصفها سوى ما قاله بولس «فسيأخذ أجرة».

٢. كذلك أيضاً الذين رفضوا النعمة ووجدوا أنفسهم بعيدين عن محضر الله المنير في موضع العذاب، فسيقفون أمام كرسي المسيح ليقدموا حساباً عما فعلوه في حق الآخرين، فليس من العدالة أن عذاب الجحيم يكون متساوياً بين الذين رفضوا النعمة لكن عاشوا بقيم ومبادئ إنسانية وبين الذين عاشوا في الأرض يدمرون حياة الآخرين ويغتصبون حقوقهم وسعادتهم.

- *«لي النقمة أنا أجازي يقول الرب»* (رو ١٢: ١٩)

ويتضح هذا فيما قاله السيد المسيح عن بعض مدن إسرائيل مقارنة بسدوم وعمورة في يوم الدين:

- *«وَيْلٌ لَكِ يَا كُورَزِينُ! وَيْلٌ لَكِ يَا بَيْتَ صَيْدَا! لأَنَّهُ لَوْ صُنِعَتْ فِي صُورَ وَصَيْدَاءَ الْقُوَّاتُ الْمَصْنُوعَةُ فِيكُمَا لَتَابَتَا قَدِيمًا فِي الْمُسُوحِ وَالرَّمَادِ. وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ صُورَ وَصَيْدَاءَ تَكُونُ لَهُمَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكُمَا... وَلكِنْ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ أَرْضَ سَدُومَ تَكُونُ لَهَا حَالَةٌ أَكْثَرُ احْتِمَالاً يَوْمَ الدِّينِ مِمَّا لَكِ». (مت ١١: ٢١، ٢٢، ٢٤)*

إذاً حالة الخطاة يوم الدين لن تكون متساوية، فهناك حالات أكثر احتمالاً من حالات أخرى، وهذا يتماشى مع القانون المطلق الذي سبق أن ذكرناه عن أن الخطية والشر الذي ارتكبه الإنسان هو الذي يعذبه وسيتحمل كل شرير ثقل شره الذي صنعه في الآخرين.

ما أعظم كمال بر الله وعدله في كل ما قال وعمل. هذا هو البر الذي يساوي بين الجميع في المعاملة والواجبات والحقوق، وفي نفس الوقت يعطي كل واحد مكافأته التي يستحقها حسب غنى نعمته. إن بر الله وعدله في تناغم وتجانس كامل مع محبته ورحمته دون تناقض، بل هو تعبير عن عدالة الحب وسخاء الرحمة.

ثالثاً: قيمة البر لحياتنا اليوم

نحتاج هنا إلى وقفة هامة ومخلصة مع النفس لأن هذا يضعنا أمام تحديات خطيرة في مسيرتنا مع الله. فدعونا نراجع بعض العبارات والمعاني الهامة لنستخلص منها بعض الدروس المفيدة:

١ . نحن الذين نحدد المسافة التي نقف فيها من الرب:

نحن الذين نقبل النعمة والهبة المجانية للتبرير والغفران أو نرفضها، ونظل تحت الدينونة مستقلين عن الله، فالله يريد أن

- *«جمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ، وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي ٢: ٤).*

لكن أنا وأنت من نقرر لأنفسنا مصيرنا الأبدي.

فلماذا لا تراجع نفسك الآن لتحدد موقعك من نعمة الله وفداء المسيح لك؟

هل تبررت مجاناً بنعمته بالفداء أم لا؟

هل قبلت دعوة الله لتصير من رعيته، وعائلته، وخاصته، أم أنك تحاول أن تثبت برك؟

فإن كنت واحداً من تلاميذه وأتباعه وعائلته المقدسة، فأنت من تختار مدى قربك منه وارتوائك من حبه.

اختار يوحنا أن يتكئ على صدره وقت العشاء .. واختارت مريم أن تجلس عند قدميه.. ويقول المرنم: «التصقت نفسي بك»، فعلى أي مسافة تقف منه؟ ما الذي يمنعك من الاقتراب أكثر والارتماء في أحضان محبته؟

- *«عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنَّا لَيْسَ بَعِيدًا» (أع ١٧: ٢٧)*

لكننا نحن الذين نختار البعد أو القرب منه.

٢. إذا قبلنا التأديب فنحن بالحقيقة أبناء:

اتفقنا أن بر الله يجعله ملتزماً بتأديب أبنائه، وليس هذا قسراً بل حباً. وما أعظم الفرق بين التأديب والعقاب

- *«اَلَّذِي يُحِبُّهُ الرَّبُّ يُؤَدِّبُهُ» (عب ١٢: ٦)..*

والابن الحقيقي يقبل التأديب لأنه يعلم محبة الآب، وأن التأديب هو للمنفعة لكي نشترك في قداسته

- *«لأَنَّ أُولَئِكَ أَدَّبُونَا أَيَّامًا قَلِيلَةً حَسَبَ اسْتِحْسَانِهِمْ، وَأَمَّا هَذَا فَلأَجْلِ الْمَنْفَعَةِ، لِكَيْ نَشْتَرِكَ فِي قَدَاسَتِهِ» (عب ١٢: ١٠).*

أما الذي يرفض التأديب والخضوع لمحبة الآب البار ويصرّ على المضي في العوج والثورة ضد مشيئة الله فهو إذاً ليس ابناً حقيقياً بل مزيفاً. وهذا ما يقوله الوحي في

- *«إِنْ كُنْتُمْ تَحْتَمِلُونَ التَّأْدِيبَ يُعَامِلُكُمُ اللهُ كَالْبَنِينَ. فَأَيُّ ابْنٍ لاَ يُؤَدِّبُهُ أَبُوهُ؟»* (عب ١٢: ٧)

وهذا مبدأ جميل ورائع للغاية، فالذين هم بالحقيقة أبناء لله وتلاميذ للمسيح اختاروا أن يعيشوا بالبر متمثلين بالله وبالرب يسوع

- *«إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ بَارٌّ هُوَ، فَاعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ الْبِرَّ مَوْلُودٌ مِنْهُ»* (۱يو ۲: ۲۹).

الأبناء الحقيقيون يعيشون بالاستقامة مع الآخرين، ويعطون لكل ذي حق حقَّه، ولا يظلمون أحداً أو يحابون أحداً على حساب آخر.. فإذا أخطأوا وارتكبوا اثماً في حق شخص ما فإنهم يحاسبون أنفسهم أولاً بأول لأن ضمائرهم مستيقظة ويعترفون بأخطائهم للآخرين ويسألون المغفرة ويردون المسلوب لصاحبه.

وعندما يفعلون هذا هم يحكمون على أنفسهم (يحاسبون أنفسهم) فلا يُحكم عليهم، أي لا حاجة للتأديب من الرب لأنهم يسلكون بالاستقامة، وهذا يتفق مع ما جاء في:

- *«لأَنَّنَا لَوْ كُنَّا حَكَمْنَا عَلَى أَنْفُسِنَا لَمَا حُكِمَ عَلَيْنَا»* (۱كو ۱۱: ۳۱)

- «وَلكِنْ إِذْ قَدْ حُكِمَ عَلَيْنَا نُؤَدَّبُ مِنَ الرَّبِّ لِكَيْ لاَ نُدَانَ مَعَ الْعَالَمِ» (١كو ١١: ٣٢)

فالتأديب ليس عقاباً، فالرب لا يؤدبنا عندما نخطئ ونتوب ونصلح طرقنا، لكنه يؤدبنا عندما نصرّ على الإثم والمضي في طرقٍ معوجة.

- «هكَذَا قَالَ الرَّبُّ: «اِحْفَظُوا الْحَقَّ وَأَجْرُوا الْعَدْلَ، لأَنَّهُ قَرِيبٌ مَجِيءُ خَلاَصِي وَاسْتِعْلاَنُ بِرِّي». (إش ٥٦: ١)

٣. تعبنا ليس باطلاً في الرب:

- «إِذًا يَا إِخْوَتِي الأَحِبَّاءَ كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُتَزَعْزِعِينَ، مُكْثِرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، عَالِمِينَ أَنَّ تَعَبَكُمْ لَيْسَ بَاطِلاً فِي الرَّبِّ». (١كو ١٥: ٥٨)

دعوني أُسمي هذا المبدأ (الاستثمار الأبدي) وهذه حقيقة عظيمة للغاية مبنية على برّ الله وعدله، فلا فضل لنا في نعمة الحياة الأبدية التي نقبلها بالإيمان.. ولكن كمؤمنين بالمسيح تعبنا في خدمته وتحقيق كل مشيئته الصالحة في حياتنا وكل تضحية وبذل وعطاء في سبيل مجد الله وخير الآخرين له أجر.

- *«لأَّن خَفَّة ضِيقتنا الوَقتِيَّة تُنشِئُ لَنا أَكثر فأَكثر ثِقَل مَجدٍ أَبدِيًّا»* (٢كو ٤: ١٧)

نعم هذا هو أفضل استثمار في الحياة، وأعظم ما يستحق أن نتعب ونضحي من أجله.. وللأسف الشديد عيون كثيرين من المؤمنين مغمضة عن رؤية هذه الحقيقة الجلية، وكثيرون منهم سيقفون أمام كرسي المسيح في اليوم الأخير وليس لهم ما يقدمونه له.. لكن شكراً لله على من سيشاركون بولس في قوله «أكملت السعي، حفظت الإيمان وأخيراً وُضع لي إكليل البر».

فلنعطِ أذناً صاغية لقول الرب يسوع كما جاء في الموعظة على الجبل

- *«لا تَكنِزوا لَكُم كُنوزًا عَلى الأَرضِ حَيثُ يُفسِد السُوس والصَّدأ، وَحَيث يَنقُب السَّارِقون وَيسرِقون. بل اكنِزوا لَكُم كُنوزًا في السَّماء، حَيثُ لا يُفسِد سُوس وَلا صَدأ، وَحَيث لا يَنقُب سارِقون وَلا يَسرِقون، لأَنه حَيث يَكون كَنزُك هُناك يَكون قَلبُك أَيضًا»* (متى ٦: ١٩-٢١).

عزيزي القارئ:

أين هو كنزك، أين هي تحويشة العمر وادّخار السنين؟!

(٥) الحق

أعطى الوحي المقدس أهمية خاصة لهذه الصفة الإلهية وتحدث عنها من جوانب متعددة، وهي واحدة من الصفات التي كثيراً ما نغفل عنها ونعطيها أهمية أقل. لكن في دراستنا هذه سنكتشف بساطة وعمق وقيمة هذا الجانب في الشخصية الإلهية العجيبة، خاصة ونحن نتحدث عن الصفات الأدبية التي تتعلق بالعلاقة مع الآخر والتي اتفقنا من قبل أن مفتاحها الرئيسي هو الحب.

- دعونا أولاً نقرأ بعض الآيات التي تحدثت عن صفة الحق في الذات الإلهية، وفي وصاياه من العهدين القديم والجديد:

- *«كُلُّ سُبُلِ الرَّبِّ رَحْمَةٌ وَحَقٌّ لِحَافِظِي عَهْدِهِ وَشَهَادَاتِهِ» (مز ٢٥: ١٠)*
- *«لأَنَّ رَحْمَتَكَ أَمَامَ عَيْنِي، وَقَدْ سَلَكْتُ بِحَقِّكَ» (مز ٢٦: ٣)*
- *«يُرْسِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَيُخَلِّصُنِي.. يُرْسِلُ اللهُ رَحْمَتَهُ وَحَقَّهُ» (مز ٥٧: ٣)*
- *«لأَنَّ رَحْمَتَكَ قَدْ عَظُمَتْ إِلَى السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى الْغَمَامِ حَقُّكَ» (مز ٥٧: ١٠)*

- «لأَن رحمتك قد عظمت فوق السماوات، وإلى الغمام حقك» (مز ١٠٨: ٤)
- «أعمال يديه أمانة وحق. كل وصاياه أمينة. ثابتة مدى الدهر والأبد، مصنوعة بالحق والاستقامة» (مز ١١١: ٧، ٨)
- «عدلك عدل إلى الدهر، وشريعتك حق» (مز ١١٩: ١٤٢)
- «قريب أنت يا رب، وكل وصاياك حق» (مز ١١٩: ١٥١)
- «لم أتكلم بالخفاء في مكان من الأرض مظلم. لم أقل لنسل يعقوب: باطلا اطلبوني. أنا الرب متكلم بالصدق، مخبر بالاستقامة» (إش ٤٥: ١٩)
- «أنتم أرسلتم إلى يوحنا فشهد للحق» (يو ٥: ٣٣)
- «وتعرفون الحق والحق يحرركم». (يو ٨: ٣٢)
- «لهذا قد ولدت أنا ولهذا قد أتيت إلى العالم لأشهد للحق. كل من هو من الحق يسمع صوتي» (يو ١٨: ٣٧)
- «الذين استبدلوا حق الله بالكذب، واتقوا وعبدوا المخلوق دون الخالق، الذي هو مبارك إلى الأبد. آمين» (رو ١: ٢٥)

- «حاشا! بل ليكن الله صادقاً وكل إنسان كاذباً. كما هو مكتوب: «لكي تتبرر في كلامك، وتغلب متى حوكمت». (رو ٣: ٤)
- «وأقول: إن يسوع المسيح قد صار خادم الختان من أجل صدق الله حتى يثبت مواعيد الآباء» (رو ١٥: ٨)
- «الذين لم نذعن لهم بالخضوع ولا ساعة، ليبقى عندكم حق الإنجيل» (غل ٢: ٥)
- «حق المسيح فيَّ» (٢كو ١١: ١٠)
- «لأننا لا نستطيع شيئاً ضد الحق بل لأجل الحق» (٢كو ١٣: ٨)
- «طهروا نفوسكم في طاعة الحق بالروح للمحبة الأخوية العديمة الرياء» (١بط ١: ٢٢)
- «ونعلم أن ابن الله قد جاء وأعطانا بصيرة لنعرف الحق. ونحن في الحق في ابنه يسوع المسيح. هذا هو الإله الحق والحياة الأبدية» (١يو ٥: ٢٠)
- «من أجل الحق الذي يثبت فينا وسيكون معنا إلى الأبد، تكون معكم نعمة ورحمة وسلام من الله الآب ومن الرب يسوع المسيح، ابن الآب بالحق والمحبة» (٢يو ٢، ٣)

- «دِيمْتريُوسُ مَشْهُودٌ لَهُ مِنَ الْجَمِيعِ وَمِنَ الْحَقِّ نَفْسِهِ، وَنَحْنُ أَيْضًا نَشْهَدُ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ شَهَادَتَنَا هِيَ صَادِقَةٌ» (٣يو ١٢).

من كل هذه الشواهد، نرى أن هذا الوصف (الحق) أخذ أبعاداً متعددة يكمل بعضها بعضاً فترسم صورة جميلة كمقطوعة موسيقية رائعة:

- فالله إله حقيقي
- وهو كمال الحق ومطلقه
- ما يقوله هو الحق لأنه صادق ولا يكذب
- طرقه وأعماله حق
- شهاداته ووصاياه كلها حق

والآن دعوني أشرح هذه العبارات المختلفة والتي ترسم صورة متكاملة في غاية الروعة والجمال.

أولاً: معاني الحق

١ . الله إله حقيقي:

أي أنه بالحقيقة موجود، بل هو أصل الوجود، وأنه وحده وليس سواه، وكل الآلهة الأخرى هي آلهة مزيفة غير حقيقية صنعة أيدي الناس أو فكر وخيال الإنسان.

وقد عبَّر الكتاب عن هذه في مواضع كثيرة منها:

- «وَهذه هِيَ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعْرِفُوكَ أَنْتَ الإِلهَ الْحَقِيقِيَّ وَحْدَكَ، وَيَسُوعَ الْمَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو ١٧: ٣)
- «الَّذِينَ اسْتَبْدَلُوا حَقَّ اللهِ بِالْكَذِبِ، وَاتَّقَوْا وَعَبَدُوا الْمَخْلُوقَ دُونَ الْخَالِقِ، الَّذِي هُوَ مُبَارَكٌ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ» (رو ١: ٢٥)
- «لِيَعْلَمَ كُلُّ شُعُوبِ الأَرْضِ أَنَّ الرَّبَّ هُوَ اللهُ وَلَيْسَ آخَرُ» (١مل ٨: ٦٠)
- «لأَنَّكَ عَظِيمٌ أَنْتَ وَصَانِعٌ عَجَائِبَ. أَنْتَ اللهُ وَحْدَكَ» (مز ٨٦: ١٠)
- «وَدَفَعُوا آلِهَتَهُمْ إِلَى النَّارِ، لأَنَّهُمْ لَيْسُوا آلِهَةً بَلْ صَنْعَةُ أَيْدِي النَّاسِ، خَشَبٌ وَحَجَرٌ. فَأَبَادُوهُمْ» (إش ٣٧: ١٩)

وهذا ما نراه في العالم من حولنا من أفكار ومعتقدات وديانات صنعها الناس وصدقوها وعاشوا لها قروناً، فضلّوا وراء كذبهم.

- «لِيَعْلَمُوا مِنْ مَشْرِقِ الشَّمْسِ وَمِنْ مَغْرِبِهَا أَنْ لَيْسَ غَيْرِي. أَنَا الرَّبُّ وَلَيْسَ آخَرُ» (إش ٤٥: ٦)

ولسوف نتعرض في مدرسة المسيح في فصل «إثبات وجود الله» لهذه الحقيقة بالشرح العملي والفلسفي والتاريخي، وبالتفصيل المريح.

٢. الله هو كمال الحق ومطلقه:

أي أن الحق ليس بشيء نسبي كما يدعي البعض، بل هناك «الحق المطلق» وهذا الحق المطلق هو الله ذاته.. وليس لأننا نعرف بعض المعرفة كما يقول بولس الرسول في (٢كو ١٣) هذا يعني أن الحق نسبي، بل لأننا نحن غير كاملين لا يمكننا أن نستوعب كل الحق، لكننا نستطيع أن نعرف الحق الذي نحتاجه بحسب إدراكنا المحدود. فلو لم يكن الحق مطلقاً ما كانت أبداً هناك حقيقة نستطيع أن نعرفها ونثق فيها ونعتمد عليها في الحياة. فالله هو مطلق العلم وقوانينه وهو مطلق الأخلاق ومن يحياها، ولهذا نستطيع أن نثق فيه ونتكل عليه بكل قلوبنا وعقولنا.

٣. ما يقوله هو الحق لأنه صادق ولا يمكن أن يكذب أبداً:

وهذه الصفة تتعلق بالعلاقة مع الآخر. فما أجمل الصدق وما أقبح الكذب والخداع، وأنت لا تستطيع أن تكوّن علاقة حقيقية مع شخص تعرف أنه كذاب، والعكس صحيح فالصدق يجعلك تسمع له وتثق فيما يقول لأنه الحقيقة.. يقول الكتاب إن الله صادق ولا يمكن أن يكذب.

اقرأ معي هذا الشاهد:

- *«لَيسَ اللهُ إِنسَانًا فَيَكذِبَ، ولا ابنَ إِنسانٍ فَيَندَمَ..»* (عدد ٢٣: ١٩)

وهنا دعونا نتوقف لحظة، فالبشر يكذبون لأن الحقيقة تدينهم فتبين حقيقتهم وحقيقة ما فعلوا، فهم بالكذب يخفون شر أفعالهم وسوء دوافعهم.

لكن بالنسبة لله الحقيقة تظهر محبة قلبه وأحشاء رأفته وصلاح أعماله، فليس عنده سبب واحد للكذب، كل ما فيه وما يصنعه رائع، وهذه هي العلاقة الرائعة بين محبة الله وقداسته ورحمته بصدقه وأنه إله حق.

٤ . ليس فقط ما يقوله حق بل ما يظهره ويبدو عليه هو حق:

- *«كُلُ سُبلِ الرَّبِ رَحمَةٌ وَحقٌّ»* (مز ٢٥: ١٠)
- *«أَعمَالُ يَدَيهِ أَمانَةٌ وَحقٌّ. كُلُ وَصايَاه أَمينَةٌ»* (مز ١١١: ٧)

ولكي نفهم الفرق بين هذا الجانب والذي سبقه، ربما تعبّر كلمة "الرياء" عن المعنى بوضوح لأنها تصف عكسه تماماً.

ربما تكون الفئة الوحيدة التي وبخها السيد المسيح هي فئة الكتبة والفريسيين، والسبب الرئيسي لذلك كان هو الرياء (أنهم يظهرون ما لا يبطنون).

هم قبور مبيضة من الخارج ومن الداخل مملوءة عظام ميتة.

هم يصلّون في زوايا الشوارع لكي يظهروا للناس وليس لله.

هم من الخارج متدينون ومن الداخل مملوؤون عثرة وحقد، ولا يعرفون طريق الحب والبذل والعطاء. وهذه المعاني واضحة في الشواهد الآتية:

- *«وَمَتى صَلَّيتَ فَلا تَكُن كَالْمُرائِينَ، فَإِنَّهُم يُحِبُونَ أَن يُصَلُّوا قَائمِينَ فِي الْمَجامِعِ وفِي زَوَايا الشَّوارعِ لِكَي يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ. اَلْحَقَّ أَقولُ لَكُم: إِنَّهُم قد اسْتَوْفَوا أَجْرَهُم!»* (مت ٦: ٥)

- *«وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ»* (مت ٦: ١٦)
- *«وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تَأْكُلُونَ بُيُوتَ الأَرَامِلِ» «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُعَشِّرُونَ النَّعْنَعَ وَالشِّبِثَّ وَالْكَمُّونَ، وَتَرَكْتُمْ أَثْقَلَ النَّامُوسِ: الْحَقَّ، وَالرَّحْمَةَ، وَالإِيمَانَ. كَانَ يَنْبَغِي أَنْ تَعْمَلُوا هذِهِ وَلاَ تَتْرُكُوا تِلْكَ» «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُنَقُّونَ خَارِجَ الْكَأْسِ وَالصَّحْفَةِ، وَهُمَا مِنْ دَاخِل مَمْلُوآنِ اخْتِطَافًا وَدَعَارَةً» «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ، لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً وَهِيَ مِنْ دَاخِل مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ»* (مت ٢٣: ١٤، ٢٣، ٢٥، ٢٧)

فالشخص الذي يمكن أن تصفه حقيقي وليس فقط يقول الحقيقة، لكنه من يبدو على حقيقته في أعماله وتصرفاته، فهو يظهر ما يُبطن. هذا هو الله بعينه. ومرة أخرى لأنه ليس عنده ما يخفيه، فكل ما فيه نور وليس فيه ظلمة البتة.

- *«وَهذَا هُوَ الْخَبَرُ الَّذِي سَمِعْنَاهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُمْ بِهِ: إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ»* (١يو ١: ٥)

وهو يريد أن يكشف لنا أعماق قلبه فهو يؤمن بالشفافية ويمارسها معنا بكل تواضع وبساطة.

٥ . شهاداته ووصاياه حق:

راجع الشواهد التي ذكرناها قبلاً:

- *«كَلاَمُكَ هُوَ حَقٌّ» (يو ١٧: ١٧)*
- *«وَشَرِيعَتُكَ حَقٌّ» (مز ١١٩: ١٤٢)*
- *«وَكُلُّ وَصَايَاكَ حَقٌّ» (مز ١١٩: ١٥١)*
- *«حَقُّ الإِنْجِيلِ» (غل ٢: ٥)*

فالله يتكلم بالحق ، فعندما يقول إنه يحبك فهو صادق.

ويظهر الحق عندما يبدو أنه حنان ورحيم.

ويوصينا بالحق أي أن وصاياه هي قوانين الحياة الحقيقية،

وهي الحقيقة التي إذا عشناها اختبرنا الحياة كما يقول المسيح «وَتَعْرِفُونَ الْحَقَّ وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ». (يو ٨: ٣٢)

فوصاياه صالحة لخيرنا وتقودنا للحياة الحقيقية التي خلقنا لنحياها، والعكس صحيح تماماً.

- *«أُنْظُر. قَدْ جَعلتُ اليَوْم قُدَّامك الحَياةَ والخَيْرَ والمَوتَ والشَّر، بما أَنِّي أوصَيْتك اليَوْم أن تحبَّ الرَّب إلهَك وَتسْلُك في طُرقه وتَحفظ وَصاياه وَفرائضه وأَحكامه لتَحيا وتَنْمو وَيباركك الرَّب إلهك في الأرضِ التي أَنت داخلٌ إليها لتَمتلكها» (تث ٣٠: ١٥، ١٦)*

- *«أُشهِدُ عليكم اليَوم السَّماءَ والأرض. قَدْ جَعلتُ قُدَّامَك الحَياةَ والمَوت. البَركة واللَّعنة. فاخْتر الحَياة لتَحيا أَنت وَنسْلك، إذْ تحبُّ الرَّب إلهك، وَتسْمَع لصَوته، وتلتصق به، لأنه هو حَياتك والذي يطيل أيامك لتَسكن على الأرضِ التي حلف الرَّب لآبائك إبراهيمَ وإسحاقَ وَيعقوب أن يُعطيهم إياها». (تث ٣٠: ١٩، ٢٠)*

اختر الحياة إذ تحب الرب إلهك وتسمع لصوته وتلتصق به لأنه هو حاميك.

- راجع كل القوانين الطبيعية تجدها حقيقية وصالحة.
- راجع كل وصاياه الأخلاقية أن تحب وتغفر وتصدق القول ولا تزني ولا تسرق ولا تقتل ولا تشتهي، تجدها كلها صادقة وأمينة تحفظ للإنسان السعادة والهناء والعكس صحيح تماماً.

عزيزي القارئ

هل أدركت بساطة وروعة صفة الحق والصدق، وبشاعة الكذب والغش والرياء؟

دعونا نسمع ما يقوله الرب يسوع عن إبليس والذي يسميه الكذاب وأبو الكذاب:

- *«أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقٌّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨: ٤٤)*

كما يسميه الكتاب أيضاً المُضل الذي يضل العالم كله:

- *«فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ، الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ – طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ» (رؤ ١٢: ٩)*

وهنا نرى خطورة الكذب والكذاب، والضلال المضل الذي يقود العالم للهلاك.

فإياك عزيزي القارئ أن تكون كذاباً وتجعل إبليس هذا أباً لك.

ثانيا: قيمة هذه الصفة بالنسبة لنا

١. هو صادق فما أسهل أن نصدقه ونثق في مواعيده ونتمسك بوصاياه.

٢. لقد أوصانا أن نكون مثله.

أي أن نتكلم بالصدق ولا نكذب

- *«لِذلِكَ اطْرَحوا عَنْكُم الْكَذِبَ وَتَكَلَّموا بِالصِّدقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَريبِهِ» (أف ٤: ٢٥)*
- *«لا تَكْذِبوا بَعْضُكُم عَلى بَعْضٍ. إِذ خَلَعْتُم الإِنْسانَ الْعَتيقَ مَعَ أَعْمالِهِ» (كو ٣: ٩)*
- *«شاهِدُ الزّورِ يَهْلِكُ، وَالرَّجُلُ السّامِعُ لِلْحَقِّ يَتَكَلَّم» (أم ٢١: ٢٨)*

٣. وأن نسلك في النور كما هو في النور.

- *«وَهَذا هُوَ الْخَبَرُ الَّذي سَمِعْناهُ مِنْهُ وَنُخْبِرُكُم بِهِ: إِنَّ اللهَ نورٌ وَلَيْسَ فيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ. إِنْ قُلْنا إِنَّ لَنا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنا في الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنا نَعْمَلُ الْحَقَّ. وَلَكِنْ إِنْ سَلَكْنا في النّورِ كَما هُوَ في النّورِ، فَلَنا شَرِكَةٌ بَعْضِنا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسوعَ الْمَسيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٥-٧)*

ما أروع هذه المقطوعة الموسيقية الجميلة

الله يعيش في النور ويدعونا إلى شركة معه ومع بعضنا البعض وهذا هو الحب بعينه.

فإذا كان لنا شركة حقيقية معه، هذا معناه أننا لابد أن نسلك في النور أيضاً، فلا يمكننا أن يكون لنا شركة معه ونسلك في الظلمة بينما هو يعيش في النور.

ما أجمل هذه الصورة وأوضحها، لكن بكل أسف نحن نحاول أن نفعل عكسها، أن يكون لنا شركة معه كأبناء أحباء ونسلك في الظلمة.

والظلمة هنا معناها ليس عدم القداسة لكن عدم الشفافية.

والنور يعني الحق، والصدق، وعدم الرياء، وعدم إخفاء حقيقة أنفسنا أمام الله والناس، والدليل على ذلك أمران:

أولهما: ما جاء في النص:

- *«إِنْ قُلْنَا إِنَّهُ لَيْسَ لَنَا خَطِيَّةٌ نُضِلُّ أَنْفُسَنَا وَلَيْسَ الْحَقُّ فِينَا. إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ» (١يو ١: ٨، ٩)*

نعم هذا هو السلوك في النور، والاعتراف بالخطية وليس عدم فعل الخطية... أن نسمح للنور أن يكشف أعماقنا ونظهره ولا نخفيه بل نعترف به.

الدليل الثاني:

موجود في نفس الفقرة (عدد ٧) إن نتيجة السلوك في النور شركة بعضنا مع بعض ودم يسوع المسيح يطهرنا من كل خطية.

إذاً ، هو يتكلم عن الشفافية التي تجعل علاقتنا بعضنا ببعض علاقة حقيقية وليست مزيفة، فلو إني أبدو على غير حقيقتي وأنت كذلك، فالعلاقة التي تربطنا هي علاقة مزيفة لأنها تجمع شخصين مزيفين.. والعكس صحيح.

أما إذا ظهرنا على حقيقتنا دون رياء أو زيف أو أقنعة، فالعلاقة التي تجمعنا علاقة صادقة وحقيقية.

والنتيجة الثانية للسلوك في النور بدون زيف أو إخفاء لشر قلبي هي أن دم يسوع يطهرني من الخطية والشر الذي كشفته وأخرجته للنور.. والعكس أيضاً صحيح فالذي أخفيه كيف يمكن الله أن يعالجه ويشفيه؟

ما أروع الصدق وأجمل أن نعيش في النور.. وما أقبح الكذب وأبشع الرياء.

اسمع ما يقوله الكتاب عن الكذب:

- *«مَنْ يَغْلِبْ يرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وأَكونُ لَهُ إِلهًا وهُوَ يَكونُ لِي ابنًا. وأَما الخائفونَ وغيرُ المؤمنينَ والرجسونَ والقاتلونَ والزناةُ والسحرةُ وعبدةُ الأوثانِ وجميعُ الكذبةِ فنصيبُهُم في البحيرةِ المتقدةِ بنارٍ وكبريتٍ، الذي هو الموتُ الثاني»* (رؤ ٢١: ٧، ٨)
- *«طوبى للذينَ يصنعونَ وصاياهُ لكي يكونَ سلطانُهُم على شجرةِ الحياةِ ويدخلوا من الأبوابِ إلى المدينةِ، لأنَّ خارجًا الكلابَ والسحرةَ والزناةَ والقتلةَ وعبدةَ الأوثانِ، وكلَّ من يحبُّ ويصنعُ كذبًا»* (رؤ٢٢: ١٤، ١٥)

من هاتين الآيتين، نجد أن الله لا يفرق بين غير المؤمن والزاني والقاتل وعابد الأوثان وبين الكاذب الذي يحب ويصنع الكذب، فجميعهم لهم نفس المصير الأبدي الذي هو البحيرة المتقدة بنار وكبريت، فالكذب ليس من الخطايا الصغرى (على الرغم من أن الله ليس لديه خطايا صغرى وكبرى) أو بلون أبيض أو أسود (على الرغم أيضاً من أن الله ليس لديه ألوان للكذب).

لقد أعطى الله كل هذه القيمة للحق لأن في معرفة وفهم الحق إنقاذاً للإنسان وللإنسانية.. أما في الضلال وإخفاء الحقيقة فالخراب للبشرية، فعندما يدرك الإنسان ويتواجه مع حقيقة فساده وعجزه فهذا يدفعه نحو

إله محب رحيم وقدوس.. أما إخفاء الحقيقة وعدم الاعتراف بها فيجعلنا نظن أننا صالحون وكاملون في نفوسنا وهذا يأخذنا بعيداً عن مصدر النعمة الغني.

الكذب وإخفاء الحقائق وتزييفها هو ضد طبيعة الله، لذلك نرى وبوضوح أن الله يقاومه ويرفضه لأنه يسبِّب أعظم الضرر للإنسان، فالكذب فيه خداع للنفس وضلال للعقل لأننا كذبنا على أنفسنا فآذيناها وكذبنا على الآخرين فأعميناهم.

- *«لأَنِّي فَرِحْتُ جِدًا إِذْ حَضَرَ إِخْوَةٌ وَشَهِدُوا بِالْحَقِّ الَّذِي فِيكَ، كَمَا أَنَّكَ تَسْلُكُ بِالْحَقِّ. لَيْسَ لِي فَرَحٌ أَعْظَمُ مِنْ هَذَا: أَنْ أَسْمَعَ عَنْ أَوْلاَدِي أَنَّهُمْ يَسْلُكُونَ بِالْحَقِّ» (٣يو ٣، ٤)*

(٦) الحكمة

دعونا الآن نتقدم إلى اكتشاف صفة الحكمة التي أبقيناها قرب النهاية لأنها كما قال أحدهم هي نتاج عصارة هذه الشخصية الرائعة في بهائها وجمالها، فهي التعبير عن المعرفة والقدرة والمحبة معاً. كما سنرى بعد قليل هذه الصفة مثل الكثير من الصفات التي تطرَّقنا إليها شابها الكثير من التشويه وسوء الفهم.. فدعونا نسأل من الله الحكمة التي نحتاجها لنفهم كلمة الله المتنوعة كما يقول الكتاب وكما تعودنا. دعونا نسمع من كلمة الله أولاً. ماذا يقول هو عن نفسه وعن حكمته، ومنها نستطيع أن نفهم المعنى والقيمة والتطبيق العملي في الحياة:

- *«وَملأْتُه مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ» (خر ٣١: ٣)*

- *«وَأَعْطَى اللهُ سُلَيْمَانَ حِكْمَةً وَفَهْمًا كَثِيرًا جِدًّا وَرَحْبَةَ قَلْبٍ كَالرَّمْلِ الَّذِي عَلَى شَاطِئِ الْبَحْرِ» (١مل ٤: ٢٩)*

- «أما أنت يا عزرا فحسب حكمة إلهك التي بيدك ضع حكامًا وقضاة يقضون لجميع الشعب الذي في عبر النهر من جميع من يعرف شرائع إلهك. والذين لا يعرفون فعلموهم» (عزرا ٧: ٢٥)

- «عنده الحكمة والقدرة. له المشورة والفطنة» (أيوب ١٢: ١٣)

- «ما أعظم أعمالك يا رب! كلها بحكمة صنعت. ملآنة الأرض من غناك» (مز ١٠٤: ٢٤)

- «لأن الرب يعطي حكمة من فمه المعرفة والفهم» (أم ٢: ٦)

- «الرب بالحكمة أسس الأرض. أثبت السماوات بالفهم» (أم ٣: ١٩)

- «ويخرج قضيب من جذع يسى، وينبت غصن من أصوله، ٢ ويحل عليه روح الرب، روح الحكمة والفهم، روح المشورة والقوة، روح المعرفة ومخافة الرب» (إش ١١: ١، ٢)

- «فقال دانيال: «ليكن اسم الله مباركًا من الأزل وإلى الأبد، لأن له الحكمة والجبروت. وهو يغير الأوقات والأزمنة. يعزل ملوكًا وينصب ملوكًا. يعطي الحكماء حكمة ويعلم العارفين فهمًا.. إياك يا إله آبائي أحمد، وأسبح الذي أعطاني الحكمة والقوة، وأعلمني الآن ما طلبناه منك لأنك أعلمتنا أمر الملك». (دانيال ٢: ٢٠، ٢١، ٢٣)

- «مِنْ أَيْنَ لِهَذَا هذه الْحِكْمَةُ وَالْقُوَّاتُ؟» (متى ١٣: ٥٤)
- «يَا لَعُمْقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!» (رو ١١: ٣٣)
- «لأَنَّهُ إِذْ كَانَ الْعَالَمُ فِي حِكْمَةِ اللهِ» (١كو ١: ٢١)
- «بَلْ نَتَكَلَّمُ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي سِرٍّ» (١كو ٢: ٧)
- «الْمُذَّخَرِ فِيهِ جَمِيعُ كُنُوزِ الْحِكْمَةِ وَالْعِلْمِ» (كو ٢: ٣)
- «بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ» (أف ٣: ١٠)

أولاً: تعريف الحكمة

من كل ما قرأنا نجد أن الله حكيم وعنده الحكمة وهو مصدرها فهو الذي يعطي الحكماء حكمة والفهماء فهماً.. وهذه الحكمة واسعة جداً ومتنوعة وعميقة للغاية وبها صنع الله السماوات والأرض وأموراً أخرى كثيرة، سوف نتحدث عنها تحت عنوان «مظاهر كلمة الله المتنوعة».

لكن ما هي الحكمة ومن تكون؟ ومن هو الحكيم ومن هو الماكر والخبيث الجاهل؟

وهنا لابد أن نجد المفارقة بين:

الحكمة	والجهل أو الحماقة
الحكمة	والخبث أو الدهاء

فالحكمة بمعنى المعرفة والفهم، عكسها الجهل

وكلمة الحكمة أوسع وأشمل من المعرفة والفهم، وربما يكون التعريف الأدق للحكمة هو:

الاستخدام المحب الصالح للقدارت الشخصية لخير الآخر وسعادته.

وبهذا المعنى يكون الخبث والدهاء هو المعنى العكسي للحكمة، فهو استخدام الذكاء والمعرفة وباقي الإمكانيات لحرمان الآخر من الخير، بل الحصول على كل ما يمكن لنفسي أنا.

وبهذا المعنى فحكمة الله تعني:

أن الله يستخدم كل إمكانياته من المعرفة والفهم، ومن القدرة والقوة ليصنع الخير كل الخير للآخر، أي للإنسان الذي أحبه. لهذا نقول إن الحكمة هي نتاج المعرفة والقدرة والمحبة معاً.

من هذا التعريف نرى مزيجاً من بعض الصفات الرائعة التي يتصف الله بها، فهو محب يريد أن يصنع الخير للبشر، وهو قدير يستطيع أن يصنعه، وفي نفس الوقت هو كلي المعرفة لأنه يعرف خير الإنسان. ويبدو هذا واضحاً في مظاهر حكمة الله مثل الخلق والفداء والكنيسة، فكيف أنه في كل واحدة منها نرى قدرته السرمدية مع المعرفة والفهم يعملون معاً بكل الحب لخير الإنسان وسعادته.

لذلك نسمّي هذه الأمور الثلاثة «المظاهر العامة لحكمة الله المتنوعة». لكننا في كل التفاصيل الأخرى في تعاملات الله معنا كأفراد أو جماعات أو شعوب نرى حكمة الله العجيبة التي تجعلنا نثق فيه ونتكل عليه، لأنه يعرف الخير ويقدر أن يجعله واقعاً، ويريد في محبته أن يعطينا إياه ويحققه لنا.

وكما ذكرنا من قبل أن الله ليس فقط حكيماً، لكنه يعطي الحكمة بسخاء لمن يطلبها بصدق، لا ليمجد نفسه لكن لخير الآخرين من حوله. وهذا ما نقرأه في قصة سليمان الملك، وكما كتب لنا يعقوب الرسول في رسالته

- *«وَإِنَّمَا إِنْ كَانَ أَحَدُكُمْ تُعْوِزُهُ حِكْمَةٌ فَلْيَطْلُبْ مِنَ اللهِ، اَلَّذِي يُعْطِي اَلْجَمِيعَ بِسَخَاءٍ وَلاَ يُعَيِّرُ، فَسَيُعْطَى لَهُ» (يع١: ٥)*

ثانياً: المظاهر العامة لإعلان حكمة الله

١ . الخلق:

- *«الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَّسَ الأَرْضَ. أَثْبَتَ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ»* (أم٣: ١٩)

من البداية صمم الله هذا الكون وصنع السماوات والأرض مسكناً للإنسان، وملأ هذه الأرض بالنبات والحيوان ليحفظ دورة الحياة فيها بأروع صورة ممكنة.. ليس هذا فقط بل كما هو مكتوب

- *«وَغَرَسَ الرَّبُّ الإِلهُ جَنَّةً فِي عَدْنٍ شَرْقًا وَوَضَعَ هُنَاكَ آدَمَ الَّذِي جَبَلَهُ»* (تك ٢: ٨)

وعندما صنع الإنسان صنعه على صورته وعلى شبهه لتكون له علاقة حية رائعة من الحب والشركة معه.

كل هذا صنعه لأجل الإنسان وسعادته وليس لسكنى الله وراحته.

- *«مَا أَعْظَمَ أَعْمَالَكَ يَا رَبُّ! كُلَّهَا بِحِكْمَةٍ صَنَعْتَ»* (مز ١٠٤: ٢٤)

إن التأمل العميق المخلص في روعة الخليقة بكل أبعادها وأدق تفاصيلها يدل على عظمة حكمة هذا الخالق، فنحن بعد كل هذه السنين نحاول أن نكتشف أسرار هذا الكون بكل علمه وقوانينه.. نحاول أن نكتشف سر الخلية والحياة بكل تعقيداتها، وأسرار هذا التنوع المذهل في صور الحياة وجمالها العجيب.

بل إن كل تطور حدث في حياة البشرية هو من مجرد مراقبة الخليقة، فمثلاً عندما رأينا الطيور من حولنا تطير قررنا أن نطير مثلها، فوصلنا يوماً إلى صناعة الطائرات العملاقة.. وعندما راقبنا الكائنات البحرية وهي تغوص في أعماق البحر تعلمنا كيف نصنع السفن والغواصات التي تعيش في المياه.

لقد استطاع العلماء اكتشاف الكثير من الإبداع الإلهي في تكوين الجسد البشري من مستوى الخلية الواحدة إلى الأعضاء المختلفة والأجهزة التي تعمل في توافق وتكامل تقني مذهل يفوق الوصف، ولكننا حتى الآن نجهل الكثير عن المخ بكل تعقيداته وذكائه وقدرته على التحكم واتخاذ القرارات خاصة في الإبداع والخلق.

في دراسة «باب الإنسان» في مدرسة المسيح، نرى كيف أن الله في كل خلقه وضع خطة رائعة متكاملة ليُسعد الإنسان على المستوى الروحي في علاقته به، وعلى المستوى النفسي في علاقته بأخيه الإنسان والخليقة، وعلى المستوى المادي في علاقته بأخيه الإنسان والخليقة المادية والبيولوجية. فالخلق بكل ما فيه هو أسمى تعبير عن حكمة الله المتنوعة.. هو عطية الحب المذهلة في روعتها وتكاملها للإنسان.

٢. خطة الله للخلاص بالفداء:

عندما أفسد الإنسان نفسه وشوهها بالخطة الأصلية وتمرده واستقلاله عن الله وإصغائه لإبليس عدو كل بر وحق، نرى الله منذ اللحظة الأولى للسقوط يتدخل بخطة رائعة لإنقاذ الإنسان واستعادته للحياة والسعادة الحقيقية بالشركة والحب مع الله وأخيه الإنسان، وهو ما نسميه «خطة الفداء العجيب» التي نرى ملامحها منذ البداية حين صنع الله لآدم وحواء أقمصة من جلد بدل أوراق التين النباتية، لكي يستر عريهما، وفي هذا إشارة إلى ضرورة الذبيحة والكفارة، ويعدهما أن نسل المرأة يسحق رأس الحية.. أول وعد بمجيء المسيح إلى العالم من امرأة دون رجل، ليسحق إبليس ويطلق البشرية من أسر الخطية.

ثم نسمع عن عهده مع إبراهيم أب المؤمنين أن في نسله يأتي من تتبارك فيه جميع قبائل الأرض، وأنه بالإيمان يقبل الإنسان نعمة التبرير والحياة الجديدة مع الله.

ثم نرى تكوين هذا الشعب وتكاثره في أرض مصر وخروجه منها على يد موسى بآيات وعجائب عظيمة ليسكن أرض كنعان بدل الشعوب التي استنفذت كل فرصها للتوبة والرجوع إلى الله، ويعطيهم موسى الناموس الذي هو «مؤدبنا للمسيح».

ويشرح الناموس لنا بصور رمزية ومادية بشاعة الخطية وسمها القاتل الذي يميت الشرير، والاحتياج الحقيقي للفداء ولمن يحمل عنه الخطية والمعصية والاثم، بل وعجز الإنسان أن يتمم خلاص بنفسه، وأن الله وحده هو الذي يفدي الإنسان وذلك من خلال نظام الذبائح والهيكل والأعياد.

وكذلك بالنبوات التي تمهد الطريق للمسيح المخلص المنتظر.

وهكذا في ملء الزمان يرسل الله المسيح مخلص العالم، حمل الله الذي يرفع خطية العالم متمماً كل النبوات والإشارات والرموز ليمنح الخلاص لكل من يؤمن به ويثق فيه ويضع خطاياه عليه ويقبله مخلصاً شخصياً لحياته ليحيا فيه بالحب والبر.

ما أروع تفاصيل هذه القصة التي تحققت عبر التاريخ وآلاف السنين، وما أعظم الحب والبذل، والتواضع والتضحية لتحقيق قصد الله للبشر ليمنحهم من جديد فرصة جديدة للعودة إلى حضن الآب إلى جنة عدن المفقودة.

- *«يَا لَعُمقِ غِنَى اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَعِلْمِهِ! مَا أَبْعَدَ أَحْكَامَهُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقَهُ عَنِ الاسْتِقْصَاءِ!» (رومية ١١: ٣٣)*

وهذا ما شرحناه في مدرسة المسيح في باب «المسيح».

٣. الكنيسة:

- «*لِكَيْ يُعَرَّفَ الآنَ عِنْدَ الرُّؤَسَاءِ وَالسَّلاَطِينِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ بِوَاسِطَةِ الْكَنِيسَةِ بِحِكْمَةِ اللهِ الْمُتَنَوِّعَةِ، حَسَبَ قَصْدِ الدُّهُورِ الَّذِي صَنَعَهُ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا*» (أف ٣: ١٠، ١١)

وهنا مرة أخرى نرى حكمة الله تنسج عملاً رائعاً لإعلان حكمته الصالحة لخير أولاده وبناته الذين قبلوا خلاصه في الفداء.

- بيتاً روحياً.. عائلة مقدسة لاستضافة الأبناء والعناية بهم وإنضاجهم ليصيروا رجالاً ونساءً في الإيمان.. ليكونوا بحق جسد المسيح في العالم الذي يشهد عن حبه ومجيئه وخلاصه العجيب.. ليكونوا صورة مقروءة ومنظورة من جميع الناس عن ملكوت الله غير المنظور، فيجسّدون معنى المصالحة الحقيقية بين الإنسان والله وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

- فالذين كانوا بالأمس أعداء (اليهود والأمم) يصيرون اليوم في المسيح أعضاء جسمه من لحمه ومن عظامه.. أحباء عائلة واحدة فيها الغني والفقير، المتعلم والجاهل، الرجل والمرأة، الكبير والصغير، من كل قبيلة وشعب وأمة، متساوين في القيمة والمقدار يربطهم الحب الإلهي العظيم.

- «لأَنَّ كُلَّكُم ٱلذينَ ٱعتَمَدْتُم بٱلمسيحِ قَدْ لَبِسْتُم ٱلمسيحَ. لَيسَ يَهوديٌّ وَلا يونانيٌّ. لَيسَ عَبْدٌ وَلا حُرٌّ. لَيسَ ذَكَرٌ وأُنثى، لأَنَّكُم جَميعًا واحِدٌ في ٱلمسيحِ يَسوع». (غل ٣: ٢٧، ٢٨)

– لكل واحد موهبته ودوره المختلف لكننا معاً جسد واحد متكامل ينمو إلى ذاك الذي هو الرأس: المسيح. وهذه الكنيسة التي تبدو من الخارج ضعيفة وفقيرة لكنها بنعمة الله قادرة أن تغير العالم كله.

- «وَهوَ أَعطى ٱلبَعْضَ أَن يَكونوا رُسلًا، وٱلبَعْضَ أَنبياءَ، وٱلبَعْضَ مُبَشِّرينَ، وٱلبَعْضَ رُعاةً وَمُعَلِّمينَ، لأَجلِ تَكْميلِ ٱلقِدّيسينَ، لِعَمَلِ ٱلخِدْمَةِ، لِبُنْيانِ جَسَدِ ٱلمسيحِ» (أف ٤: ١١، ١٢)

– هذه هي الكنيسة التي أسسها المسيح نفسه ودشنها الروح القدس في يوم الخمسين حين حل عليها كألسنة منقسمة كأنها من نار.

- «وَصارَ بَغْتَةً مِنَ ٱلسَّماءِ صَوْتٌ كَما مِنْ هُبوبِ ريحٍ عاصِفَةٍ وَمَلأَ كُلَّ ٱلبَيتِ حَيْثُ كانوا جالِسينَ، وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّها مِنْ نارٍ وٱسْتَقَرَّتْ عَلى كُلِّ واحِدٍ مِنْهُم» (أع ٢: ٢، ٣)

راجع باب «الكنيسة» في مدرسة المسيح.

ثالثاً: أهمية صفة الحكمة بالنسبة لنا

أ. حكمة الله تجعلنا نثق فيه ونسلم لإرادته:

- *«تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لاَ تَعْتَمِدْ»* (أمثال ٣: ٥)

إن كانت حكمة الله بهذا المعنى والعمق والروعة، ألا يجدر بنا أن نثق في الله ونتكل عليه بكل قلوبنا، فهو يعرف كل شيء، ويعرف الخير كل الخير، وهو يريد ويشاء الأفضل بكل قلبه لسعادتنا، وهو القدير القادر على كل شيء ليصنع لنا ويحقق مشيئته الصالحة في حياتنا.

لذلك يجب علينا أن نسمع قول بولس الرسول

- *«فَأَطْلُبُ إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الإِخْوَةُ بِرَأْفَةِ اللهِ أَنْ تُقَدِّمُوا أَجْسَادَكُمْ ذَبِيحَةً حَيَّةً مُقَدَّسَةً مَرْضِيَّةً عِنْدَ اللهِ، عِبَادَتَكُمُ الْعَقْلِيَّةَ. وَلاَ تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ»*. (رومية ١٢: ١-٢)

أما إذا اتكلنا على معرفتنا وقدرتنا المحدودة فإننا نبطل هذه المشيئة الإلهية الحبيبة في حياتنا.

ب. حكمة الله تدعونا أن نكون حكماء:

بنفس النوعية من الحكمة المملوءة رحمة وصلاح كما يقول الكتاب في:

- *«وَأَما الحِكْمَةُ الَّتي مِنْ فَوْق فَهِيَ أَولاً طاهِرَةٌ، ثُمَّ مُسالِمَةٌ، مُتَرَفِّقَةٌ، مُذعِنَةٌ، مَمْلُوَّةٌ رَحْمَةً وَأَثْماراً صالِحَةً، عديمَةُ الرَّيْبِ والرِّياءِ» (يع٣: ١٧)*

- الحكمة التي تمكننا أن نعيش في هذا العالم الشرير الذي يقاوم الحق والبر كما قال السيد المسيح لتلاميذه في:

- *«هَا أَنَا أُرسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسطِ ذِئابٍ، فَكُونُوا حُكَماءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطاءَ كَالْحَمَامِ» (متى ١٠: ١٦)*

وهنا نرى التناقض الذي يظهر المعنى فيتكلم عن الحكمة والبساطة معاً.. الحية والحمامة معاً.. الحكمة التي لا تسمح لغيرك أن يؤذيك لكنها كالحمامة فهي لا تؤذي أحداً، هكذا عاش المسيح وكان لنا مثالاً.

- الحكمة التي تمكننا أن نقدم الإنجيل للآخرين بسلوكنا وكلامنا:

- *«الَّذِي نُنَادِي بِهِ مُنْذِرِينَ كُلَّ انْسانٍ وَمُعَلِّمِينَ كُلَّ انْسانٍ، بِكُلِّ حِكْمَةٍ، لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ انْسانٍ كامِلاً فِي الْمَسيحِ يَسُوعَ» (كو١: ٢٨)*

- «لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ ٱلْمَسِيحِ بِغِنًى وَأَنْتُمْ بِكُلِّ حِكْمَةٍ مُعَلِّمُونَ وَمُنْذِرُونَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا بِمَزَامِيرَ وَتَسَابِيحَ وَأَغَانِيَّ رُوحِيَّةٍ بِنِعْمَةٍ، مُتَرَنِّمِينَ فِي قُلُوبِكُمْ لِلرَّبِّ» (كو٣: ١٦)
- «اُسْلُكُوا بِحِكْمَةٍ مِنْ جِهَةِ ٱلَّذِينَ هُمْ مِنْ خَارِجٍ مُفْتَدِينَ ٱلْوَقْتَ» (كو ٤: ٥)

ما أحوجنا للحكمة في كل ما نصنع في بيوتنا، وأعمالنا، ومجتمعاتنا، وكنائسنا. وقد أعطى الكتاب المقدس أهمية خاصة للحكمة فأعطانا سفرين يدور الحديث الأهم والأساسي فيهما عن الحكمة وهما: سفر الأمثال وسفر الجامعة. إليك بعض الشواهد منهما:

- «لِمَعْرِفَةِ حِكْمَةٍ وَأَدَبٍ، لِإِدْرَاكِ أَقْوَالِ ٱلْفَهْمِ. ٱلْحِكْمَةُ تُنَادِي فِي ٱلْخَارِجِ، فِي ٱلشَّوَارِعِ تُعْطِي صَوْتَهَا، تَدْعُو فِي رُؤُوسِ ٱلْأَسْوَاقِ، فِي مَدَاخِلِ ٱلْأَبْوَابِ. فِي ٱلْمَدِينَةِ تُبْدِي كَلَامَهَا قَائِلَةً: «إِلَى مَتَى أَيُّهَا ٱلْجُهَّالُ تُحِبُّونَ ٱلْجَهْلَ، وَٱلْمُسْتَهْزِئُونَ يُسَرُّونَ بِٱلِٱسْتِهْزَاءِ، وَٱلْحَمْقَى يُبْغِضُونَ ٱلْعِلْمَ؟» (أمثال ١: ٢، ٢٠-٢٢)
- «يَا ٱبْنِي، إِنْ قَبِلْتَ كَلَامِي، وَخَبَّأْتَ وَصَايَايَ عِنْدَكَ، حَتَّى تُمِيلَ أُذْنَكَ إِلَى ٱلْحِكْمَةِ، وَتُعَطِّفَ قَلْبَكَ عَلَى ٱلْفَهْمِ. إِنْ دَعَوْتَ ٱلْمَعْرِفَةَ، وَرَفَعْتَ صَوْتَكَ إِلَى ٱلْفَهْمِ. إِنْ طَلَبْتَهَا كَٱلْفِضَّةِ،

وَبَحَثْتَ عَنْهَا كَالْكُنوزِ، فحينئذٍ تَفْهَمُ مَخَافَةَ الرَّبِّ وَتجِدُ مَعرفةَ الله، لأَن الرَّبَّ يُعطِي حِكْمَةً. مِنْ فمهِ المَعرِفَةُ والفَهْمُ» (أم٢: ١-٦)

- «طُوبى للإِنْسانِ الذي يجِدُ الحِكْمَةَ، وللرَّجلِ الذي ينالُ الفَهَمَ» (أم٣: ١٣)
- «يا ابني، أَصْغِ إِلى حِكْمتي. أَمِلْ أُذنَكَ إِلى فَهمي» (أم٥: ١)
- «قُلْ للحِكْمَة: «أَنتِ أُختي» وادْعُ الفَهْمَ ذا قَرابةٍ» (أم٧: ٤)
- «أَلعَلَّ الحِكْمَةَ لا تُنادي، والفَهَمَ أَلا يُعطِي صَوْتَهُ؟» (أم٨: ١)
- «ثُمَّ الْتَفَتُّ لأَنظُرَ الحِكْمَةَ والحَماقَةَ والجَهْلَ. فَما الإِنْسانُ الذي يأتي وَراءَ المَلِكِ الذي قَدْ نَصَبُوهُ مُنْذُ زَمانٍ؟ فرأَيْتُ أَنَّ للحِكْمَةِ مَنْفَعَةً أَكثرَ مِنَ الجَهْلِ، كَما أَنَّ للنُّورِ مَنْفَعَةً أَكثرَ مِنَ الظُّلْمَةِ. الحَكيمُ عَيْناهُ في رأْسِهِ، أَما الجاهِلُ فيَسْلُكُ في الظَّلامِ. وَعَرفْتُ أَنا أَيضًا أَنَّ حادِثَةً واحِدَةً تَحْدُثُ لكِلَيهِما» (جامعة ٢: ١٢، ١٣، ١٤)

هذا، وإن أعوزتك الحكمة فالله يدعوك ويشجعك أن تطلبها منه فهو على استعداد تام أن يعطيك إياها:

- *«وإنما إن كان أحدكم تعوزه حكمة فليطلب من الله، الذي يعطي الجميع بسخاء ولا يعير، فسيعطى له» (يع ١: ٥)*

ويعد الملك سليمان مثالاً هاماً على ذلك، فعندما تولى المملكة خلفاً لداود أبيه، كلمه الله في حلم وقال له:

- *«اسأل ماذا أعطيك؟ والآن أيها الرب إلهي، أنت ملكت عبدك مكان داود أبي، وأنا فتى صغير لا أعلم الخروج والدخول. وعبدك في وسط شعبك الذي اخترته شعب كثير لا يحصى ولا يعد من الكثرة. فأعط عبدك قلباً فهيماً لأحكم على شعبك وأميز بين الخير والشر، لأنه من يقدر أن يحكم على شعبك العظيم هذا؟ فحسن الكلام في عيني الرب، لأن سليمان سأل هذا الأمر. فقال له الله: من أجل أنك قد سألت هذا الأمر ولم تسأل لنفسك أياماً كثيرة ولا سألت لنفسك غنى ولا سألت أنفس أعدائك، بل سألت لنفسك تمييزاً لتفهم الحكم، هوذا قد فعلت حسب كلامك. هوذا أعطيتك قلباً حكيماً ومميزاً حتى إنه لم يكن مثلك قبلك ولا يقوم بعدك نظيرك. وقد أعطيتك أيضاً ما لم تسأله، غنى وكرامة حتى إنه لا يكون رجل مثلك في الملوك كل أيامك. فإن سلكت في طريقي وحفظت فرائضي ووصاياي كما سلك داود أبوك فإني أطيل أيامك»*

(١ مل٣: ٥- ١٤)

لم يطلب سليمان غِنى أو طول الأيام أو أنفس أعدائه، بل طلب الفهم والتمييز والحكمة لكي يحكم الشعب، فأعطاه الله ما لم يطلبه من غنى وكرامة.

يريد الله ويستطيع أن يعطينا الحكمة فلنطلب منه الحكمة الالهية التي من فوق حتى نتمكن من تحقيق مشيئة الله في حياتنا.

(٧) الأمانة

هذه آخر الصفات الأدبية التي نتعرض لها هنا، لا لأنها أقل أهمية عن غيرها، لكن لأنها الختم والختام الجميل البديع والرائع لوصف هذه الشخصية الإلهية الكاملة الكمال.

أولاً: تعريف الأمانة

لنقرأ من الكلمة المقدسة بعض الآيات التي تحكي لنا عن أمانة الله، والتي بها نستطيع أن نضع تعريفاً واضح المعالم لها.

- *«اْلحَافِظُ اْلعَهْدَ والرَّحْمَةَ»* (نح ١: ٥)
- *«فَحفِظْتَ لَهُ هذِهِ الرَّحْمَةَ اْلعَظِيمَةَ»* (١ مل٣: ٦)
- *«الرَّبُّ حَافِظُ الأَمَانَةِ»* (مز ٣١: ٢٣)
- *«أَمَّا رَحْمَتِي فَلاَ أَنْزِعهَا عَنْهُ، وَلا أَكْذِبُ مِنْ جِهَةِ أَمَانَتِي. لاَ أَنْقُضُ عَهْدِي وَلا أُغَيِّرُ مَا خَرَجَ مِنْ شَفَتَيَّ»*. (مز٨٩: ٣٣، ٣٤)

- «إِلى الأَبدِ رحمته، وإِلى دور فدور أمانته». (مز ١٠٠: ٥)

- «من قدم أسست الأرض والسماوات هي عمل يديك. هي تبيد وأنت تبقى وكلها كثوب تبلى كرداء تغيرهن فتتغير. وأنت هو وسنوك لن تنتهي». (مز١٠٢: ٢٥ - ٢٧)

- «لأني أنا الرب لا أتغير، فأنتم يا بني يعقوب لم تفنوا» (ملاخي ٣: ٦)

- «الله أمين» (١كو ١٠: ١٣)

- «أمين هو الرب الذي سيثبتكم ويحفظكم من الشرير» (٢تس ٣: ٣)

- «إن كنا غير أمناء فهو يبقى أمينا، لن يقدر أن ينكر نفسه» (٢تي٢: ١٣)

- «يسوع المسيح هو هو أمسا واليوم وإلى الأبد» (عب١٣: ٨)

- «كل عطية صالحة وكل موهبة تامة هي من فوق، نازلة من عند أبي الأنوار الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران» (يع١: ١٧)

- « كما لخالق أمين في عمل الخير» (١بط ٤: ١٩)

- «إن اعترفنا بخطايانا فهو أمين وعادل» (١يو ١: ٩)

- «يسوع المسيح الشاهد الأمين» (رؤ ١: ٥، ٦)

كلمة «أمانة» لها مترادفات أخرى في لغتنا العربية، منها الإخلاص والوفاء.. وفي ضوء الآيات السابقة وغيرها الكثير التي تتحدث عن أمانة الله نستطيع أن نضع التعريف التالي:

- إن الله لا يتغير ولا يغيّر ما خرج من شفتيه.
- أي أن صفات الله ثابتة إلى الدهر، فهو هو أمساً واليوم وإلى الأبد، في محبته ورحمته وقداسته وحكمته وحقه
- كما أنه لا ينقض عهداً قد قطعه معنا، وعندما يعد يفي فهو عند وعده.
- وأمانته لا تتوقف علينا أو مواقفنا منه، فإن كنا نحن غير أمناء هو يبقى أميناً لا ينكر نفسه، ولا صفاته، ولا ما خرج من شفتيه.

وهذه الصفة تبدو بسيطة لأول وهلة، لكن عندما نراقب تصرفاتنا وتصرفات البشر من حولنا، نجد أننا نتغير ونغير ما قلناه وننقض عهودنا التي قطعناها على أنفسنا مع الله ومع بعضنا البعض.. فمثلاً في العلاقات الزوجية نجد كثيرين من الأزواج والزوجات لم يحفظوا عهودهم بأمانة مع شركاء الحياة، فالبيوت تحطمت والأُسر تمزقت شهادة على صعوبة هذه الصفة الرائعة في الذات الإلهية.

وكثيراً ما نظن أن الله يتغير لأننا نحن نتغير.. لكن حاشا لله فهو الأمين المخلص الوفي حافظ العهد والرحمة. وعد الله إبراهيم أن يكون له نسل ومرت السنوات وظن إبراهيم أن الله نسي وعده وأراد أن يساعد الله وأن ينجب من هاجر جارية زوجته سارة وجاء إسماعيل. ولكن لأن الله حافظ العهد والوعد، فبعد ٢٥ سنة وبعد أن توقفت قدرة سارة على الإنجاب ولدت إسحق، الذي من نسله وُلد المسيح وتحقق الوعد الأصيل أن «في نسلك تتبارك جميع قبائل الأرض».

إن قصة الكتاب المقدس من أولها إلى آخرها في كل تفاصيلها الصغيرة والكبيرة مع الأفراد، شهادة حية عن أمانة الله ليس فقط مع إبراهيم لكن مع يوسف وداود وزربابل ودانيال.. الخ ومع شعبه والشعوب الأخرى.

ما أروع وما أجمل أن تعبد إلهاً لا يتغير، وأن تعيش مع أب لا يتبدل أبداً في حبه ورحمته. إنه الصخر الكامل صنيعه.

ثانياً: قيمة الأمانة بالنسبة لنا

أ. الإحساس بالأمان بسبب أمانته:

ما أغلى هذا الشعور الجميل والعميق بالأمان مع الله لأنه أمين مخلص يفي بوعده ولا يتغير أبداً.

كتب عنه بولس الرسول

- *«لِهَذَا السَّبَبِ أَحْتَمِلُ هذه الأُمُورَ أَيضًا. لَكِنَّنِي لَسْتُ أَخْجَلُ، لأَنَّنِي عَالِمٌ بِمَنْ آمَنْتُ، وَمُوقِنٌ أَنَّهُ قَادِرٌ أَنْ يَحْفَظَ وَدِيعَتِي إِلَى ذلِكَ الْيَوْمِ» (٢تي ١: ١٢):*

لقد وضعت حياتي بين يديه وهو أمين يحفظ الوديعة إلى ذلك اليوم، أمين في حبه لي، وفي عهده معي، وفي حكمته العجيبة ومشيئته الصالحة في حياتي. كيف لا أشعر بالطمأنينة والسلام في ظل القدير الحافظ العهد والرحمة حتى في الظروف الصعبة وفي وقت الضيق أحتمل هذه الأمور أيضاً، كما يقول بولس الرسول:

- *«وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيضًا الْمَنْفَذَ لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠: ١٣)*

بل يرافقنا في الضيق كالرابع الشبيه بابن الآلهة كما في قصة الفتية الثلاث، بل ويحول الشر خيراً ويخرج من الآكل أكلاً ومن الجافي حلاوة كما فعل مع يوسف الصديق.

وهذا ما يقوله أيضاً بطرس الرسول

- ***«فَإِذًا، اَلَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ فِي عَمَلِ الْخَيْرِ». في (١ بط ٤: ١٩)***

أمام تحديات الحياة واحتياجاتها المختلفة هو الراعي الصالح والآب الذي يعتني بنا وهذا ما وعد به كاتب المزمور *(مز ٣٧: ٢٥)*

- ***«أَيْضًا كُنْتُ فَتًى وَقَدْ شِخْتُ، وَلَمْ أَرَ صِدِّيقًا تُخُلِّيَ عَنْهُ، وَلاَ ذُرِّيَّةً لَهُ تَلْتَمِسُ خُبْزًا»، «الأَشْبَالُ احْتَاجَتْ وَجَاعَتْ، وَأَمَّا طَالِبُو الرَّبِّ فَلاَ يُعْوِزُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْخَيْرِ» (مز ٣٤: ١٠)***

وهذا ما أكده لنا السيد المسيح في الموعظة على الجبل حين قال:

- ***«فَلاَ تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ؟ فَإِنَّ هذِهِ كُلَّهَا تَطْلُبُهَا الأُمَمُ. لأَنَّ أَبَاكُمُ السَّمَاوِيَّ يَعْلَمُ أَنَّكُمْ تَحْتَاجُونَ إِلَى هذِهِ كُلِّهَا. لكِنِ اطْلُبُوا أَوَّلاً مَلَكُوتَ اللهِ وَبِرَّهُ، وَهذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُمْ» (متى ٦: ٣١-٣٣)***

- ***«فَلاَ تَطْلُبُوا أَنْتُمْ مَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَشْرَبُونَ وَلاَ تَقْلَقُوا»، (لو ١٢: ٢٩)***

ما أروع هذه العبارة. | نعم الأمان بسبب أمانته |

ب. الصبر والانتظار:

- *«انْتِظَارًا انْتَظَرْتُ الرَّبَّ، فَمَالَ إِلَيَّ وَسَمِعَ صُرَاخِي»* (مز ٤٠: ١)
- *«أَفَلاَ يُنْصِفُ اللهُ مُخْتَارِيهِ الصَّارِخِينَ إِلَيْهِ نَهَارًا وَلَيْلاً وَهُوَ مُتَمَهِّلٌ عَلَيْهِمْ؟»* (لو ١٨: ١٧)

أمانة الله تجعلني أنتظره وأصبر له لأنه إذا وعد هو يفي وإذا تكلم لا يغير ما خرج من شفتيه وإن بدا أنه تأخر لكنه في وقته يُسرع به.

- *«لأَنَّ الرُّؤْيَا بَعْدُ إِلَى الْمِيعَادِ، وَفِي النِّهَايَةِ تَتَكَلَّمُ وَلاَ تَكْذِبُ. إِنْ تَوَانَتْ فَانْتَظِرْهَا، لأَنَّهَا سَتَأْتِي إِتْيَانًا وَلاَ تَتَأَخَّرُ»* (حبق ٢: ٣)

فعبر كل الكتاب المقدس يتكلم الله ويعد ويفي ولو بعد سنين طويلة، لأنه أمين.

عزيزي القارئ

إن كان الله قد وعدك وعداً خاصاً فانتظره واصبر له، لأنه يأتي إتياناً في وقته حسب التوقيت الإلهي وليس الإنساني. أما كل الوعود الكتابية العامة التي هي لكل أولاده وبناته فتستطيع أن تطلبها وتأخذها لأنها لك كما يقول مثلاً في:

- *«إِنِ اعْتَرَفْنَا بِخَطَايَانَا فَهُوَ أَمِينٌ وَعَادِلٌ، حَتَّى يَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَيُطَهِّرَنَا مِنْ كُلِّ إِثْمٍ»* (١يو ١: ٩).

ج. الله في أمانته يدعونا أن نكون أمناء:

في سفر الرؤيا يوصي ملاك الكنيسة أي خادمها قائلاً:

- «.. كُنْ أَمِينًا إِلَى ٱلْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ ٱلْحَيَاةِ» (رؤ ٢: ١٠)

وهنا أتصور أنه يتحدث عن الصفة وليس مجرد موقف أو فعل، أي التحلي بالأمانة، فأكون أميناً في علاقاتي بالآخرين من زملاء وأصدقاء، وبصورة خاصة مع شريك الحياة.

ما أروع الوفاء والإخلاص وما أبشع الخيانة والغدر، فالأمانة تحفظ وتصون العلاقة، أما الخيانة فتكسر العهد وتدمر الإنسان نفسه. الأمين يأتمنه الناس على أسرارهم وأموالهم وأعراضهم، والعكس بكل أسف صحيح.

وبنفس الصورة يدعونا الله أن نكون أمناء معه في علاقتنا وشركتنا معه، وأمناء على المواهب والوزنات التي أوكلنا عليها لكي نستخدمها لخير الآخرين وإعلان محبة الله لهم وليس لتحقيق كبريائنا والتعالي بها على الآخرين.

نرى بوضوح في مثل الوزنات الذي قصَّه السيد المسيح في (متى ٢٥) والذي فيه أعطى سيدٌ لعبيده أمواله ليستثمروها، فأعطى كل واحدٍ على قدر طاقته. فأعطى واحداً خمس وزنات من الفضة

(٦٠٠٠ × ٥ ديناراً) وأعطى الآخر وزنتين، وأعطى الثالث وزنة واحدة. ولما جاء ليحاسبهم وجد أن الأول تاجر وربح خمس وزنات، وأن الثاني ربح وزنتين، أما الثالث فلم يربح أي شيء.

فقال السيد للأول والثاني:

- *«نِعِمَّا أَيُّهَا ٱلْعَبْدُ ٱلصَّالِحُ وَٱلأَمِينُ. كُنْتَ أَمِينًا فِي ٱلْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى ٱلْكَثِيرِ. اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (متى ٢٥: ٢١).*

وهذا مبدأ هام وخطير فأمانتي في القليل تجعل الله يقيمني على الكثير. والعكس بكل أسف صحيح.

عزيزي القارئ

هل كنت أميناً وفياً مخلصاً مع الله والناس في القليل الذي أعطاك إياه في وقتك، ومالك، وصحتك، وعفتك، ووزناتك، ومواهبك، وعلاقاتك مع الآخرين،

صاحب الوزنة الذي لم يكن أميناً في استخدامها بل طمرها، أُخذت منه وأعطيت للذي عنده العشر وزنات. ولما سألوه لماذا؟ قال:

- *«لأَنَّ كُلَّ مَنْ لَهُ يُعْطَى فَيَزْدَادُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ فَالَّذِي عِنْدَهُ يُؤْخَذُ مِنْهُ» (مت ٢٥: ٢٩).*

ما أروع وأصدق ما قاله المسيح .

لم يقله غيره من قبله ومن بعده .

الأمين يُعطى فيزداد الذي عنده ،

وغير الأمين فالذي عنده يؤخذ منه .

وهذا ما نراه واضحاً في العالم الإنساني والعالم الروحي أيضاً.

نعم

- *«كُنْ أَمِينًا إِلى الْمَوْتِ فَسَأُعطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ»* (رؤ ٢: ١٠).

الخاتمة

عزيزي القارئ

تعجز الكلمات أو العبارات عن وصف جمال بلا حدود،

كمال يفوق العقول، جلال مبهر لكل العيون

برغم هذه البساطة وعدم التعقيد فلا يوجد تناقض أو تضارب في صفاته

بل تناغم عجيب ووحدة مطلقة

نور يجتذبك من بعيد لتقترب في خشوع ومهابة وكلما اقتربت اتضحت الصورة في أدق تفاصيلها وزاد انبهارك وإجلالك لشخصه العظيم وحبك وتقديرك لهذا الإله العجيب.

هو الحب في أروع صوره. حب بلا حدود أو شروط. يضع نفسه لأجل أحباؤه. هو القدوس الذي يبغض كل ما يشوه ويفسد ويدمر الإنسان الذي خلقه. في محبته وفي حبه رحيم، حنان، طويل الروح يبحث عن المخطئ حتى في حقه لينقذه من شره. يُسر بالرأفة يطرح في أعماق البحار جميع خطايانا لأنه يفدينا من كل آثامنا.

هو العادل في محبته، بار في طرقه، يسلك بالاستقامة ولا يحابي بالوجوه، يعيش في النور وليس فيه ظلمة البتة، هو الحق يتكلم بالحق ويشهد للحق.

الحق الذي يحررنا من كل خطية.

في حكمته يُسخر كل إمكانياته من القدرة والمعرفة والفهم بكل الحب للخير والسعادة للذين يعطونه الفرصة ويضعون ثقتهم فيه.

وفي كل هذا يبقى أميناً لا يتغير ولا ينكر نفسه أو عهده أو مواعيده، ثابت إلى الدهر.

كيف يمكنني أن أقف أمامه دون أن أحبه بكل قلبي وفكري ونفسي وقدرتي؟!

كيف يمكنني إلا أن أثق فيه وأتكل عليه وعلى فهمي لا أعتمد؟!

كيف يمكنني إلا أن أسجد في خشوع ورهبة ناظراً إليه لكي أتغير من صورتي القبيحة المشوهة إلى صورته المجيدة الرائعة؟!

كيف يمكنني أن أعرفه وأحبه دون أن أشهد عنه وأنادي الجميع أن يعرفوه؟!

فهو القيامة والحياة، وهو ينبوع الماء الحي. هو النور الحقيقي الذي ينير كل إنسان.

وهنا نقتبس كلمات الأب متى المسكين في (كتاب توجيهات في الصلاة):

لذلك عندما ينشغل قلب الإنسان بصفات الله الجميلة ويتقرب إليه أثناء الصلاة، يدخل في اختبار تذُّق صفات الله. فكلما انكشف لقلب الإنسان صفة جديدة من صفات الله فإنه ينال منها شيئاً، لأن الله لا يُستعلن للإنسان نظرياً بل بالقوة، وإنما في سر. ففي أثناء الصلاة يرفع الله الحجاب العقلي عن قلب الإنسان ويكشف له أسرار تدبيره وقيادته للخليقة ولنفسه على مدى الحوادث والسنين الكثيرة فيستشفُّ منها الإنسان بوضوح صفات الله، إنما بنوع من الإحساس الداخلي الذي يرافقه قوة، فيها يتذوق الإنسان الله ويأكله كما يتذوق الإنسان شهد العسل.

عزيزي القارئ

هل عرفته؟

هل تّولد في قلبك رغبة عميقة وأشواق مقدسة أن تدنو إليه

صارخاً:

عرفني طريقك حتى أعرفك لكي أجد نعمة في عينيك.

هل شاهدته معي عبر صفحات الكتاب المقدس وعشرات الآيات الكتابية التي تتحدث عنه وتشير إليه بوضوح وبساطة.

هل تستطيع أن تقول من قلبك

أحبك، فأنت أروع وأجمل وأعظم ما عرفت في الحياة.



فى هَذا الوُجود رُبَما يَقِفُ الإنسان أمَام سُؤالٍ حتمى مُحَيِّرٍ وهو

إن كَانَ الله حقاً مُوجوداً فَمَن هُوَ؟

إن كَانَ الخَالِقُ والسَبَبَ وَراءَ هَذا الكَونُ مُوجُود،

فَمَن هُوَ هَذا الإله؟

مَن هُوَ الله ؟

فَمَن وصلوا ليَقِينٍ وأقرُوا بأنَ الله مُوجُودٌ نَسبوُا إليه صفاتاً وصوراً

مُتَعَدِدةً مُتَناقِضَةً ومُتَضارِبَةً وكَأنَما هُم يَتَكَلَمونَ عَن عدة أشخاص

مُختَلِفِينَ تَماماً لا يُمكِن جَمعَهُم فى شَخصٍ واحِد،

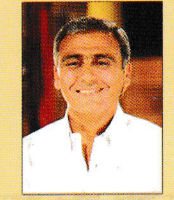
بَينَما لا بُد وأن يَكُونَ الله واحِداً إن كَانَ حَقاً مُوجُوداً!

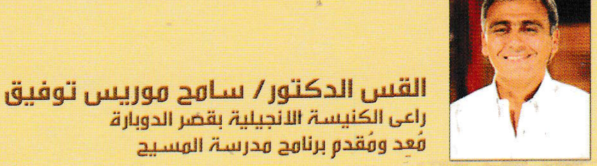
والسُؤال هُنا مَرة أخرَى مَن هُو الله؟!

هَل نَجِد لَهَذا السُؤال إجَابَة مُقنِعَةً؟

وهَل يُمكِن أن تَكُونَ هَذه الإجَابَة مِن إعلانه هُوَ عَن نَفسَه

أم هِىَ فَقط مِن وَحى تَصوراتنَا وتَخيُلنا نَحن عَنهُ ؟





القس الدكتور/ سامح موريس توفيق
راعى الكنيسة الانجيلية بقصر الدوبارة
مُعد ومُقدم برنامج مدرسة المسيح



www.kdec.net
www.schoolofchrist.tv

مكتبة الكتب المسيحية

أحدث الكتب



روحية

كتاب لاهوت المرضى – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf



العهد الجديد

كتاب شبهات وهمية حول الكتاب المقدس – إعداد الدكتور القس منيس عبد النور – تحميل الكتاب pdf



روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf



مقالات

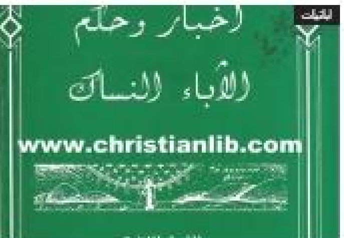
لا تموت قبل أن تقرأ هذه الكتب – ترشيحات الفيلسوف بيتر كريفت Peter Kreeft

كتب روحية



روحية

كتاب الباحث عن الله – مذكرات كتبها الفيلسوف المصري المشهور نوستراداميس – د ق لبيب مشرقي pdf



ابائيات

كتاب من اخبار و حكم الاباء النساك – نقله عن اليونانية الاب منيف حمصي – تحميل الكتاب pdf



انسانيات

كتاب يوميات طبيب في ضوء الكتاب المقدس – بول تورنيه – مكتبة دار الكلمة LOGOS – تحميل pdf

روحية

كتاب لاهوت المرضى – جان كلود لارشي – تعريب روزيت جبور تعاونية النور الأرثوذكسية – تحميل pdf



روحية

كتاب الايادي الضارعة – ميشال كواست ترجمة الاب فكتور الدويهي دار المشرق – تحميل الكتاب pdf



روحية

كتاب صوم يونان و الصوم الكبير – الاب متى المسكين – سلسلة عظات مختارة على اناجيل القداسات pdf